تركي القداح العتيبي

قبيلة عتيبة

في كتابات الرحالة الغربيين










الدار العربية للموسوعات

قبيلة عتيبة

في كتابات الرحالة الغربيين

جمع وتعليق

تركي بن مطلق القدّاح العتيبي

صوره:
سلطان بن فهد الدعجاني

الدار العربية للموسوعات

الطبعة الأولى

٢٠٠٦م - ١٤٢٦هـ

الدار العربية للموسوعات

الحازمية - ص.ب: ٥١١ - هاتف: ٠٠٩٦١٥/٩٥٢٥٩٤ - فاكس: ٠٠٩٦١٥/٤٥٩٩٨٢

هاتف نقال: ٠٠٩٦١٣/٣٨٨٣٦٣ - ٠٠٩٦١٣/٥٢٥٠٦٦ - بيروت - لبنان

الموقع الإلكتروني: www.arabenchouse.com

البريد الإلكتروني: info@arabenchouse.com

مؤسسها ومديرها العام خالد العاني

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فقد حظيت الجزيرة العربية باهتمام الرحالة الغربيين الذين جابوا ديار العرب لأسباب ودوافع مختلفة. وقد كتبوا عن أمور متعددة وجوانب شتى من حياة الجزيرة الاجتماعية والسياسية وغيرها، واصفين ما شاهدوه ومتحدثين عما سمعوه وقد سجلوا بهذا معلومات وأحداثاً في غاية الأهمية.

وقد قال الشيخ حمد الجاسر ـ رحمه الله ـ حول كتابات الغربيين عن بلادنا يحسن إيراده هنا: «**إن القارئ العربي كثيراً ما تعتريه حالة من الريبة والشك حيال كتابات الغربيين عن العرب، وهي حالة مع منافاتهم للحكمة العربية القديمة (الحكمة ضالة المؤمن التقطها أنى وجدها) لا تتفق مع المنطق القويم في شيء، فالحق يجب قبوله، أياً كان مصدره، والباطل لا يتوقف رفضه على معرفة مصدره، وأولئك بحكم بعدهم عنا، وجهلهم لأحوالنا في الماضي تشوب كتاباتهم عنا شوائب من الخطأ، لا ينبغي أن تكون حائلاً بيننا وبين المعرفة، بل الأجدر بها أن تكون من الحوافز التي تدفعنا إلى معرفة كل ما يكتب عنا، عن بلادنا وتاريخنا،**

لنقبل الحق وننتفع به، وننفي الزيف ونباه»[1].

وقد كانت قبيلة عتيبة، أفراداً ودياراً، ممن وصفهم أولئك الرحالة أو ذكروهم خلال رحلاتهم، قلّ ذلك الوصف أو كثر، جافى الحقيقة أو داناها. حيث جمعت طائفة منتقاة من نصوصهم المعرّبة التي ذكروا فيها قبيلة عتيبة، وأضفت إليها نصوصاً أخرى من كتب لم تعرّب بعد، حيث قمت بتكليف من يعربها، ورتبتها ترتيباً زمنياً وعلقت عليها في حواشي الكتاب، كما أنني أوردت نبذاً مختصرة عن كل مؤلف نقلت عنه في هذا الكتاب حسب ما توفر لدي من مصادر، ولعله من المستحسن هنا أن نشير إلى أقدم من ذكر قبيلة عتيبة من هؤلاء الرحالة هو كارستن نيبور[2] الذي قال عن قبيلة عتيبة أثناء رحلته من سنة (١١٧٤ ـ ١١٨١هـ) (١٧٦١ ـ ١٧٦٧م) في كتابه وصف الجزيرة العربية: **«ومن بين القبائل العربية التي تسكن في الحجاز قبيلة حرب التي ذكرتها سابقاً ولكن توجد أيضاً قبيلة، بني عتيبة وهي قبيلة قديمة وكبيرة بين الطائف ومكة»**[3].

---

(١) د. عوض البادي، الرحالة الأوربيون في شمال الجزيرة العربية- منطقة الجوف ووادي السرحان ١٨٤٥ ـ ١٩٢٢م، الدار العربية للموسوعات ـ بيروت، ط، ٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص١٣.

(٢) هو الرحالة الفرنسي كارستن نيبور الذي يُعد أول من تحدث عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الغرب، ولد سنة ١٧٣٣م (١١٤٦هـ) في أقصى شمال ألمانيا، وكان ضمن بعثة علمية زارت مصر، وجدة، واليمن، والهند، وتوفي أعضاء البعثة الستة، ولم يبق إلا نيبور الذي عاد إلى بلاده، ثم رجع إلى بلاد العرب؛ فزار عمان وشواطئ الخليج العربي، ثم سافر من البصرة عبر سوريا وفلسطين، ليصل إلى الدنمارك في سنة ١٧٦٧م (١١٨١هـ)، وكانت البعثة قد بدأت سنة ١٧٦١م (١١٧٤هـ). وقد توفي نيبور في السادس والعشرين من نيسان سنة ١٨١٥م (١٧ جمادى الأولى ١٢٣٠هـ)، وعمره اثنان وثمانون عاماً، انظر مجلة الدارة: العدد الثالث، السنة الثلاثون، ١٤٢٥هـ مقالة د.محمد خير البقاعي بعنوان: أوائل الكتب الفرنسية عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية، ص ٩ ـ ١٠.

(٣) وصف الجزيرة العربية، تأليف كارستن نيبور، الجزء الأول، ص ٣٩٩.

وقد كان الدافع لتأليف هذا الكتاب أمور منها:

الأول: إبراز ما سجله هؤلاء الأجانب عن واحدة من أهم قبائل المملكة العربية السعودية، ولعل هذا يفيد الباحث والدارس في هذا المجال.

الثاني: التنبيه على الأخطاء والأوهام التي وقع فيها بعض هؤلاء الرحالة من خلال التعليق عليها، وربما كان في هذا الحد من انتشارها.

الثالث: جمع هذه النصوص بين دفتي كتاب واحد لكي يسهل على من أراد الرجوع إليها، أو الاقتباس منها خاصة المصادر التي تم تعريبها.

منهج الكتاب ومصادره

يهدف هذا البحث إلى رصد النصوص الغربية عن قبيلة عتيبة ـ مما أتيح لي الاطلاع عليه من المصادر الغربيّة، حيث قمت بإيراد نصوصهم والتعليق على بعضها في حواشي هذا البحث، وقد رتبت النصوص حسب زيارة أولئك المؤرخين للجزيرة العربية، لكن بعض تلك المصادر يمثل تقارير استخبارية أو نحوها، لذا فقد جاء ترتيبها حسب تاريخ طبع تلك الكتب، ومن بين تلك النصوص ما قمت بتعريبه من بعض الكتب غير المعرّبة، وتم وضعها وفق التسلسل الزمني، ولهذا فإن مصادر هذا البحث[1] تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي:

أولاً: المصادر غير المعربة:

ـ **البدو في شمال وأواسط شبه الجزيرة العربية والعراق**، (المجلد الثالث)، تأليف ماكس فراهير فون أوبنهايم.

ـ **الحجاز قبل الحرب العالمية الأولى**، تأليف ديفيد جورج هوجارث.

ـ **الرحلات في شبه الجزيرة العربية**، تأليف تشارلز داوتي.

---

(١) لم أذكر هنا سوى عنوان الكتاب واسم مؤلفه دون ذكر بقية البيانات من أسماء المترجمين ودور النشر، ...إلخ منعاً للتكرار والإطالة حيث ذكرت في موضعها من هذا الكتاب كما جاء ذكرها في نهاية الكتاب في قائمة مصادر الكتاب.

- **شمال نجد: رحلة من القدس إلى عنيزة في القصيم**، تأليف كارلو غوارماني.

- **قصص وقصائد وعادات وتقاليد البدو**، تأليف ج.ج.هيس.

- **كتيب حول شبه الجزيرة العربية(هاندبوك)**، (المجلد الثاني).

- **وصف الجزيرة العربية**، تأليف كارستن نيبور.

ثانياً: المصادر المعربة:

- **أعمدة الحكمة السبعة**، تأليف توماس إدوارد لورنس.

- **اكتشاف جزيرة العرب**، تأليف جاكلين بيرين.

- **آل سعود دراسة في تاريخ الدولة السعودية**، تأليف ألويس موسيل.

- **الأوضاع السياسية في وسط الجزيرة العربية عند نهاية القرن التاسع (حائل، القصيم، الرياض)**، تأليف إدوار نولده.

- **البدو والوهابية**، تأليف جون لويس بوركهارت.

- **العربية السعودية**، تأليف هاري سانت جون فيلبي.

- **بعثة إلى نجد**، تأليف سانت جون فيلبي.

- **بلاد العرب القاصية**، تأليف بيتر برينث.

- **تاريخ الدولة السعودية الأولى، ونجد وحملات محمد علي على الجزيرة العربية من كتاب تاريخ مصر في عهد محمد علي**، تأليف فيلكس مانجان.

- **دليل الخليج، القسم الجغرافي**، تأليف ج.ج.لوريمر.

- **اللطائف في تاريخ الطائف**، تأليف أحمد بن محمد الحضراوي (مخطوط).

- **مذكراتي**، تأليف عبد الله بن الحسين.

- **مسالك الأبصار**، تأليف ابن فضل الله العمري.

- **من شيم العرب**، تأليف فهد المارك.

- **من شيم الملك عبد العزيز**، تأليف فهد المارك.

- **النجم اللامع**، تأليف محمد العلي العبيّد (مخطوط).

- **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، للقلقشندي.

وفي الختام أود أن أشكر كل من تعاون معي في إخراج هذا الكتاب أو ساهم فيه سواء بتقديم معلومة مفيدة، أو برأي صائب، كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى د. عوض البادي الذي قرأ مسودة هذا الكتاب وأبدى رأيه وملحوظاته القيمة التي كان لها الأثر الواضح في هذا الكتاب، والله ولي التوفيق.

تركي العتيبي

تمهيد

رأيت أنه من الواجب أن أمهد عن قبيلة عتيبة قبل استعراض أقوال ونصوص الرحالة الغربيين عن هذه القبيلة فأقول:

قبيلة عتيبة قبيلة عدنانية حجازية، تنزل الحجاز منطقة الطائف وجزءاً من بلاد السراة التي عرفت باسمهم سراة بني سعد، وهذه ديارها منذ العصر الجاهلي، ولم تنزل نجداً إلا في وقت قريب ومتأخر جداً مقارنة ببعض القبائل الأخرى(١)، وهي إحدى قبائل المملكة العربية السعودية ـ رعاها الله ـ .

ولا يزال قسم من قبيلة عتيبة في الحجاز وتمتد ديارهم من جنوب الطائف وشماله إلى بلد الغطغط غرب الرياض.

---

(١) نزلت قبيلة عتيبة أو قسم منها في حوادث سنة ١١٤٦هـ وحوادث سنة ١١٤٨هـ وأخرى سنة ١١٧٤هـ، إلا أن هذا النزول لا يعد نزول الغلبة والقوة والاستقرار، وقد ذكر المؤرخ ابن بشر في حوادث سنة ١٢٢٨هـ عن الإمام سعود بن عبدالعزيز وتأديبه لقبائل نجد ما نصه: «وإذا أرادت قبيلة من قبائل بوادي نجد العظام كمطير وعنزة وقحطان» ويعلق المؤرخ ابن بليهد عليها قائلاً: «تأمل في هذه العبارة فإنك لا تجد فيها لعتيبة ذكراً بخصوصها» انظر: عنوان المجد، لابن بشر، تقديم عبد الله بن محمد المنيف، مكتبة الملك عبدالعزيز، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٢٢٠؛ وصحيح الأخبار، لابن بليهد، ط٣، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ٢/١٢٨ - ١٢٩.

قال الشيخ حمد الجاسر ـ رحمه الله ـ عن ديار قبيلة عتيبة: «...ثم انساحت شرقاً حتى انتشرت أكثر فروعها في بلاد نجد، واستطاعت في عهد كان يقال فيه: (نَجْدُ لِمَنْ طالتْ قَنَاتُه) أن تزاحم مختلف القبائل، مثل قحطان وغيرها، حتى تمكنت من الاستقرار في البلاد، بعد جلاد وكفاح، وعراك يتطلب شجاعة وفروسية، في عهد كانت الخيل من أقوى عُدَدِ الكفاح فيه»[1].

وقال عاتق البلادي عن قبيلة عتيبة: «إحدى القبائل الكبيرة اليوم في شرق الحجاز ونجد، كانت ديارها حرة الحجاز شمال مكة على مدركة ورهاط ممتدة شرقاً وجنوباً إلى الطائف وما حولها، ثم قامت حروب بينها وبين جاراتها، فحاربت قحطان فأجلتها عن الأرض الممتدة على جانبي الطريق النجدية بين الدفينة والدوادمي، ثم احتلت ديارها، وحاربت مُطيراً في السفوح الشرقية لحرة الحجاز فزحزحتها عن المحاني وحرة كشب، فانساحت مطير إلى شمال شرقي نجد فملكت عتيبة تلك المنطقة إلى ضرية ونفء وعنز من جنوب القصيم. وأصبحت ديار عتيبة اليوم تمتد من رهاط ـ شمال مكة ـ غرباً، إلى قرية الغطغط ـ غرب الرياض ـ شرقاً.

أما حدها الجنوبي، فتضرب قوساً على الطائف من الشمال والشرق والجنوب، ثم تأخذ يمين الطرق النجدية على جنوب المويه وعفيف والشعراء إلى جبل اليمامة. وفي الشمال، تبدأ من الحرة جنوب حاذة ثم على شمال حرة كشب فضرية إلى الوشم. وهي قبيلة ذات قوة ومنعة، وكانت ذات غلبة تخشاها كل القبائل، ولذا يقولون لها (عتيبة الهيلاء). ومن تاريخ عتيبة: أنها كانت تساند الأشراف في مكة حيناً، وتزعجهم أحياناً..»[2].

---

(١) أصول الخيل العربية الحديثة، حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة، ١٤١٥هـ، ص١١٩.

(٢) معجم قبائل الحجاز، عاتق بن غيث البلادي، دار مكة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٣١٥ ـ ٣١٦.

وقد ورد ذكر قبيلة عتيبة في كثير من الكتب الرحالة الغربيين منهم ما قاله كارلو غوارماني الذي زار نجد أواخر سنة ١٢٨٠هـ: «ديرة عتيبة: **هناك فرعان رئيسيان لعتيبة وهما برقا والروقة، وعتيبة هي أقوى القبائل العربية، والثانية من حيث الأهمية بعد عنزة وهي تحتل الجهة الشرقية من الحجاز حول الحرار البركانية بين طريق الحج والسهول الوسطى، وتمتد مراعيها من القصيم والوشم إلى ديرة قحطان وتعد ديرتهم استثنائية من حيث تساقط الأمطار وتتاثر في فصل الخريف ولذلك ينبت هناك كميات كبيرة من الأعشاب والخضرة وبذلك يكون هناك مراعٍ جيدة..»**[1].

كما ذكرهم تشارلز داوتي فقال: «..**وعتيبة هي من أقوى القبائل في شبه الجزيرة العربية ويصل عدد أتباعها إلى نحو ٦٠٠٠ آلاف شخص ويشتهر أتباع هذه القبيلة بأنهم الأكثر اتزاناً بين قبائل البدو على الإطلاق، وكانوا أتباعاً لعبد الله بن سعود[2]، كما كانوا أكثر اعتدالاً في بينهم، أي أنهم كانوا بعيدين عن التطرف والتعصب...»**[3].

كذلك ذكرهم لوريمر بعد استقرار عتيبة في نجد فقال : «**هي قبيلة بدوية هامة من نجد تشغل البر الفسيح وامتدادها ٣٠٠ ميل بين القصيم وإقليم مكة، والقبائل البدوية المجاورة لها هم مطير من الشرق، وشمر من الشمال، وحرب من الشمال الغربي، وقحطان وسبيع من الجنوب، وإن جزءاً عظيماً من الطرق من عنيزة وبريدة إلى مكة يقع في أرضها، وقد اعتادت القوافل القصيمية التي تسافر على هذه الطرق أن**

---

(١) نجد الشمالية، رحلة من القدس إلى عنيزة في القصيم، تأليف كارلو قورمان؛ ترجمته من الإيطالية إلى الإنجليزية السيدة كابيل كيور، تقديم وتعليق دوجلاس كاروثار، الناشر مطبعة أروجونوت ١٩٣٨م، لندن، ص٩٤.

(٢) هو الإمام عبد الله بن فيصل بن تركي آل سعود.

(٣) الرحلات في شبه الجزيرة العربية، تأليف تشارلز داوتي، ص٣٩٤. (بتصرف).

تستخدم رفقاء من العتبان، وترى مواقعها بصفة خاصة في الدرعية ونخنة ومسكة وشبيرمة، وفي الشمال توجد حدودهم في وادي رماح ويوجدون في الشرق عند سهل قطن في ذلك الوادي، ووادي الوشم والسر وهم أيضاً من بين البدو الذين يترددون على منطقة الخرج ويشاهدون في بعض الأحيان في العارض، ومن حين لآخر يزور بعض العتبان القليلون بحثاً عن العيش، والمعروف أنهم يعسكرون في الجهة المواجهة في الحويّة وفي وادي سبيع، وتتكون ديرة عتيبة من سهول رملية وحصوية تنتشر عليها قطع الجرانيت والبازلت ولكن توجد بها مراع صحراوية ممتازة».

الحياة والمعيشة:

ويذكر لوريمر عن الحياة والمعيشة ما نصه: «معظم القبيلة رحّل متجولون ينتشرون في أراضيهم الفسيحة ولكن توجد لعتيبة بعض القرى الثابتة، ولها مزارع نخيل في التلال على بعد مائة ميل شمالي مكة، ويعيش العتبان بصفة أساسية على الجمال والأغنام والتي يملكون منها أعداداً كبيرة، وصوف أغنامها خشن وقصير ويصلح فقط لعمل الحبال وخيام البدو، ومنذ ٤٠ سنة كانت تملك عتيبة بعض الخيول العربية الأصيلة ويقال الآن إن الخيل الجيدة كانت تباع في داخل القبيلة بمبلغ ٢٠٠ دولار للحصان الواحد، وأثمان الجمال والأغنام أقل ثمناً عند العتبان مما هو عند مطير، ويبلغ ثمن أحسن جمال الركوب من ٦٠ ـ ٧٠ دولاراً للجمل الواحد، أما جمل الحمل فثمنه لا يتجاوز ٤٠ دولاراً، وثمن الرأس من الأغنام أو الماعز هو ٣ دولارات، وتعيش عتيبة على الغارات التي تشنها على الآخرين خاصة في شمال وادي رماح ثم على إرشاد الحجاج وهم في طريقهم إلى مكة».

أخلاق القبيلة:

وعن أخلاقها يقول لوريمر: «تتمتع قبيلة عتيبة بالاحترام وهي

كريمة للضيافة ولا تميل إلى الخيانة، وعقول العتبان أكثر رجاحة من معظم البدو، وهم محاربون مهرة، وهم أفضل في ذلك من بعض القبائل المشهورة، وهم من الناحية الدينية معتدلون وغير متعصبين»[1].

وسوف تمر بنا هذه النصوص وغيرها في هذا الكتاب التي ألّف من أجلها وبشكل موسع في مواضعها من أولئك الرحالة، لكننا أردنا استعراض شيء منها هنا لكي أعطي القارئ الكريم نماذج منها في هذا التمهيد، والله ولي التوفيق.

---

(١) دليل الخليج، القسم الجغرافي، تأليف: ج.ج لوريمر؛ ترجمة المكتب الثقافي لحاكم قطر، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت/لبنان، ١/٢٤٥ وما بعدها. (بتصرف).

(١)

مصر في القرن التاسع عشر

تاليف

إدوار جوان

ترجمة

محمد مسعود

الطبعة الأولى بالقاهرة

١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م

مصر في القرن التاسع عشر

قال إدوار جوان[1] في الفصل الثامن من كتابه عن بعض حوادث الدولة السعودية الأولى حيث تحدث عن أسر الأمير عثمان المضايفي وحصار طوسون باشا له في أحد المواقع قرب الطائف حيث يقول: «... **فحصرت هذا الموقع فرقة كبيرة من الجند وأطلقت النيران عليه فخرج المضايفي ليلاً في ثلاثين من رجاله متنكرين واخترق بهم صفوف أعدائه فاصابت فرسه رصاصة صرعتها فركض على قدميه يصحبه شاب من العربان ولكنه قبض عليه في الصباح بالقرب من قبيلة عتيبة وجيء به إلى الشريف غالب وتسلم من جاء به المكافاة الموعود بها وهي ٥٠٠٠ قرش واف. وأرسل المضايفي إلى القاهرة أسيراً فاستقبله كيخيا الوالي استقبالاً حسناً ثم أرسله إلى الأستانة حيث قطعت رقبته عقب وصوله إليها بايام. وكان عثمان المضايفي لقسوته وشدة طمعه اكبر نصير للوهابيين الذين لولاه لما استطاعوا فتح الحرمين الشريفين**»[2].

وتحدث إدوار جوان عن معارك عنيفة دارت بين قائد إحدى فرق القوات المصرية وبعض عتيبة: «**قرر مصطفى بك استئناف الهجوم في اليوم التالي فابان له الضباط خطر هذا الفعل لما يعلمونه من قلة المؤن**

---

(١) لم أقف على ترجمة له.

(٢) مصر في القرن التاسع عشر، تأليف إدوار جوان، ترجمة محمد مسعود، ط١، القاهرة، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م، ص٤٥٣.

والذخائر على أثر استنفاد معظمها أثناء الطريق في معارك عنيفة ضد قبيلة عتيبة التي طوردت في الجبال..»[1].

كما تحدث إدوار جوان عن استمالة محمد علي باشا لبعض القبائل بعد وصوله أرض الحجاز بسياسة الكرم والتسامح فقال: «.. **واستدرج في الآن نفسه إلى الاستظلال برايته القبائل التي لم تخضع له بعد وعامل الأسرى بالكرم والتسامح فاطلق سراحهم يروحون ويغدون بحسب مشتهاهم على أن يجتنبوا الوقوع في مثل ما أوجب اعتقالهم وحالف عربان هنيل وثقيف وبني سعد وعتيبة[2] وكلها من القبائل المطنبة بين مكة والطائف»**[3].

وقال إدوار عن إمداد الشريف راجح لبعض عتيبة أثناء حروب قوات الدولة السعودية وقوات محمد علي باشا: «..**فلما كان يوم ٢٨ محرم ١٢٣٠هـ الموافق ١٠ يناير ١٨١٥ برح مكة إلى كلاخ[4] وكان ينتظره بها حسن باشا وعابدين بك وطبوز أوغلو ومحو بك وبونابرت الخازندار والشريف راجح ومعهم من المؤن كفاية شهرين فوجه الشريف راجحاً عند وصوله إلى عتيبة لإمدادها، وكان الوهابيون يضيقون عليها الحصار وسار بنفسه في جيش من الفرسان إلى بسل وكان العدو قد استولى عليها..»**[5].

وقال إدوارد عن دور بعض الأفخاذ من القبائل وانضمامها إلى قادة جيش محمد علي باشا قبل محاصرة شقراء: «.. **وصلت بعد ذلك بقليل**

---

(١) المصدر السابق، ص٤٥٥.

(٢) بنو سعد وعتيبة قبيلة واحدة، ولكن من بقي من عتيبة في سراة بني سعد جنوب الطائف احتفظ باسم بني سعد وإلا فالجميع من بني سعد من عتيبة؛ وسعد هو سعد بن حجاج بن أكوع بن عتيب جد قبيلة عتيبة.

(٣) مصر في القرن التاسع عشر، مصدر سابق، ص ٤٧.

(٤) كلاخ: وادٍ يقع شرق الطائف وهو من ضمن أراض منحها الشريف حسن بن أبي نمي (ت١٠١٠هـ) للنفعة من عتيبة سنة ١٠٠٥هـ.

(٥) مصر في القرن التاسع عشر، مصدر سابق، ص ٤٨٣.

قوة مؤلفة من ٨٠٠ رجل ومدفعين للحصار وجمال كثيرة ومؤن ونخائر فاصبح الجيش المصري بها مؤلفاً من ٤٠٠٠ ألباني ومصري و٥٠٠ مغربي تحت قيادة حسن كاشف ثم من عربان قبائل مطير وحرب وبني خالد وعتيبة الذين كان مشايخهم يقيمون في المعسكر المصري العام ويقومون بالاستطلاع للجيش المصري وحراسة القوافل الحاملة للميرة والعلوفة والذخيرة. وكان مع هذا الجيش فيما عدا المدافع المتقدمة اثني عشر مدفعاً وبضعة آلاف من الخدم و١٠٠٠٠ دابة للنقل..»[١].

(١) المصدر السابق، ص٥٦٠.

(٢)

أخبار الدولة السعودية الأولى، ونجد وحملات محمد علي على الجزيرة العربية من كتاب تاريخ مصر في عهد محمد علي

تأليف

فيليكس مانجان

ترجمة وتقديم وتعليق

الدكتور محمد خير البقاعي

الرياض ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م

أخبار الدولة السعودية الأولى ونجد وحملات محمد علي باشا على الجزيرة العربية

قال مانجان[1] عن أسر بعض العتبان لعثمان المضايفي[2]: «... **وبعد**

(١) نقل د.البقاعي ما قيل عن المؤرخ مانجان من بعض المؤرخين ومنهم د.منير العجلاني وأمين الريحاني وأضاف عليها وصحح بعضها يقول د.البقاعي في ترجمة المؤلف مانجان: «والسيد فيلكس مانجان FELIX MENGIN فرنسي جاء إلى مصر مع حملة نابليون، وبقي فيها بعد انسحاب الجيش الفرنسي، وقد كان شاهد عيان على الأحداث التي دونها في كتابه من جلاء الفرنسيين حتى عام ١٨٣٨م، وكان مقيماً في مصر موظفاً سياسياً في الوكالة الفرنسية بالقاهرة، وكان صديقاً حميماً لمحمد علي باشا. وقد ذكر إدوار جوان أن محمد علي اقترض في سنة ١٨٠٥م من مانجان ٢٥٠٠ فرنك فرنسي ليدفع رواتب الجند المتأخرة.
ونقل د.البقاعي عن أمين الريحاني في كتابه تاريخ نجد وملحقاتها ط٤، ١٩٧٢م، ص١٤ ما مفاده: أن روايته التي تختص بحوادث نجد لا تختلف كثيراً عن رواية ابن بشر، إلا أن في التاريخ المصري وبالتالي الفرنسي، بعض الأشياء التي فات ابن بشر ذكرها، أو أنه يجهلها..
وكذلك نقل د.البقاعي عن د.منير العجلاني في كتابه، ج ١، ص ٣٤٩ قوله: «..وأما عبدالرحمن بن عبد الله (آل الشيخ) فقد عاش منفياً في مصر، ومات فيها سنة ١٢٧٤ه وكان عالماً يشار إليه بالبنان، وكان يدرس في رواق الحنابلة في الجامع الأزهر بالقاهرة، واستوطن أولاده مصر. ويظهر أن المؤرخ الفرنسي مانجان أخذ أكثر معلوماته عن نجد من الشيخ عبدالرحمن، خلال إقامته في مصر، بمهمة علمية». انظر المصدر ص١ وما بعدها.

(٢) هذه الترجمة أطلعت على مسودتها وهي في طريقها إلى النشر.

زمن قصير من وصوله إلى مكة المكرمة عرف طوسون أن عثمان المضايفي يحتل الطائف بعدد قليل من المحاربين، فتهيأ للمسير لقتاله. ورافقه في حملته الشريف غالب ومصطفى بيك، وكانت الحملة مؤلفة من الفرسان فقط. ولما اقتربت تلك القوات من الطائف غادرها المضايفي، وتراجع إلى بسل التي لم تكن موقعاً حصيناً، في حين أن المدينة التي كان يحكمها منذ عدد من السنين، كانت مزودة بالغذاء والذخيرة اللازمة للحرب، وفي حالة يمكنها معها أن تصمد في وجه الحصار. ونبهه جنوده إلى الخطأ الذي ارتكبه؛ ولكن الرجل، كما يقول المسلمون، كان يجري إلى قدره. وحاصر الأتراك هذا الموقع غير الحصين. ولما اشتد الحصار على المضايفي، خرج ليلاً على رأس مجموعة صغيرة من فرسانه، وكاد أن يخترق بهم معسكر الأعداء، ولكن بعضاً من أتباعه أسر، وهرب بعضهم.

وأصيبت الفرس التي كان المضايفي يمتطيها برصاصة قتلتها، فركض على قدميه هارباً يصحبه شاب من البدو. وساعده الليل على الهرب، وسلك طريق تربة.

ولما اقترب الصباح وجد نفسه بالقرب من جبل تضرب قربه قبيلة عتيبة مضاربها، فأسرته، وسلمته للشريف غالب، وقد فعلوا ذلك ثأراً لبعض أفراد قبيلتهم الذين لقوا حتفهم في الطائف[1]. وأرسل إلى القاهرة. ولما علم

---

(١) تعليل فيلكس مانجان على تسليم عثمان المضايفي وأسره، لعلها رواية سمعها مانجان من الشيخ عبدالرحمن بن عبد الله آل الشيخ المقيم في مصر آنذاك، وهي في نظري من الأسباب التي أدت إلى أسره وتسليمه، ولكن هناك سبباً آخر ذكره المؤرخ أحمد بن محمد الحضراوي في كتابه «اللطائف في تاريخ الطائف» (مخطوط)، ص٧٥، وهو قوله: «...وهلك الكثير من قوم عثمان حتى ظن أنه فيمن هلك فلم يكن إلا وقد شرد من بين الجموع لما صارت الكسيرة قتلت فرسه فنزل عنها ورمى كل ما عليه غير سيفه واختفى في غار فمر عليه رجل من العصمة صار له من عثمان في السابق ضرب ونكال فنسي عثمان ذلك فاستنجده بأن يأتي له بقربة وراحلة أي ذلول وزاد يوصله إلى تربة فقال له حاضر كل ما تريد يصير فذهب وجاء بذلك وأخيه وابن عمه فتنكر منهم فقالوا له أنت في الأمان ثم غافلوه وربطوه وحملوه على الذلول مربوطاً وخلفه راكب ومن أطرفه اثنان يبارونه =

الكيخيا بيك بوصول الأسير إلى بحيرة الحجاج، أرسل احد ضباطه لاستقباله.

ولما استلمه الرسول من حراسه نزع قيوده، وقاده في موكب عظيم إلى القلعة، ودعاه الكيخيا بيك إلى الغداء، وخصص له جناحاً في بيته. وبعد أربعة أيام أرسل إلى أستانبول، يقوده نجيب أفندي. وقبل أن يركب المركب في بولاق قيد ثانية.ولما وصل إستانبول قتل».

وقال مانجان في مسير جيش إبراهيم باشا من بريدة إلى المدينة: **«..وكان البدو من قبيلة مطير، وحرب، وعتيبة، وبني خالد يقومون بحراسة القوافل، ويستطلعون الطريق التي يسلكها الجيش وكان زعماؤهم يقيمون في المعسكر العام، شأنهم في ذلك شان زعماء القرى الذين يفضلون رؤية وطنهم مهزوماً(١)».**

وقد وضع مانجان جدولاً ذكر فيه أسماء بعض القبائل وأسماء بعض شيوخها وعدد المشاة وعدد الفرسان ومنها عتيبة، حيث ذكر اسم الشيخ محمد بن ربيعان، وعدد المشاة ٤٠٠٠، والفرسان٣٠٠(٢).

كما ذكر مانجان وقعة عام ١٧٩٦م: عندما أرسل الشريف غالب قوات وجماعة من البدو بقيادة الشريف فهيد إلى بلاد نجد وكان هادي بن

= حتى أوصلوه إلى الشريف فما زال عثمان يعالجهم في فكاكه ويعدهم بالمال فقالوا: المال نأخذه من الشريف وهذا ثأر ما صار منك من النكال وجعل مواضعنا بيت مال فمكث عند الشريف بالطائف أياماً ويجتمع به كبار العساكر ويعجبون من حقارة جسمه وكبير فعله وجرمه وفي حال دخوله على الشريف قال:

إذا قدر الكريم رجوت عفواً   ولا يرجى إذا قدر اللئيم

فبدرت بوادر حلم الشريف ولولا الأتراك ورجال الدولة العلية لكان فكاكه ممكناً ثم حمله إلى مكة وأرسله إلى مصر لمحمد علي باشا فأرسله إلى..السلطان وهلك بإسلامبول بباب همايون».

(١) هذا الكلام لا يمثل أبناء الوطن، وإنما يمثل وجهة نظر المؤلف، وإلا فزعماء القرى والبادية مغلوبون على أمرهم وهذا مما بليت به البلاد والعباد في ذلك العهد.

(٢) نقل هذا د.منير العجلاني في كتابه تاريخ البلاد العربية السعودية، ج ٣ - ص٣٢٣، ٣٣٣.

قرملة شيخ قحطان ينزل بالقرب من آبار ماسل[1] بين وادي الدواسر وتربة... هزم فيها ابن قرملة[2] حيث يقول بعد ذلك: «**ولما عادت هذه الحملة، ورأى غالب ما حققته من انتصار تشجع وأرسل جيشاً أكثر عدداً بقيادة الشريف ناصر بن يحيى وانضم إلى هذا الجيش البدو القاطنين في أنحاء رنية وتربة. ولما علم عبدالعزيز بالإجراءات المعادية التي اتخذها الشريف ضده، أرسل جماعة من البدو أتباعه لتدعيم صفوف هادي.**

كان وادي الدواسر المكان الذي التقت به تلك القوات، وتقدم هادي على رأسها، حتى وصل إلى مورد يسمى الجمانية. وكان جيش الشريف بمدفعيته وبدوه يتقدمون في الاتجاه المعاكس.

واشتبك الطرفان في أول يوم من رمضان، وبدأت المدفعية قصفها، وحمي الوطيس، وقُتل أبو محيور، شيخ قبيلة عتيبة، حليفة أهل مكة المكرمة[3] وتوقفت لخبر مقتله المعركة.

---

(١) ماسل: هناك أكثر من موضع يدعى ماسل أحدهما يقع في الشرق الجنوبي لهضب الدواسر، وثانيهما ولعله المقصود ماء عذب، يقع في جوف واد ضيق، تحف به جبال سود عالية من جانبيه، وسيله يفيض شمالاً، يقع في الطرف الغربي الشمالي لجبال عرض شمام، يبعد عن مدينة الدوادمي صوب الشرق الجنوبي مسافة ٨٥ كيلاً، وقد تأسست بالقرب منه هجرة حديثه لذوي خيوط من الدعاجين من عتيبة، رئيسهم في ذلك العهد الشيخ عبد المحسن بن عقيّل. انظر: عالية نجد، ٣/ ١١٣٥-١١٣٦.

(٢) ذكر خبر هذه الوقعة المؤرخ ابن غنام فقال: «وفي هذه سنة ١٢١٠هـ جمع الشريف غالب بن مساعد جموعاً كثيرة، وجعل رئيسها فهيداً الشريف، فانضمت إليه أعراب الحجاز وبواديه، وساروا يريدون هادي بن قرملة وجماعته من أعراب قحطان - وكانوا على ماء ماسل في عالية نجد. فأقبلت على ابن قرملة تلك الجموع... فلم يستطع الخروج منه. فصبر زمناً طويلاً يقاتلهم حتى قتل منهم ثلاثين رجلاً وقُتل من قحطان نحو عشرين فارساً. ثم انهزم ابن قرملة، وأخذ الشريف فهيد قومه مجتمعين، ولكنه لم يقتل منهم سوى رجل واحد» انظر تاريخ نجد» لابن غنام، تحقيق د.ناصر الدين الأسد، دار الشروق، ط٤ - ١٤١٥ - ١٩٩٤م، ص١٨٨ - ١٨٩.

(٣) أبو محيور هذا من فخذ الجمالية من الثبتة من الروقة من عتيبة ذكره المؤرخ المعاصر له وهو ابن غنام حيث ذكر خبر مقتله في هذه الوقعة التي دارت سنة ١٢١٠هـ حيث قال: «وسار سعود بجيوش المسلمين يريد الحجاز، فأغار على=

وفي اليوم التالي احتدمت المعركة من جديد، وزج هادي بن قرملة في أتون المعركة كل قواته لمواجهة قوات الشريف التي ولت الأدبار، تاركة خيامها، ومدفعها، وذخائرها، وامتعتها. وكان عدد القتلى في صفوفهم ثمانمائة قتيل. لقد عانى فرسان ابن قرملة خلال يومي المعركة كل المعاناة، بيد أن طمعهم بغنائم ثمينة جعلهم يستميتون في مطاردة الأعداء. وبلغت الغنائم ستة آلاف جمل، و١٠٠ ألف رأس من الغنم».

وذكر مانجان في حوادث سنة ١٧٩٨م قوله: **«وفي العام نفسه، طلب البدو المناصرون للشريف غالب من عبدالعزيز بوساطة من حمود بن ربيعان، شيخ قبيلة عتيبة[1]، أن يقبلهم في عداد رعاياه. فوافق عبدالعزيز شرط أن تدفع كل أسرة ضريبة قدرها أربع تلرات ناهيك عن أنه ينبغي على كل فريق أن يقدم سلاحاً وخيلاً، وهجناً. إلا أن فريقاً من قبيلة سبيع لم ترض الامتثال لهذا الاتفاق[2]».**

= أعراب من عتيبة ـ كبيرهم أبو محيور. فلما التقى الجمعان هزمهم المسلمون، ففرُّوا وتوعَّروا في الحرَّة فشدَّ المسلمون خلفهم حتى أعيتهم حجارة الحرة فتركوهم ورجعوا. وقد استولى المسلمون في هذه الغزوة على محلَّة أولئك العتبان، وأخذوا من الإبل نحو الألفين أو يزيد، ومن الغنم عشرة آلاف. وقتلوا أبا محيور رئيسهم وقُتل من المسلمين: سبيلا بن نصير المطرفي» انظر تاريخ ابن غنام، مصدر سابق، ص ١٨٩.

ويذكر المؤرخ ابن بشر أن الوقعة كانت في شهر جمادى الآخرة من السنة المذكورة انظر عنوان المجد، مصدر سابق، ص ١٤١.

(١) هو الشيخ حمود بن محصن بن ربيعان يعد من أبرز شيوخ قبيلة عتيبة في الدولة السعودية الأولى حسب ما دونته المصادر التاريخية، بايع الإمام عبدالعزيز بن محمد، وأول ذكر له هو سنة ١٢٠٥هـ في تاريخ ابن عبد الشكور وذلك عندما كان تابعاً لشريف مكة غالب بن مساعد، توفي سنة ١٢١٧هـ انظر تاريخ ابن عبد الشكور، حوادث سنة ١٢٠٥هـ.

(٢) ذكر هذا الخبر المؤرخ ابن غنام فقال: «وأرسل كثير ممن حول مكة من الأعراب، ومعظمهم من قبائل العتبان، إلى عبدالعزيز[ابن محمد بن سعود] يطلبون منه الأمان والدخول في الإسلام، وجعلوا حمود بن ربيعان رسولهم وسفيرهم بذلك إلى عبد العزيز. فأجابهم عبدالعزيز إلى ما طلبوا، وجعل على كل بيت عدة=

وذكر مانجان في حوادث سنة ١٨٠٢م عند دخول عثمان المضايفي للطائف حيث قال عن خروج الشريف غالب: «.. **وخرج من الطائف مع قواته، وتوجه نحو بسل، حيث كان عثمان صهره. ولما علم سالم بن شكبان بهذا التحرك، سار لمواجهته مع هادي بن قرملة، وبدو قبيلة عتيبة. فلاذ الشريف بالفرار، ودخل الطائف، ظل في الطائف يومين ينظم الإجراءات الدفاعية، ثم انسحب نحو مكة المكرمة. وجاء ابن شكبان بالاتفاق مع هادي بن قرملة وعثمان المضايفي لمهاجمة الطائف. ولما وصلوا تسلقت القوات الأسوار، ودخلوا المدينة وقتلوا جنود الشريف، وقتل بعض الأهالي أيضاً. وبعد أن استسلمت المدينة أعلن العفو العام وأصبح المضايفي حاكماً فيها**»[١].

وقال أيضاً: «**إنه لما علم الأب سعود أن الشريف اشترك في الحرب خرج من الدرعية على رأس ألفي رجل واستنفر جنوداً آخرين من الأقاليم وتوجهت ركابه نحو الحجاز، ولما وصل إلى ماء الحنابج**[٢]**، انضمت إليه قوات هادي بن قرملة، وقوات سالم بن شكبان، ومعهم بدو قبيلة عتيبة**[٣] **وظل عدة أيام في موقعه نفسه**».

= دراهم عقوبة ونكالاً؛ انظر تاريخ ابن غنام، مصدر سابق، ص ٢٠٢. بعد صف هذا الكتاب طبع كتاب مانجان. انظر قائمة مصادر هذا الكتاب.

(١) خبر هذه الوقعة مفصل في تاريخ ابن بشر، عنوان المجد، مصدر سابق ص ١٦٧ ـ ١٦٨. وكذلك تاريخ ابن عبدالشكور.

(٢) الحنابج: ماءٌ قديم، أحساء كثيرة في واد داخل جبل النير، في جهة النير الغربية، وسيله يفيض غرباً ويصب في وادي عدل، وهو جنوب طريق السيارات المسفلت بين بلدة عفيف والقاعية، وقد تأسست فيه هجرة حديثة لقاعد أبو خشيم المرشدي الروقي العتيبي وجماعته، وهي عامرة، فيها محكمة شرعية ومدرسة ابتدائية للبنين ومدرسة ابتدائية للبنات ومستوصف، ولها خدمات بريديّة منتظمة وهي تابعة لإمارة عفيف. انظر عالية نجد، تأليف سعد بن عبد الله بن جنيدل، منشورات دار اليمامة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ٤٢٢/١ وما بعدها.

(٣) وفي هذه الخبر إشارة إلى أن العتبان الذين في نجد على ماء الحنابج مع قوات هادي بن قرملة وسالم بن شكبان، هم الذين كانوا تابعين للإمام عبدالعزيز بن محمد، وهم على الأرجح من قبائل الروقة من عتيبة.

(٣)

رحلات في شبه جزيرة العرب

تأليف

جون لويس بوركهارت

ترجمة

د.عبدالعزيز بن صالح الهلابي

د.عبدالرحمن عبد الله الشيخ

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

بيروت - لبنان

رحلات في شبه جزيرة العرب

قال بوركهارت[(1)] عن واردات الطائف: «**وتقتصر الواردات من الداخل في الوقت الحاضر على التمر الذي يقوم بجلبه رجال من قبيلة**

---

(1) هو جوهان لودفنغ بوركهارت ولد في لوزان السويسرية سنة ١٧٨٤م فهو ألماني الأصل سويسري الجنسية، من عائلة بوركهارت النبيلة المعروفة في أوروبا منذ القرون الوسطى والده عسكري برتبة كولونيل، كان يخدم في الجيش الفرنسي، ولكنه فضل بريطانيا الملكية على فرنسا الجمهورية.

وصل جدة عن طريق سواكن عام ١٨١٤م، وفي جدة أصابته الحمى وكاد أن يموت، وسمع بوركهارت بوصول محمد علي باشا إلى الطائف فانطلق إليه وهناك رحب به محمد علي وتبادل معه شؤون الساعة، وأبدى له الباشا تخوفه من وقوف بريطانيا بوجهه بعد اندحار نابليون، توسل بوركهارت سيادة الباشا بالسماح له بالحج إلى مكة فسمح له بذلك فوصل مكة في ١٨ أيلول ١٨١٤م وهناك دوّن ملاحظاته عن الحجاز في ما يقارب ٣٥٠صفحة كانت كافية ووافية وبعدها قرر العودة إلى القاهرة ماراً بينبع فوصلها وهو في أشد حالات المرض، وفي القاهرة استعاد شيئاً من صحته فعكف على كتابة مذكراته، وأرسلها إلى الجمعية الجغرافية في بريطانيا فكانت مرجعاً صادقاً لكثير من الباحثين والرحالة عن بلاد الشرق، مات في القاهرة بمرض الزحار في ١٥ أكتوبر ١٨١٦م ودفن في مقبرة إسلامية بوصفه الحاج إبراهيم بن عبد الله الشامي وعمره لم يتجاوز ٣٣ عاماً. وكتب على قبره(هذا قبر المرحوم إلى رحمة الله تعالى الشيخ الحاج إبراهيم المهدي بن عبد الله بوركهارت اللوزاني، تاريخ ولادته ١٠ محرم ١١٩٩ من الهجرة، وتاريخ وفاته إلى رحمة الله بمصر المحروسة في ١٦ ذي الحجة سنة ١٢٣٢هـ الموافق ١٨١٧م). انظر رحالة الغرب في ديار العرب أسعد الفارس، الناشر صقر الخليج للنشر والإعلان، ط ١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

عتيبة من بساتين النخيل في أراضيهم[١]».

وقال عن طريق السيل الذي يربط بين مكة والطائف: «**...وهذا الطريق لا يمكن السفر معه الآن إلا للقوافل الكبيرة المعدة جيداً للدفاع عن نفسها، فكثيراً ما يقوم رجال قبيلة عتيبة الخطرين بغارات في هذه الجهة وينهبون القوافل الصغيرة[٢]».**

وقال عن أحياء العرب التي تسكن حي المعابدة بمكة: «**..حي المعابدة الذي يتكوَّن في جانب منه من منازل حجرية واطئة وسيئة البناء، كما يتكون في الجانب الآخر، من سقائف أو أكواخ مشيدة من فروع الأشجار، وهذا الحيُّ مسكونٌ كلية من قبل البدو الذين أصبحوا مستقرين هنا بغرض ممارسة التجارة بشكل مستمر خاصة تجارة الغلال والتمور والماشية ـ بين مكة المكرمة من ناحية، ومواطن قبائلهم من ناحية أخرى ـ وقد رأيتُ بينهم عرباً من قبائل قريش وثقيف وهذيل وعتيبة[٣]، ويقال: إنه في وقت السلم يُوجد هنا في المناسبات أفراد من كل القبائل الكبيرة في الصحراء»[٤].**

وقال عن إرسال أبناء الأشراف إلى مضارب بعض القبائل ومنها بنو سعد من عتيبة: «**..أما الأشراف الآخرون من غير أسرة الشريف الحاكم فقد كانوا يرسلون أطفالهم إلى مضارب هذيل وثقيف وبني سعد وغيرها»[٥].**

وقال عن اشتهار الطب عند بعض بني سعد من عتيبة: «**وقد سمعت أن الجرَّاحين الوحيدين الذين يعرفون كيف يجرون عملية استخراج**

---

(١) من الراجح أن أرض عتيبة المقصودة هنا في نص بوركهارت لم تكن جنوب الطائف، ولعل المقصود هنا أراضي عتيبة في شرق الطائف وشماله.

(٢) رحلات في شبه جزيرة العرب، تأليف جون لويس بوركهارت، ترجمة د.عبدالعزيز الهلابي، ود.عبدالرحمن عبد الله الشيخ، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص٨٤ ـ ٨٥.

(٣) يفيدنا هذا النص أن سبب سكنى العتبان وغيرهم من أبناء العرب في حي المعابدة كان بسبب عملهم في التجارة.

(٤) المصدر السابق، ص١٢٣.

(٥) رحلات في شبه جزيرة العرب، مصدر سابق، ص٢١٠.

الحصى من المثانة، هم من بدو قبيلة بني سعد الذين يعيشون في الجبال، على بعد ثلاثين ميلاً إلى الجنوب من الطائف. ففي وقت السلم يذهب بعضهم إلى مكة سنوياً لإجراء هذه العملية. وقد تلقَّوا معلوماتهم عن هذه العملية كموروثات سرِّية في بعض أسرات قبيلتهم. وإنه ليُقال إنهم يستخدمون في ذلك شفرة معتادة، وغالباً ما تُكلل هذه العمليات بالنجاح...»[1].

وقال عن بعض مواطن عتيبة: «**...وتستمر رؤيتنا للجبال التي تمتد شرقاً من عشرين إلى ثلاثين ميلاً، وهي ذوات قمم حادة شامخة، وأحياناً تكون تلك القمم معزولة عمّا حولها وتسكن قبيلة عتيبة هذه الجبال التي كانت في القرن السابع عشر ـ وفقاً لما ذكره العصامي ـ تقطن أيضاً وادي فاطمة»**[2].

وقال عن محطات قافلة الحجيج عبر المناطق الجبلية بين مكة وصنعاء في اليمن والتي تمر ببلاد بني سعد من عتيبة: «**...اليوم الرابع عبَّاسة.. في منطقة عرب ثقيف**[3]**. اليوم الخامس ملاوي جدارة**[4] **ـ منطقة عرب بني سعد. اليوم السادس ـ مخرى[مجرى] ـ منطقة عرب الناصرة وأكبر قرى قبيلة بني سعد هي لقيم**[5]**..»**[6].

---

(١) المصدر السابق، ص٢٢٠.

(٢) المصدر السابق، ص٢٢٧. قبيلة عتيبة تقطن جنوب الطائف منذ وقت مبكر من العهد الإسلامي.

(٣) هذا القول غير صحيح فعباسة تقع جنوب الطائف على بعد ٣٥ كم تقريباً وهي في بلاد بني سعد من عتيبة وهي للمراوحة من الثبتة من بني سعد من عتيبة.

(٤) جدارة أيضاً تقع جنوب الطائف وهي من قرى الثبتة من بني سعد.

(٥) هذا القول غير صحيح فقرية لقيم تقع شمال الطائف على نحو ١٠كم تقريباً، ويقطن فيها فروع من عتيبة، وهي خارج نطاق السراة التي نسبت إلى بني سعد من عتيبة، ولا أستطيع الآن أن أجزم ما هي أكبر قرى بني سعد زمن رحلة بوركهارت ولكن من أشهر قراهم: عباسة وأم البكار، وبقران، والسحن، والكلادا، والخشاشة، وقرية اللهوب ولغب والرحا، وغيرها من القرى التي كانت معروفة في ذلك العهد وأقدم منه، حيث ذكر بعضها الموسوي في رحلته سنة ١١٤١هـ.

(٦) المصدر السابق، ص٤٠٣.

وقال عن العصمة من عتيبة: «**وموقع كلاخ بالنسبة للطائف في شرق الجنوب الشرقي. وبالقرب من ليّة وكلاخ تعيش قبيلة العصمة وهي فرع من قبيلة عتيبة الكبيرة**»[١].

وقال عن كلاخ وهو للنفعة من عتيبة: «**..ومن ثم كلاخ، يقطنها عرب عتيبة أكثر قبائل الحجاز عدداً**»[٢].

وقال عن بعض عتيبة التي تعيش في القصيم: «**وتعيش بطون من قبائل عنزة وعتيبة ومقرهم الرئيسي في جبال الحجاز ومطير طوال العام بين سهول القصيم التي تتوفر فيها مراع ممتازة**»[٣].

---

(١) المصدر السابق، ص٤١١.

(٢) المصدر السابق، ص٤١٢.

(٣) المصدر السابق، ص٤٢٤. ونلاحظ أنه قال إن مقرهم الرئيسي في جبال الحجاز، ولكنهم من أجل رعي مواشيهم ينزلون وقت الربيع إلى المناطق السهلية والمراعي وحتى انتهائه.

(٤)

البدو والوهابية

تأليف

جون لويس بوركهارت

ترجمة

محمد الأسيوطي

الطبعة الأولى

١٩٩٥م

البدو والوهابية

قال بوركهارت عن تسليم عثمان المضايفي وابن مضيان: «**وقد تم تسليم اثنين من كبار الأمراء الوهابيين، وهما عثمان المضايفي على يد أصحاب الخيام التي لجأوا إليها. وكان الأول رجلاً من قبيلة عتيبة قرب الطائف، والثاني من بني حرب قرب بدر. وكوفئ الرجلان على غدرهما ونالا مكافآت متواضعة، وحاول كلاهما الاعتذار عما فعل بالقول إن الهاربين اللذين بحثا عن الملجأ كانا من المشركين، ولذلك لا يستحقان كرم الضيافة**»(١).

وقال بوركهارت: «**البدو من المدينة المنورة وباتجاه مكة المكرمة والطائف شرقي سلسلة الجبال العظيمة. تقيم بنو حرب فوق تلك الجبال في الجانب الغربي باتجاه البحر.**

وتوجد شرقي تلك السلسلة السهول التي تقطنها قبيلة عتيبة القوية، تمتد أراضي عتيبة حتى جنوبي الطائف وهي مراعٍ خصيبة تمتلك وفرة في الإبل والأغنام. يتمتعون بسمعة طيبة في الشجاعة وهم في

---

(١) هذا القول ربما يمثل وجهة نظر بوركهارت، ولكن الصحيح في نظري هو ما ورد في نصوص إدوار جوان وفيلكس مانجان المتقدمة والمؤرخ محمد بن أحمد الحضراوي، فما ذكره من أسباب هي أقرب للحقيقة إن لم تكن هي الحقيقة بعينها، خاصة نص الحضراوي الذي يعد من أهل المنطقة، وقد تقدم ذكر هذه النصوص من هذا الكتاب.

حالة حرب دائمة مع كل القبائل المجاورة. كانت عتيبة العدو الأصيل لقبيلة حرب قبل زمن الوهابية[1]، وتحصل عتيبة على بعض المنافع من الحجاج المارين بأراضيهم، ويوجد طريقان للحج، يمر الأول في الاتجاه الغربي من المدينة المنورة إلى مكة ببلاد حرب.

والثاني: يمر في الاتجاه الشرقي عبر أراضي عتيبة. لم أتعرف على فروع تلك القبيلة. لا تقل قوة عتيبة عن ستة آلاف رجل مسلح بالبنادق وربما يصل العدد إلى عشرة آلاف رجل».

وقال: «وقد سمى الوهابيون عثمان المضايفي زعيماً على كل بدو مكة والطائف الذين يدينون بالوهابية. وعثمان المضايفي هو صهر الشريف غالب، الذي أخذه أسيراً وأرسله إلى القسطنطينية حيث قطعت رأسه[2]. وبعد المضايفي، تدهورت القبيلة واتخذت بقايا عدوان[3] الملاذ عند قبيلة عتيبة».

وقال عن قبائل الطائف حيث ذكر منهم: «والقبائل الرئيسية لثقيف هي: بنو سفيان، والذين يعيشون أيضاً كبدو، ويحشدون من ستمائة إلى سبعمائة رجل مسلح بالبنادق وهناك قبيلتان صغيرتان هما: مُضر، و[ربيع][4]. تعيش مضر وربيع مع ثقيف ويشاركانها في المنافع، رغم أنني أتشكك في انتماء كليهما إلى ثقيف[5]. يسكن بنو ربيعة المهاجرون

---

(١) يقصد بالوهابية الدولة السعودية.

(٢) المصدر السابق، ص ١٤٠.

(٣) عدوان: هم قبيلة الأمير عثمان المضايفي والنسب إليها عدواني، وهي من قيس عيلان من العدنانية.

(٤) جاء في أصل الترجمة: ربيعة، وهو خطأ وإنما المقصود بها ربيع وهم من النفعة من عتيبة يحادون قبيلة ثقيف ولا يزالون.

(٥) نلاحظ أن بوركهارت يشكك في انتماء كل من مضر وربيع إلى ثقيف، فأما ربيع فهي من النفعة كما أسلفنا وهي تحاد بني سفيان من ثقيف. أما مضر فأعتقد أن الاسم هنا فيه تصحيف وأن المقصود بها ثمالة وهم حي من الأزد ولكنها حالفت ثقيفاً.

قسماً هاماً في النوبة فوق الشلال الأول وسلالتهم الكنوز الذين يطلق عليهم خطأ (البرابرة)[1] وتستطيع ثقيف جمع ألفي رجل مسلح بالبنادق وقد دافعوا عن الطائف في مواجهة الوهابيين».

وقال: «أستطيع الحديث فقط من خلال التقارير وسأورد القبائل التي تقع أراضيها التي قدمت لها وصفاً خاصاً في رحلاتي إلى الجزيرة العربية، من الطائف بمحاذاة السهل الجنوبي الشرقي من الشمال إلى الجنوب، حاذى تقدمنا شرقاً من الطائف.. نجد في العصمة قبيلة عتيبة».

وقال: «من الطائف بمحاذاة الجبال جنوباً بنو سعد: يقول عنهم المسعودي في مؤلفه (مروج الذهب): كما يقول عن عرب قحطان.. إنهم بقايا القبائل الأولى للجزيرة العربية ومعظم القبائل الأخرى حول مكة المكرمة والطائف والمدينة المنورة معروفة جيداً في التاريخ العربي منذ دعوة الإسلام وسبقت القبائل الأخرى مثل هذيل، قريش، ثقيف، فهم، مزينة، حرب، محمد، ولكن قبيلتي بني سعد وقحطان معروفتان في التاريخ الموغل في القدم، حيث يغطي الغموض الجزء الأكبر من التاريخ العربي»[2].

وقال بوركهارت: «وقرر محمد علي إنفاذ هجوم ثان، وأوفد طوسون باشا في نهاية أكتوبر، أو بداية نوفمبر سنة ١٨١٣، على رأس ألف رجل من الطائف للاستيلاء على تربة. كانت البلاد الواقعة بين تربة والطائف في يد القبائل المعادية من بني سعد، وناصرة وعتيبة، وأبدت تلك القبائل

---

(١) يظهر هنا أن بوركهارت ربط بين ربيع وقبيلة تدعى ربيعة في النوبة نظراً لاتفاق الأسماء، ومرد ذلك أنه ظن أن ربيع هم ربيعة.

(٢) ما ذكره بوركهارت هنا غير صحيح وما نقله عن المسعودي صاحب مروج الذهب ليس فيه سوى ربط أسماء، وبنو سعد التي عناها بوركهارت بنو سعد من عتيبة، وقد ذكرها في هذه الديار الهمداني وذكر أنها سعد كنانة من العدنانية، وحول ادعائه أنها سبقت القبائل الأخرى مثل هذيل وثقيف وغيرها فغير صحيح حيث يذكر التاريخ الإسلامي أعلاماً من ثقيف وهذيل وغيرهم ولم يذكر لنا أعلاماً من بني سعد من عتيبة رغم وجودهم في صدر الإسلام، انظر صفة جزيرة العرب ص ١٢٠.

حيادها، واعتزم الشريف وبعض مشايخ تلك القبائل التفاوض مع الباشا.

وفور أن ألقى محمد علي القبض على الشريف، هرب مشايخ القبائل إلى الجبل، ممن لم يتمكن غدر الباشا النيل منهم. وبدأ هؤلاء في شن غارات على الطائف والقوات التركية. وعندما سار طوسون من الطائف، أخذ معه مؤناً تكفي لثلاثين يوماً، تم نفاد [نفد] الجزء الأعظم من تلك المؤن في القتال الضاري مع عتيبة، ونجح طوسون في اصطيادهم في الجبال مما دفع بعض فروع القبيلة إلى الإذعان».

وقال عن محمد علي باشا: «وسعى منذ وصوله إلى الطائف إلى إعادة فتح الاتصالات الودية مع البدو ونجح في هذا المجال تحديداً، بالمال تارة وبالصبر تارة أخرى.

ودخلت قبائل هذيل، وثقيف، وبنو سعد، وجزء من عتيبة في حلف مع الباشا في أغسطس سنة ١٨١٤م. وتقيم القبائل الثلاث الأولى بين مكة والطائف، أما عتيبة فتوجد في أقصى الشرق.

ووفد المشايخ إلى مقر القيادة وانضم خمسمائة عربي تحت رايات الباشا، وأعطاهم الباشا ضعف ما كان يتحصل عليه الجند وأثناء إقامته في الطائف في أغسطس سنة ١٨١٤م، وحين كنت في مقر القيادة كان مشايخ البدو يأتون يومياً، وكانوا يضمنون من حصولهم الهدايا وحقيبة ملابس، وحصل المشايخ الكبار على المال. وأخذ العديد منهم المال، وعادوا إلى خيامهم، وأخبروا الوهابيين بما شاهدوه في الطائف، وظل الآخرون محايدين. ولم يحقق الباشا إلا القليل من المكاسب، رغم أنه أجزل العطاء وأسرف في الوعود للجميع. وكان يستمع إلى أحاديثهم وتأكيداتهم الكاذبة بدرجة ملحوظة من الصبر. وأظهر روحاً طيبة ومرحة لم تكن معتادة في العثمانيين أياً كانت مكانته. وخاطبه أبناء الصحراء بطريقة فظة وبلا ألقاب أو رسميات ودعوه باسمه مجرداً «محمد علي»[1].

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٧٦.

وقال بوركهارت: «وتم أسر ثلاثين رجلاً من البدو من قبيلة عتيبة القاطنة في الطريق المؤدي إلى جدة، وذلك في محاولة لتشجيع الجيش، وتم اتهام هؤلاء بأنهم من اللصوص الوهابيين، وظهر فيما بعد أن هؤلاء جاءوا إلى جدة بغرض شراء بعض الزاد.

وجرت محاكمة الثلاثين رجلاً في سهل بالقرب من مكة أمام جمهرة من الناس واستطاع أحد هؤلاء الرجال المنتمين لهذه العصابة أن يهرب وينجو بحياته. ففي لحظة ربطه من يديه واستعداد الجندي التركي لينزل به القصاص، طرح البدوي هذا الجندي أرضاً وهرب وسط الحشد، وبحث عن ملجأ في الجبال. وأمسك به حاج تركي تصادف وجوده على ظهر حصانه في الجبل.

وعبر أهالي البلاد عن كراهيتهم الشديدة للأتراك وخاصة أبناء الطبقات الدنيا، ولعنوا الجنود الذين يعاملون ضحاياهم من أصحاب الحظ السيئ بمنتهى الوحشية.

وقد تجاسر الهارب على الهرب في ظل صيحات ولعنات الغاضبين، ولقي الحاج الذي أمسك به أبشع الألفاظ»(١).

وعن مسيرة محمد علي باشا قال بوركهارت: «وفي السادس والعشرين سنة ١٢٣٠هـ الموافق السابع من يناير سنة ١٨١٥م، سار محمد علي باشا من مكة على رأس قواته وإبله التي حشدها، وتقدم صوب الكولاش حيث اجتمع هناك، حسن باشا وعابدين بك وماهو بك وأحمد بونابرت وطوباز أوغلو والشريف راضي وكل قادة القوات الآخرين. وأمكن توفير مؤنة لخمسين أو ستين يوماً ووصل الباشا إلى «زيمة» المحطة الثانية في الطريق الشمالي من مكة إلى الطائف وكولاش وتم

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٨٦.

إنفاذ الرسل من الكولاش على وجه السرعة لإخبار الباشا أن جزءاً هاماً من قوات الأعداء قد حاصرت بسل بين الطائف والكولاش وتقطع الطريق، وشنت قوات أخرى تابعة على الأعداء[1] هجوماً على شرقي الكولاش ضد بدو عتيبة وهم حلفاء الأتراك. وعجل محمد علي باشا مسيره إلى الكولاش ووصل يوم الأربعاء وأرسل الشريف راضي وجنده البدو والفرسان الليبيين لمساندة عتيبة.

وتقدم يوم الخميس إلى بسل. ووجد الوهابيين يعسكرون على جانبي الجبال المشرفة على سهول الكولاش وتقع في حوزتهم عدة آبار، في الوقت الذي كان الأتراك يحصلون على حاجاتهم من الماء من الكولاش ويأتون بها على ظهور الإبل.

وقد قدرت القوات الوهابية، وفق أوثق مصادر المعلومات بحوالي ٢٥ ألف رجل والقليل من الفرسان. ومن النادر أن يوظف الوهابيون عدداً كبيراً من الفرسان في حملاتهم البعيدة، واعتمادهم الأساسي على الإبل وراكبي الجمال والجنود المزودين بالبنادق وصاحب الوهابيون[2] خمسة آلاف جمل وعدد قليل من قطع المدفعية وتألفت قواتهم من الرجال المختارين بعناية من بين الوهابيين في الجنوب وقليل من الشماليين. حيث كان الشماليون يكبحون جماح طوسون باشا في المدينة...وتألف ثلث الجيش من عرب ابن قطنان شيخ سبيع وابن جرشان أمير تربة، وابن شكبان أمير بيشة وبخروش شيخ عرب غامد وزهران[3]، وابن دهمان شيخ عرب شمران، وابن صامل أمير جزء من قبيلة عتيبة وظل على صلة منتظمة بالوهابيين»[4].

---

(١) الصواب: للأعداء.

(٢) الصواب: الوهابيين.

(٣) بخروش، هو شيخ قبيلة زهران.

(٤) ابن صامل: شريف من أشراف الخرمة وهو أميرها، وهي بلدة في ذلك العهد يسكنها فروع من قبيلة سبيع وجزء من عتيبة.

قال بوركهارت: «**ووصل الشريف راضي مع قولته بعد رد الهجوم المزعوم على عتيبة، والتحق بمحمد علي، وحاصر الوادي الذي كان الوهابيون يتقهقرون فيه، فأجبرهم على الفرار في حالة فوضى عارمة**»[1].

(١) المصدر السابق، ص ٢٨٧.

(٥)

رحلة عبر الجزيرة العربية من القطيف في الخليج العربي إلى ينبع على البحر الأحمر

١٢٣٥هـ - ١٨١٩م

فورستر سادلير

ترجمة

أنس الرفاعي

الطبعة الأولى

١٤٠٢هـ/١٩٨٣م

رحلة عبر الجزيرة العربية من القطيف
في الخليج العربي إلى ينبع على البحر الأحمر

قال سادلير[1] عن شقراء وغارة بعض العتبان على ماشيتها: «موقع

---

(١) هو فورستر سادلير مبعوث الحكومة البريطانية في الهند إلى إبراهيم باشا قائد القوات المصرية الغازية للحجاز ونجد، وقد حمل معه كتاباً من الحاكم العام للهند وسيفاً هدية لإبراهيم باشا، وكان الهدف من رحلة سادلير إلى نجد مقابلة إبراهيم باشا وطلب مساعدته العسكرية للهجوم على قواسم رأس الخيمة الذين كانوا خاضعين للسيادة السعودية، حيث أقضوا مضجع الإنجليز في مياه الخليج وحتى تخوم سواحل الهند، وقد قابل سادلير في طريقه إلى الخليج سعيد بن سلطان إمام مسقط.. ثم أبحر إلى أبو شهر ومنها إلى القطيف ثم إلى الأحساء ومنها إلى نجد ثم علم أن إبراهيم باشا رحل إلى المدينة المنورة فاضطر إلى اللحاق به حيث اجتمع به في آبار علي ثم ذهب إلى ينبع ومنها إلى جدة حيث قابل الباشا هناك مرة أخرى وذلك عام١٨١٩م ثم غادر جدة إلى المُخا بحراً ومنها إلى الهند عائداً عن طريق البحر أيضاً.

ولقد دون الكثير مما رآه وصادفه في هذه الرحلة الطويلة الشاقة وكتب الكثير عن أحداث ورجال تلك الفترة وعن البلدان والقرى والمياه والأراضي التي مر بها، وهو الأوربي الوحيد الذي اخترق جزيرة العرب من شرقها إلى غربها، ورغم كونه غريباً عن المنطقة ولم يسبق له ارتياده فقد استطاع أن يكتب الكثير عنها. وسادلير قد رأى بعينه ما أحدثه إبراهيم باشا ببلادنا من خراب ودمار، الأمر الذي جعله ينحي باللائمة الشديدة على هذا الباشا الطاغية لما جنته يداه من الجرائم الفظيعة بحق هذه البلاد المباركة وأهلها الذين قامت على أكتافهم الصحوة=

شقراء منخفض جداً، ويبدو أن أسوارها قوية جداً، فقد صمدت ثمانية أيام في مواجهة قوات الباشا، وقد دمرت الأسوار وبقيت البلدة قائمة. فيها مسجد جيد وسوق، ومزروعات النخيل التي تحيط بها واسعة جداً وتروى بكميات كبيرة من الماء العذب المستخرج من آبار عميقة ولسوء الحظ أن أربعة من العرب سقطوا في أحد هذه الآبار ولم يُنقذ سوى اثنين منهم.

وقبل أن ننصب الخيام وصلنا خبرٌ مفاده أن مجموعة من بدو قبيلة عتيبة ساقت الماشية التي تخص سكان شقرا كلها، فأُرسلت مجموعة من جنود المعسكر للحاق بهم، فعادوا بأولئك اللصوص المغيرين. كان عدد الذين أرسلوا إليهم من الأتراك عشرين رجلاً لقوهم في السهل وأحضروا منهم خمسة مساجين حُزت رؤوسهم. ولم يكن بالإمكان عبور الطريق الذي يصل إلى هذه القبيلة من خلال القيام بحملة، وقد عاملهم الباشا بأشد قسوة كلما سنحت له فرصة لذلك.

عمَّ بسبب هذا الحادث شعور بالخوف، إذ حاول بدونا الذين ينتمون إلى قبيلة بني خالد أن يهربوا بجمالهم مدَّعين أن تلك القبيلة ستأخذ ثأرها منهم في طريق عودتهم. وقد تسلل اثنان من مجموعتي على الرغم من أني عينت جميع خدمي للمراقبة وسلحتهم بمسدسات.

الثامن عشر من آب (أغسطس):

انطلقنا في الخامسة، وقد تأخرنا ساعتين ونحن نحاول أن نجمع البدو الذين أسَرّوا النجوى فيما بينهم وهرب كثير منهم بجمالهم. قطعنا

= الإسلامية في عصرنا الحديث بما يعطي القارئ شهادة محايدة عن جرائم محمد علي باشا وأولاده في هذه البلاد.

طبعت هذه المذكرات من قبل الحكومة البريطانية عام ١٨٦٦ في بومباي وبقيت منها نسخة محفوظة في المتحف البريطاني بلندن، وهي التي نشرها الأستاذ سعود بن غانم العجمي، وترجمها الأستاذ أنس الرفاعي، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٣م، دار الفكر سوريا ـ دمشق.

السهل الذي يلي شقرا باتجاه الغرب ودخلنا وادياً قادنا إلى سهل صحراوي واسع جداً ذي سطح مفروش بالحصى، وحثثنا الخطا تحت شمس محرقة حتى الواحدة بعد الظهر حيث توقفنا عند سلسلة من التلال الرملية الحمراء القاحلة التي لم يتوفر فيها ماء ولا علف. ولقد ذقنا العذاب خلال مسيرنا عندما كنا نرى الماء عن بعد حتى إذا وصلنا لا نجد شيئاً، فهو مجرد ظاهرة جوية عابرة في الصحراء، وأحاط بنا ما يشبه البخار يسمى السراب كمحيط من الماء. مررنا في طريقنا على ما يزيد عن عدة آلاف من نبتة الحنظل التي لو كان لنا أن نستبدلها بما يعادلها من البطيخ لهيأت لحناجرنا الظمأى أعظم ارتياح يعقبه سرور»(١).

وقال سادلير: «**وإلى جنوبي غربي الدرعية**(٢) **توجد قبيلة عتيبة**(٣) **التي أبيدت عن بكرة أبيها تقريباً»**(٤).

وقال سادلير عن حال بعض شيوخ القبائل مع الباشا: «**رأى كثير من شيوخ البدو أن يندمجوا مع الباشا خوفاً من قسوة رجاله الساعين إلى النهب وعندما اتحد الباشا مع أولئك العرب أرسل كتيبة أخرى ضد قبيلة عتيبة التي تحتل ما بين الدرعية ومكة من الصحراء، وعندما وصلتهم أخبار عزمه على الإغارة عليهم لجأوا إلى الفرار واستاقوا معهم الأغنام والجمال، لكن سبعين شخصاً منهم وقعوا في الأسر**(٥) **بين يدي الباشا**

---

(١) مذكرات سادلير، ص ٨٩.

(٢) لعله يقصد بالدرعية أي الدولة السعودية الأولى وحدودها، التي كانت تتاخم دولة الأشراف في الحجاز، وهو هنا يشير إلى العاصمة ويعني الدولة.

(٣) قال محقق الرحلة: ليس صحيحاً أن قبيلة عتيبة أبيدت عن بكرة أبيها تقريباً كما يزعم سادلير وهي اليوم من أكثر قبائل نجد عدداً.

(٤) المصدر السابق، ص ٩٣.

(٥) أعتقد أن قوله إن عتيبة تحتل المنطقة الواقعة ما بين الدرعية ومكة غير صحيح، ولو كان كلامه صحيحاً لربما أسروا أكثر من سبعين شخصاً إذ لا يمكن لقبيلة أن تحتل مكاناً واسعاً كهذا أن تهرب بهذه السرعة!، وأن يأسر منهم فقط سبعين شخصاً؟! فلعل المقصود بهذا القول أحد أفخاذ قبيلة عتيبة، والدليل تقدم في قول سادلير السابق إن قبيلة عتيبة قد أبيدت عن بكرة أبيها ؟!.

المغضب الذي استهل نبحاً بأولئك التعساء بسيفه الخاص الضالع، فقد كان هذا الإخفاق حاسماً بالنسبة للأتراك الذين عانوا شقاءً كثيراً وهم في طريق عودتهم بسبب النقص في الماء والمؤن، إذ كانوا يتوقعون أن يحصلوا على كميات كبيرة منها بنهبهم خيم البدو الذين سبقوهم إلى الآبار فَسدّوها وأتلفوا كل شيء لا يطيقون حمله»[1].

(١) المصدر السابق، ص ١٤٠.

(٦)

رحلة في بلاد العرب - الحجاز

تأليف

موريس تاميزييه

ترجمة وتعليق

د.محمد بن عبد الله آل زلفة

١٤٢١هـ/٢٠٠١م

رحلة في بلاد العرب ـ الحجاز

قال موريس تاميزييه[1] عن قبيلة عتيبة في مسيرته من مكة إلى

---

(١) هو موريس تاميزييه رحالة فرنسي، ولم أقف على ترجمة له، وقد ذكر د. محمد آل زلفة: أنه حاول جاهداً لمعرفة تفاصيل حياة السيد موريس تاميزييه فلم يجد ما يدله على ذلك، فالمصادر التي أشارت إليه والباحثون الذين اقتبسوا من مؤلفه هذا لم يزودونا بشيء عن حياته مثل مكان ولادته، ونشأته ودراسته، وبداية اهتمامه بالشرق، وقصة وصوله إليه، واهتمامه به.

كل هذه التساؤلات لم نجد لها جواباً حتى لدى البروفيسورة جاكلين برين ابنة بلده كما يذكر د.آل زلفة.

تعود أهمية هذا الكتاب إلى أنه اشتمل على سجل متكامل لوقائع واحدة من أكبر حملات محمد علي باشا على منطقة عسير عام ١٢٤٩هـ، واستنتج د.آل زلفة أن تاريخ ولادته هو عام ١٨١٢م؛ لأن عمره كان زمن الرحلة اثنتين وعشرين سنة، وذلك عام ١٨٣٤م.

قال د.آل زلفة: «طبع الكتاب لأول مرة في باريس عام ١٨٤٠م، في مجلدين يقعان في سبعمائة وثلاثة وتسعين صفحة تحت عنوان: (Voyage en Arabie) رحلة في الجزيرة العربية يتكوّن الجزء الأول الذي يحمل عنوان التوقف في الحجاز (Sejour Dans Ie Hedjaz391) صفحة. أما الجزء الثاني وهو بعنوان: الحملة على عسير (Campagne D' Assir) فيتكون من ٤٠٢ صفحة وهو الجزء الذي بين يدي القارئ الكريم، أعيد طباعته في فينّا في عام ١٩٧٦م، وجاء في طبعته الجديدة ـ وهي مصورة من الطبعة الأولى ـ في مجلد واحد أي طبع المجلدان في مجلد واحد من القطع الصغير. والكتاب في طبعته الأولى ينقسم إلى عدد من الفصول، يشتمل الجزء الثاني..على خمسة عشر فصلاً، أضفت إلى فصول هذا الجزء الفصل=

الطائف: «**بعد مسيرة ساعة ونصف الساعة من خروجنا من ذلك السهل، نصبنا مخيمنا على طرف أحد الجداول الجارية، التي تتجة جنوباً عبر أقواس من الجبال الصغيرة، التي يخيم عليها الجدب بصورة مستمرة وقاطعة. وتقطن هذه المناطق إحدى القبائل القوية التي تعرف باسم عتيبة، وهي في حالة حرب مع هذيل.**

وبالنسبة لهذا الموقع المليء بالسكان لم يكن البدو يطلقون عليه أي اسم على الإطلاق، وإنما كانوا يشيرون إليه فقط بعبارة الملح أو السيل»[(١)].

وقال موريس تامزييه عن عتيبة: «**تعد قبيلة عتيبة أكثر ثراءً من القبائل التي صادفتنا خلال رحلتنا، فهي تمتلك أعداداً كبيرة من الإبل. أما بالنسبة للقطعان التي تمتلكها أيضاً من الأغنام والضأن فهي تعد أكثر بكثير من ذلك.**

ويدعي هؤلاء البدو أنهم ينحدرون من قبيلة قريش. وقد ظلوا منذ القدم على تحالف حميم معها لا يزال مستمراً حتى يومنا هذا. وقد يكون من الصعب تحديد عدد المقاتلين الذين بمقدورها حشدهم على وجه الدقة، لكن تقديرات هؤلاء البدو أنفسهم، في هذا الشأن تجيء متناقضة ومبالغاً فيها. ومع ذلك فإن جميعها تؤكد أن القبائل التي تقطن الأراضي

= الأخير من فصول المجلد الأول حيث إنه يشكل بداية طبيعية لهذا الكتاب إذ تحدث فيه المؤلف عن أسباب المواجهات بين إمارة عسير ومحمد علي كما تحدث عن الخلفيات التاريخية والجغرافية لمنطقة عسير وإمارة أبو عريش، ولهذا أصبح ذلك الفصل يشكل الفصل الأول من كتابنا هذا وأعيد ترتيب بقية الفصول على هذا الأساس، حيث أصبحت فصول هذا الكتاب في ترجمته العربية ستة عشر فصلاً».

انظر رحلة في بلاد العرب الحملة المصرية على عسير ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٤م، تأليف موريس تاميزييه، ترجمة وتعليق د.محمد بن عبد الله آل زلفة، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م. ص١٥ وما بعدها.

(١) هو السيل الكبير، وهو المعروف قديماً بقرن المنازل.

الواقعة بين الزيمة والطائف ومكة بمقدورها أن تقوم بحشد ما يتراوح بين (٦٠٠) و(٧٠٠) مقاتل من المشاة الراجلين».

وقال موريس عن خيل عتيبة: «**أما بالنسبة للجياد، ففي الوقت الذي تمتلك فيه قبيلة قريش عدداً قليلاً منها فقط، نجد أن قبيلة عتيبة على العكس من ذلك تماماً، تقوم بتربية أعداد ضخمة وكافية منها تعود أصولها وسلالاتها إلى منطقة نجد(١) وهي طيعة وسهلة الانقياد للغاية لدرجة أنه يمكن السيطرة عليها وتوجيهها بوساطة الرسن العادي، ولا يقوم أصحابها قط بوضع أية حذوة عليها في أي وقت من الأوقات. قام عوم Aoum(٢) شيخ قبيلة عتيبة عند سماعه بنبأ مرور صمينول Samenoul(٣) زعيم قافلتنا، عبر أراضيه بالقدوم إلى هنا لزيارته، وقام العديد من البدو بسوق قطعانهم إلى ضفاف المجرى المائي لتحظى بالشرب منه، وكانت هذه الحيوانات تقوم بإحداث بعض الثقوب في الأراضي الرملية بأقدامها الاثنتين سرعان ما تندفع المياه لملئها حتى منتصفها في الحال، وقد اكتشفنا أنها من نوعية ممتازة بالدرجة الأولى وعلى امتداد هذا البلد، بل ربما حتى بغداد توجد هناك طريقة ثابتة ومتبعة للحصول على إمدادات منتظمة من المياه. ومن المؤكد أن ذلك هو الذي يجعل العرب يعتقدون أن هناك مجرى من المياه الجوفية يمتد على طول الطريق من مكة حتى ضفاف نهر الفرات(٤).**

يعد الزي الذي يرتديه كل من أبناء هذه القبيلة وبناتها غاية في

---

(١) يقصد أنها من مرابط الخيل النجدية.

(٢) قال المترجم: «ربما يكون اسمه عون وكتب عوم بشكل محرف». قلت: هو الشيخ عون بن هنيدي بن هليّل. الذي ورد ذكره في وثائق مؤرخة في ٢٠/٩/١٢٣٦هـ وسنة ١٢٤٧هـ. انظر كتابنا: أعيان وأعلام من القبائل في سجلات محكمة الطائف الكبرى، ١٢٣٣ ـ ١٣٤٣هـ. ط١، ١٤٢٦هـ ص ٩٦.

(٣) قال المترجم: «لا ندري إذا كان هذا اسم زعيم القافلة كما ذكر المؤلف أم مجازياً استخدمه المؤلف وكعادته عند ذكر بعض الأسماء».

(٤) المصدر السابق، ص ٢٦١.

البساطة، فهو يتكون من سترة جلدية تشتمل على كمية كبيرة من السيور الجلدية التي تتدلى إلى الأسفل بشكل يشبه الأهداب إلى وسط أفخاذهم. أما بالنسبة لنسائهم فإن زيهن أكثر أناقة، وهن يرتدين الأساور المعدنية على معاصمهن وتحت أكواعهن. أما بالنسبة لأعناقهن فإنهن يقمن بتزيينها باثنين من العقود أو القلائد، أولهما طوق معدني، والآخر سلسلة صغيرة عليها تعويذة أو حلية صغيرة تتدلى حتى خاصرتهن.

وتشتمل هذه التميمة أو التعويذة على طوق جلدي يكون قد تم ضغطه حول الأجزاء العليا، ويكون مغطى بوصلات صغيرة تكون قد تمت خياطتها بدقة وحذق الواحدة فوق الأخرى بطريقة تشبه تماماً حراشف الأسماك، وتبرز متدلية منها بعض الحلقات الصغيرة النادرة التي تصل حتى مفاصل أوراكهن.

وقد قمنا بشراء أحد هذه الأحزمة من سيدة بدوية كانت - مع شكِّها في مقاصدنا إلى حد ما، ومع أنها متزوجة لفترة طويلة - غير راغبة في بيعها دون الحصول على إذن من والدها. استفسرت من أحد البدو[(١)] «ما السبب في أنني لم أوفق في ملاحظة أي أثر لأية خيول أو جمال هنا، مع الوضع في الاعتبار أن هناك ادعاءً بأنكم تمتلكون أعداداً هائلة منها؟» فأجاب: لقد درجنا عادة على ترك هذه الحيوانات في الجبال المجاورة بسبب كثرة العشب وتوافره بها، أما بالنسبة لخيولنا فهي لا تغادر مطلقاً خيام أصحابها في أي وقت من الأوقات.

وماذا عن قطعانكم من الضأن والماعز التي وإن كانت صغيرة في أحجامها فإنها غاية في السمن وامتلاء الجسم! وكيف تفسرون اكتسابها ذلك الشكل الذي ينمّ عن وجود التغذية وسط هذه الأراضي القاحلة بصورة مخيفة؟

---

(١) لا أعلم من هذا الرجل الذي استفسر منه موريس تامزييه هل هو من بادية عتيبة أم لا، لكني أوردته لأنه ذكره في سياق حديثه عن قبيلة عتيبة مباشرة.

هذه القطعان مثلنا تماماً، فهي تنمو وهي معتادة على قوة التحمل عند مواجهة الصعاب - فهي تشكل عادةً ثانية بالنسبة لها. وبصرف النظر عن ذلك، فإنه يجب ألا يغيب عن بالنا أن الصحراء تبدو قاحلة وجرداء فقط بالنسبة لأولئك الذين لم يولدوا هنا في واقع الأمر. كما أن مربي الماشية المحنك لا يعود إلى مسكنه قط في المساء دون أن يكون قد تأكد تماماً من أن حيواناته قد أخذت ما يكفيها - وبلغت مرحلة الشبع. «رغم ذلك، فماذا عن السنوات التي لم تهطل فيها أي أمطار؟».

«هذه فقط هي الكارثة المرعبة بالنسبة لنا فنحن هنا لا نعاني الأمراض التي تعد وبائية وسط البلدان الأكثر خصوبة في باقي الجزيرة العربية واليمن على سبيل المثال، ومع ذلك فإنه في حالة توقف الأمطار عن الهطول بصورة تلقائية، فإن أعداد الوفيات في قطعاننا ترتفع بصورة مخيفة، وفي بعض الأحيان قد يصحو صاحب القطيع الذي خلد إلى نومه وهو على أحسن حال ليجد نفسه في صباح اليوم التالي وهو من المعسرين»[1].

«لا شك أن لديكم دوماً خيار نقل مخيماتكم، بوصفها ملاذاً أخيراً، إلى أماكن أخرى، حيث تقومون بنصب خيامكم في المناطق التي تكون قد حظيت بنصيب أفضل من تلك المواسم؟».

ما الذي ترمي إليه بهذا الحديث؟ إن حدودنا الإقليمية محددة بكل وضوح، مثلما هو الحال بالنسبة للحقول في البلدان التي تتمتع بالأراضي الشديدة الخصوبة، فكل جزء على حدة من أراضينا تعود ملكيته لإحدى القبائل، ولهذه القبيلة مطلق الحرية في استغلاله والانتفاع به كي فما[كما] شاءت، وتعد هذه إحدى الخصائص التي ورثتها عن أسلافها الذين رووها بدمائهم. «أليس الأمر كذلك، وعلى وجه التحديد، عندكم في أوساط شعوبكم؟».

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٦٤.

«لا شك في ذلك لكننا نعد جميعاً أعضاء في أسرة واحدة، وعليه يتوجب علينا أن يقوم كل منا بمساعدة الآخر عندما يواجه محنة أو ضيقاً»(١).

«لا شك، لكننا نحن الأعراب نعد أكثر الرجال كرماً، فنحن لا نتجاهل الفقراء منا، فهل شاهدت أي شحاذين او متسولين وسطنا؟ إنهم في مواجهة ظروف مماثلة لتلك التي في البلدان الأخرى ينتشرون بكثرة وسط الآخرين الذين يوصدون دورهم في وجوههم ويحيطونها بالأسوار الغليظة والضخمة».

وكنت على وشك مشاهدة أحد البدو الذين يتسولون بحثاً عن الصدقات خارج خيمتي، فطلبت منه أن يذهب إلى خادمي، فلم يظهر عليه الامتعاض، وإنما بدا غاية في السرور وهو يصرخ قائلاً: «هل تعتقد حقاً أن السراب يمكن أن يحتوي، في واقع الأمر، على ماء»؟ وذلك لأنه ببساطة لا يمثل مشهداً يدل على ذلك. لم يكن بمقدوري في هذه اللحظة أن أتبين المعنى الحقيقي المقصود بهذه العبارات المحيرة، لكنني أدركت لاحقاً أن هؤلاء المتسولين لم يكونوا سوى بعض اللصوص الذين كانوا يستغلون هذا المظهر الخادع والكاذب بصورة جيدة بغية تمكينهم من أن يكونوا مقبولين لدى أعضاء القافلة الموجودين بالمخيم دون إثارة أي نوع من الريبة أو الشك حولهم..

«الأعرابي إنسان خيِّر - واصل البدوي حديثه - ولكن كيف يستطيع أن يكفل أسرة أخيه لمدة قد تصل إلى السنة؟ إنه بعد أن يوفر له كل العون والرعاية والضيافة بخيمته لمدة ثلاثة أيام لا يكون مترتباً عليه أي واجب أو التزام تجاهه على الإطلاق».

«والآن اخبرني كيف تستطعون تمييز الحدود الخاصة بكل قبيلة والتعرف عليها على حدة؟»

«إن طبيعة التضاريس نفسها توفر لنا مائة وسيلة ووسيلة كفيلة

---

(١) هنا يوجد سقط وهو سؤال من تاميزيه لمحدثه.

بذلك فقد يكون كافياً للغاية وجود مجرى مائي أو واد أو جبل أو سهل أو تل أو رابية من الحصى أو إحدى غابات السنط أو الأثل، فكلها تقوم جميعاً بتأدية الغرض نفسه».

«وماذا يحدث في حالة تعديكم عليها؟» «في هذه الحالة يكون من حق القبيلة التي تم الاعتداء على حدودها أن تقوم بصورة مطلقة بحجز قطعان ماشيتك أو قتلها، وسيكون ذلك بالتاكيد سبباً في نشوب الحرب وكثير من الأحقاد المروعة التي قد تكون بأيدي بعض الكلاب الشرسة التي تكون مرافقة لك»[(١)].

قال موريس تامزييه عن الطائف نقلاً من كتاب الإدريسي صاحب كتاب (نزهة المشتاق):

«سوف أقوم بتلخيص كل ما احتفظت به في ذاكرتي عن هذه المدينة عن طريق تقديم عرض لما رواه (الشريف الإدريسي): مدينة الطائف مدينة صغيرة متحضرة مياهها عذبة معتدلة وفواكهها كثيرة وضياعها متصلة وبها العنب كثير جداً وزبيبها معروف يتجهز به إلى جميع الجهات وأكثر فواكه مكة تصدر عنها، وبالطائف تجار مياسير وجل بضاعتهم صنع الأديم، وأديمها عالي الجودة رفيع القيمة وبالنعل الطائفي يضرب المثل، وهذا مشهور، والطائف على ظهر جبل غزوان[(٢)] وعلى ظهر جبل غزوان ديار بني سعد[(٣)] المضروب بهم المثل في كثرة العدد[(٤)] وبه

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٦٦.

(٢) الصواب: عروان بالعين المهملة، وقد ذكره من غير تصحيف نصر الإسكندري في كتابه. انظر معجم البلدان ٤/ ١٢٥ ـ ١٢٦.

(٣) يقول مترجم كتاب موريس تامزييه، رحلة في بلاد العرب ـ الحجاز : تم نقل النص الأصلي مباشرة من «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» للكاتب محمد بن محمد بن عبد الله الإدريسي، الجزء الأول، ص ١٤٤ ـ ١٤٥، عالم الكتب - بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

(٤) بنو سعد: المقصود بهم قبيلة عتيبة، وهم أصلها الأول، وقد ذكرهم الهمداني باسم سعد كنانة، لأنهم بنو سعد من عتيبة من شبابة من كنانة، انظر صفة جزيرة العرب ص ١٢٠.

جملة من قبائل هذيل وليس في بلاد الحجاز بأسرها جبل أبرد من رأس هذا الجبل وربما جمد به الماء في الصيف لشدة برده».

وقال موريس تامزييه عن وادي قيا: **«وفي هذه الفترة كانت قيا والمناطق المحيطة بها مزروعة بشكل جيد. ثم أصبحت الأرض جرداء بعد سفر بني هلال، واستولى عليها رعاة بني الحارث»**[1].

وقال موريس عن تقسيم قبيلة عتيبة من حيث طبيعة عملها: **«والقبيلة التي تعيش في هذه المناطق هي قبيلة عتيبة، وهي القبيلة نفسها التي قابلناها سابقاً على طريقنا، ولكن بدو درعا**[2] **ليسوا على درجة ثراء إخوانهم في بسل. وهذه القبيلة الكبيرة تنقسم إلى ثلاث فئات: فئة تعمل بالزراعة حيث تتوافر المياه، وفئة ترعى في الأماكن النادرة المياه، أما الفئة الثالثة فهي التي تسكن المناطق الجرداء ولا تتمكن إلا من تربية الجمال»**[3].

---

(١) رحلة في بلاد العرب، ص٧١. بنو هلال ارتحلوا خلال القرن الخامس الهجري، وقوله: إن بني الحارث استولوا عليها بعد رحيلهم غير صحيح؛ لأن وادي قيا كان لقبيلة عتيبة وللنفعة منهم خاصة لفخذ العيلة، ولكن نظراً لحدوث خلاف بين العيلة وبلحارث قتل على أثره عدد كبير من بلحارث على يد الشيخ سلوم بن محمد النفيعي، فقد انتقل سلوم وجماعته إلى تهامة حيث موطن العيلة اليوم. حيث يقول الشريف محمد بن منصور: «فرحل جميع ثقله إلى حيث هم الآن»، بعدها اجتمع شيوخ عتيبة وشيوخ بلحارث والأشراف، وانتهى الأمر بالصلح بأن دفع سلوم وادي قيا سوق في رجالهم، وقد ذكر لي الأخ عثمان بن حربي الثبيتي أنه اجتمع يوم جلسة للقاضي محمد بن علي البيز عندما كان يحل نزاعاً بين بلحارث في حدود عام ١٣٨٠هـ حول من يملك الوادي منهم حيث قال القاضي هل ترضيكم حجة قديمة أقرأها عليكم فقبلوا فقرأها القاضي عليهم وحسب ما سمع الأخ عثمان عندما قرأ عليهم الكاتب من الحجة التي أشارت إلى الصلح ويذكر أن تاريخها حدود سنة ٩٣٠هـ، وقد أشار الشريف محمد بن منصور في كتابه (قبائل الطائف وأشراف الحجاز) إلى هذه الحادثة، انظر ص ١١٤.

(٢) لا أعلم موضعاً بهذا الاسم، فلعل في الاسم تصحيف، ولكنها قريبة من قرية بسل التي تقع شرق الطائف.

(٣) رحلة في بلاد العرب، مصدر سابق، ص٧٧.

وقال عن استئجار بعض الجمال من عتيبة في ٣ يوليو ١٨٣٤م، وأنها لم تكن خاضعة كسادتها: «**تم تاجير بعض الجمال من قبيلة عتيبة لكي تحل محل الجمال التي ماتت على الطريق، وهذه الجمال التي كانت تشبه سادتها في الاستقلال كانت لا ترغب في الخضوع والسير وراء بعضها، وانتهى بها الأمر إلى فوضى تشبه فوضى قطيع الأغنام**»[1].

وقال تامزييه عن منطقة السيل وأهلها من عتيبة: «**إنها عشيرة مؤلفة من سبعمائة بيت، وهي غنية تملك الخيل. مراعيها جيدة، ...**»[2].

---

(١) المصدر السابق، ص٨٠.

(٢) اكتشاف جزيرة العرب، تأليف جاكلين بيرين؛ ترجمة قدري قلعجي، تقديم حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة، الرياض، [د.ت]، ص٢٥٨.

(٧)

رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز

تأليف

رتشارد ف. بيرتون

ترجمة وتعليق

د.عبدالرحمن عبد الله الشيخ

١٩٩٥م

رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز

قال رتشارد ف.بيرتون وهو في طريقه إلى مكة المكرمة برفقة الحاج:

«في الساعة الحادية عشرة صباحاً كنا قد وصلنا لمحطتنا، وكانت تبعد عن الغدير زهاء أربعة وعشرين ميلاً في اتجاه الجنوب الشرقي بعشر درجات، وتسمى البركة (بكسر الباء) نسبة إلى حوض (خزان ماء) كبير - أضحى الآن مهدماً - من حجر بناه هارون الرشيد. وهذه الأرض هي مضارب قبيلة عتيبة أشجع القبائل الحجازية وأكثرها شراسة[1] ويشير أهل المدن إلى رهبتهم من هؤلاء.. مؤكدين أنهم يشربون من دماء أعدائهم بقصد زيادة قدرتهم على المواجهة أو رفع مستوى شجاعتهم[2] وقد هز

---

(١) هذه الأرض المعنية في كلامه هي أرض المحاني الواقعة شمال الطائف وهي ليست أرض عتيبة وحدها، إنما هي من أراضي وبلاد عتيبة والمحاني من بلاد الروقة الشمالية، ويوجد فيها قصر قديم للثعالية يقع على طرف الوادي، تجولت فيه بصحبة الإخوة عبد الله بن معيض المجيولي، والشيخ مصلح بن منيع الله بن ثعلي، وصقر بن زايد بن ثعلي، ودخيل الله بن عوض الله بن ثعلي، ومحمد بن لفاي بن ثعلي، وكان ذلك يوم الخميس الموافق ١٥/ ٤/ ١٤٢٥هـ.

(٢) يعتقد البعض أنهم يشربون دماء أعدائهم فعلاً وليس مجرد تشبيه أو صيغة بلاغية، ويعتقد آخرون عكس ذلك ... ويقال إن أفراد قبيلة مطير (المطران) وأفراد قبيلة عتيبة (العتبان) غير مسموح لهم بدخول مكة (المكرمة) حتى أثناء موسم الحج (موجز عن بيرتون) ونكاد نجزم أن في هذا القول بعض المبالغة، وأن بيرتون قد سمع ذلك من بعض من يكرهون المنع لهؤلاء الجماعات، (المترجم) (بتصرف).

رفاقي رؤوسهم عندما سألتهم عن الموضوع ودعوا الله ألا نحتك بهم، فالحديث عنهم نذير شؤم. وقد سمح لنا الباشا أن نمكث في البركة (بكسر الباء) خمس ساعات، قضيناها في خيمتي التي ازدحمت بأصدقاء الشيخ عبد الله. ولكي يعوضني عن هذا الازعاج الذي سببه لي، قدم لي شيشة ممتازة، وفنجان قهوة فاخراً لم يفسده بالقرنفل أو إضافة القرفة له، وطبقاً من الفواكه المجففة. ولما كنا قد أصبحنا الآن على مقربة من مكة المكرمة فقد انشغل أهل مكة الذين برفقتنا بالحديث عن الإسكان والإقامة وراحوا يعرضون خدماتهم على الحجاج...».

وقال بيرتون عن مواجهتهم مع جماعة من عتيبة: «وفي حوالي الساعة الخامسة والنصف دخلنا منطقة ذات منظر غريب، فعن أيامننا نتوءات حجرية يمتد عند قاعدتها [قاعدة] سفحها مجرى يمتلىء ماء بعد المطر، وكان طريقنا في هذا المنخفض، محفوفاً بالصخور من ناحية وبالأشجار الشوكية التي ملأت النصف الآخر من المجرى من ناحية أخرى. لقد كان الجانب الأيسر جرفاً كالحاً أجرد لكنه ليس حاداً كما في الجانب الأيمن، وبدأ الطريق في مواجهتنا وكأن التلال سدته فقمة تل تتلوها قمة تل آخر وهكذا على مدى الأفق، وكان النهار لا زال مبتسماً فوق القمم العالية، أما المنحدرات المنخفضة وبطن المسيل فقد بدأ ثوب الظلام يغطيها.

وبدت الكآبة تغلف أرواحنا كلما تقدمنا في هذا الوادي الخطر. وقد لاحظنا أن أصوات النساء والأطفال تتلاشى في بحار الصمت والسكون كما أن تلبية الحجاج دعاء: لبيك اللهم لبيك، تتراجع تدريجياً وبينما كنت منشغلاً في تأمل سبب هذه الظاهرة التي تجلت واضحة، لاحظت لفائف دخان صغيرة كأنها خواتم النساء حلقات صغيرة تتصاعد على قمة الجرف، الواقع أمامنا، تزامن ظهورها مع صدى إطلاق رصاص من بندقية قديمة الطراز ذات فتيل، وتدحرج الجمل الذي كان يجري خبباً أمامي فوق الرمال - لقد أصابت الرصاصة قلبه فطاح راكب الجمل على بعد خمس ياردات أو ست، وهو يتدحرج.

لقد أعقبت ذلك فوضى هائلة فصرخت النسوة وصاح الأطفال وعم الصخب بين الرجال وراح كل واحد منهم يجاهد بكل قواه ليقود بعيره بعيداً عن منطقة الموت، ولأن الطريق كان ضيقاً فقد كان كل ما فعلوه هو أنهم سببوا زحاماً شديداً سد الطريق، وعند كل طلقة رصاص كان الخائف المرتعد يجري ليندس بين الجموع المزدحمة كما لو كان الجراح قد مس في جسده أشد أعصابه حساسية، ولم يكن للخيالة غير النظاميين أدنى فائدة في هذه الظروف، فقد كانوا يقفزون على الصخور ويأمر كل منهم الآخر ويصيح فيه دون جدوى، أما باشا العسكر فأخذ سجادته وذهب عند سفح الجرف الواقع تجاه شمائلنا وراح يناقش - وهو يدخن شيشته - مع ضباطه ما يجب عليهم عمله فلم يشر عليه أحد بارتقاء المرتفعات، وأتى دور الوهابيين[١] (السلفيين)الذين أثار تصرفهم إعجابي، فقد هبوا وحثوا جمالهم، هبوا بخصلات شعورهم المتشابكة ذات المنظر الفظ - والريح تعصف بها - قاموا ونيران أعدائهم تلقي على ملامحهم ضوءاً متوهجاً غريباً، قاموا وأخذوا الصدارة، وبدأ أحدهم يطلق النار على.. عتيبة[٢]، بينما ترجل مائتان أو ثلاثمائة منهم واندفعوا صاعدين التل بإرشاد الشريف زيد، وكنت قد لاحظت هذا الشريف في المدينة (المنورة) واعتبرته نموذجاً للعربي الخالص. لقد كان مشهوراً بالشجاعة، وقد قتل في هذه المناسبة كثيرين بيديه، وعندما اضطر - في الزريبة - للركوب إلى مكة المكرمة أقسم ألا يترك القافلة إلا على مشارف مكة، وكان من حسن حظ الحجاج أن وفى بوعده. وسرعان ما أصبح صوت قذائف عتيبة بعيداً وولوا الأدبار فتقدمت مقدمة القافلة وأصبح الطريق لبقيتها مفتوحاً، وأسرعت القافلة بعد هذا التوقف الاضطراري. لقد كان الأمر يتطلب جهداً للتخلص من الشعور بالخطر، ولكن الشيخ مسعوداً كان على مستوى الحدث، ومن الطبيعي أن يكون عدد من الرجال

---

(١) الوهابيون: لفظ أطلقه أعداء دعوة الشيخ المجدد محمد بن عبدالوهاب على أهل نجد، وإلا فهي دعوة إحياء ما كان عليه السلف الصالح.

(٢) النقاط تشير إلى كلمة محذوفة.

قد لاقوا حتفهم أو جرحوا، وقد تناقضت الأقوال في هذا الشأن وكانت المبالغة هي السائدة. لقد قيل إن عدد اللصوص كان مائة وخمسين، وكان هدفهم هو سلب القافلة وأكل الجمال التي أصابها الرصاص. لكن طموحهم الرئيسي يتمثل في الفخر والتباهي المتمثل في مثل قولهم : «نحن عتيبة في ليلة كذا وليلة كذا، أوقفنا محمل السلطان طوال ساعة في الطريق»[1].

وفي بداية التراشق كنت قد جلست مع بقية القافلة وقد أعددت مسدسي ليكون جاهزاً لإطلاق النار، لكنني سرعان ما أدركت أنه لا شيء يمكنني عمله، ولرغبتي في لفت النظر لي فقد رحت أتحرك في كل مكان، محدثاً جلبة (هيصة على الفاضي)، ومرة أصعد وأخرى أهبط ـ كما هو الحال في الشرق ـ وقد طلبت إحضار عشائي بصوت عال لكن الشيخ نور الذي كاد يموت خوفاً ـ لم يستطع التحرك، وصرخ الولد محمد قائلاً: «ما هذا يا سيدي ؟!» وعبر الناس من حولي من عن دهشتهم قائلين : «يا الله.. إنه يأكل!» أما الشيخ عبد الله المكي فقد كان مرحاً فسألني من شقدوفه الذي كان خلفي: «أهذه عادات الأفغان يا أفندم» فقلت له بصوت عال: «نعم ففي بلادي يأكلون قبل مواجهة اللصوص، فمن غير اللائق أن يموت الشخص جوعان» فضحك الشيخ بصوت عال، بينما الرجال المحيطون به يشجبون تصرفي. وقد ظننت أن تظاهري بالشجاعة في هذا الموقف كان تصرفاً في غير موضعه، لكن قليلاً من الأحداث التي حدثت بعد ذلك وأنا في طريقي إلى جدة، أثبتت أنني لم أكن مخطئاً تماماً.

وكلما تقدمنا في المسير، كانت الحامية مهتمة بإشعال النار في كل شجرة جافة من أشجار الصقلاب (بضم الصاد وتسكين القاف) لنستظل بدخانها. لقد أصبح المشهد مرة أخرى وحشياً كمشاهد البرية.

---

(١) هذا حسب رأي المؤلف ولا أعتقد أنه صحيح لأن القبائل في العهد السابق تبحث عن أمور أهم مما ذكر، كما أنها تحسب حساب كل عملٍ تقدم عليه، ولكن لعل السبب الرئيسي هو أن لهم مبالغ تدفع لهم عند مرور القوافل وما شابهها عبر أراضيهم، وإذا لم تدفع أو تأخرت سيحدث اعتراض للقافلة كما حدث.

فكم من البراري قطعت
وكم من منحدرات عليها صعدت
وكم من شواطئ عبرت
لكنني أقسم بكل مقدساتي
أن مثل هذا ما رأيت
لم أر كهذا في سمو قحولته
في كل المواطن التي طفت فيها وجلت.

وفي الجانب الآخر كانت هناك جروف مضلعة ذوات منظر قاتم وغاضب وقد اختلطت قممها بالظلمة وكان بين هذه الجروف شقوق يبدو منظرها مهولاً، وكانت حشودنا تسرع وقد اختلط صياحها بطلقات البنادق، وقد كون دخان المشاعل ونيران الليل التي تم إشعالها في شجر الصقلاب الجاف ـ فوق رؤوسنا كأنها فرو السمور الأسود. لقد غطانا الدخان كملاءة وقسم [وقسمنا] الجرف (المنحدر الصخري) إلى قسمين متساويين، فهنا نجد ناراً تتأجج بضراوة، أشجار الزعرور الشوكية الطويلة التي تطقطق بفعل النار مرسلة شرر اللهب وشظاياه في الهواء، وهناك يموت الشرر وتنطفىء الشظايا، وإن بقيت تشكل ومضات متوهجة تتجمع معاً وكأنها نهر الجحيم حقاً، وعلى أية حال فإن هذا المنظر الجدير بالتصوير تسبب في بعض المضايقات، فلم يكن هناك ممر فقد عاقت الصخور وكتل الأحجار طريقنا. وترى الجمال وقد أعماها الظلام مرة وغشيها ضوء النيران مرة أخرى وراحت الجمال تتعثر مرة إثر مرة، ففي مواضع تنزلق فوق منحدر شديد، وفي مواضع أخرى تنزلق أخفافها على مساحات من طين، وحدث شجار ضار وسباب متبادل بين أصحاب الجمال ومستأجريها، وتقاذف رفاق الطريق بعبارات التهديد والوعيد، والحقيقة أننا في حالة تنافر، يعوزها الانسجام. لقد قضيت هذه الليلة في صياح: «هاي.. هاي» أضرب الجمل وأحاول عبثاً أن أحث ابن أخي مسعود على القيام، لكنه كان مصمماً على النوم فوق قرب الماء. وقد

توقفنا وقفات قصيرة للراحة أربع مرات أو خمساً، حيث كنا نتناول القهوة وندخن الشيشة، ومع هذا فقد كان البشر والدواب قد بدءوا يعانون من إنهاك حقيقي»[١].

---

(١) رتشارد ف. بيرتون، رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، مصدر سابق، ص٢٥ وما بعدها، وقد نقل هذه الحادثة باختصار بيتر برينت، في كتابه "بلاد العرب القاصية"، ترجمة خالد أسعد عيسى، وأحمد غسان سبانو، دار قتيبة، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، بيروت / لبنان، ص١٥٩، وما بعدها.

(٨)

رحلة إلى الحجاز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي

١٢٧١هـ ـ ١٨٥٤م

تأليف

شارل ديدييه

ترجمة وتقديم وتعليق

د.محمد خير البقاعي

١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م

رحلة إلى الحجاز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي

قال شارل ديدييه[1] وهو في طريقه إلى مكة قادماً من الطائف:

---

(١) هو شارل ديدييه CharlesDi dier، أديب وشاعر وصحفي سويسري من أصل فرنسي، ولد في جنيف عام ١٨٠٥م، وكانت أسرته البروتستانتية قد هربت إليها طلباً للحرية الدينية، درس ديدييه في جنيف القانون، وعلم النبات، والرياضيات، وكان المغرب أول بلد عربي يزوره في ١٨٣٣م ثم بعد ذلك سافر إلى إيطاليا وإسبانيا، بعدها قرر القيام بمجموعة من الرحلات إلى إسبانيا ومراكش، والجزيرة العربية، وسنار، ومصر، وعندما فقد بصره منعه ذلك من الذهاب إلى بغداد عبر دمشق وحلب وصحراء الرافدين الواسعة، له كتب عديدة؛ منها عدد من قصص رحلاته وأشهرها: سنة في إسبانيا (طبع في بروكسل عام ١٨٣٧م)، حملة على روما (١٨٤٢م)، جولة في المغرب (١٨٤٤م) ورحلته هذه (١٨٥٧م)، وخمسون يوماً في الصحراء (١٨٥٧م) وخمسمائة فرسخ على النيل (١٨٥٧م)، وليالي القاهرة (١٨٦٠م) وغير ذلك. وقد التقى ديدييه خلال رحلته من القاهرة إلى السويس بالرحالة الإنجليزي المشهور ريتشارد بيرتون (١٨٢١ ـ ١٨٩٠م) Richard Burton، كما التقى برحلته أشخاصاً من الطراز الأول مثل: خالد بن سعود، وعبدالمطلب بن غالب شريف مكة المكرمة، وغيرهما من الأشراف..، انظر شارل ديدييه، رحلة إلى الحجاز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، ١٨٥٤م ترجمة وتعليق د.محمد خير البقاعي، دار الفيصل الثقافية. ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ص١٧ وما بعدها.

«وصلنا كلانا، الهجان وأنا، سالمين إلى أسفل الهوة، ولم تكن بقية القافلة أقل حظاً منا، ولما تجاوزنا تلك العقبة، دخلنا في ريع أكثر تناسباً مع قدرة الإنسان هو: ريع الزلالة. وقد كان هذا المكان في سالف الأيام يثير رعب المسافرين، الذين كان بدو قبيلة عتيبة يهاجمونهم فيه، ويسلبونهم أمتعتهم؛ وعتيبة قبيلة قوية، ومحبة للحرب، تنتشر في الجبال الممتدة جنوب الطائف حتى المدينة المنورة، ويمكن لها أن تستنفر ثمانية آلاف فارس غالبيتهم مسلحون ببنادق الفتيلة، وهي لا تني تغزو جيرانها. وعلى الرغم من أنها ما زالت تتقاضى خوة من القوافل التي تعبر أرضها، فإن سلطتها لم تعد تمتد إلى هذه المنطقة[١] ولم يخطر ببالي أبداً أن يعرض لنا عارض خطر لأننا كُثُر أولاً، ولأننا ضيوف الشريف الأكبر، ونحن في حمايته، سواء كنا في جنابه أم بعيدين عنه[٢]. ينتهي الريع بوادٍ واسعٍ يسمى السيل؛ هو قاحل، ورملي، وقد أحرقته الشمس. وكانت تنتظرني فيه مفاجأة: إذ ما كدنا ندخله، ونسير فيه بعض الأميال تحت شمس حارقة، وجو خانق، حتى وجدت نفسي دون سابق إنذار، وكأنما بفعل السحر على حافة نبع غزير، وصاف ينبجس من الرمل ويتدفق بغزارة، وتنتشر حوله نضارة عذبة. ويوجد بالقرب منه نطاق واسع من الصخور المنحوتة بزوايا مستقيمة، ولا تكاد تظهر على وجه الأرض، ومرتبة بتناسق وكأنها مدرجات»[٣].

---

(١) هذا الكلام غير صحيح ف (ريع الزلالة) قريب من السيل الكبير أرض الثبتة جماعة الشيخ ابن هليّل، والذين يملكون هذه المنطقة قبل تاريخ هذه الرحلة بزمن. كما تقدم معنا هجوم بعض العتبان على محمل السلطان في رحلة بيرتون سنة ١٢٦٩هـ، ومن هنا تتضح عدم دقة ما ذكره ديديه.

(٢) هذا صحيح فقبيلة عتيبة سنة ١٢٧١هـ يتبعون لشريف مكة آنذاك فمن البديهي أن يحترموا ضيوفه وسلطته.

(٣) رحلة إلى الحجاز، شارل ديديه، مصدر سابق، ص ٣٣٦.

(٩)

وسط الجزيرة العربية وشرقها

(١٨٦٢ - ١٨٦٣م)

تأليف

وليام جيفورد بالجريف

ترجمة

صبري محمد حسن

٢٠٠١م

وسط الجزيرة العربية وشرقها

قال بالجريف[1] عن بعض قبائل نجد ومنها عتيبة: **«وإذا ما توغلنا، في وسط الجزيرة العربية، نجد فيها قبائل أكثر ثراء، وقوة وتنظيماً؛ مثل شمر في جنوب الجوف، ومطير وعتيبة في الأراضي الوسيطة، والعجمان وبني خالد، ناحية الشرق»**.

---

(١) هو وليام بلغريف ولد عام ١٨٢٦م لأب يهودي، يدعى فرانسيس كوهين وأم مسيحية تدعى إليزابيث داوسون تيرنر غير الأب اسم العائلة كوهين إلى اسم عائلة والدة زوجته فأصبح يُعرف باسم فرانسيس بلغريف، وتخلى عن ديانته اليهودية إلى المسيحية البروتستانتية. كان فرانسيس يعمل في مجال الكتابة وكان مهتماً بجمع وثائق وسجلات البرلمان البريطاني وفهرستها ثم أسس مكتب السجلات العام (Public Record Oficee) وهو بمثابة الأرشيف العام للدولة، فاشتهر وأُعطي درجة فارس بلقب سير، وتلقى بلغريف الابن تعليمه الجامعي.

بدأ بعد ذلك رحلته عن طريق القاهرة، حيث كما يقول قام بمهمة سياسية كلفه إياها نابليون الثالث. ثم انتقل بعد أداء مهمته في القاهرة إلى بيروت، حيث اختار رفيقاً يونانياً من زحلة، اسمه جيرجيري لمرافقته في رحلته إلى الجزيرة العربية. تسمي بلغريف باسم سليم أبو محمود إلياس وتسمى رفيقه باسم بركات الشامي مدعياً كلاهما، أنهم أطباء من سورية... بدأ عبور الجزيرة العربية، فزار الجوف، وحائل، وبريدة، والرياض، والهفوف، والقطيف، والبحرين، وقطر، وعُمان. واستمرت الرحلة ما يقارب العام.

شكك بعض الرحالة في حقيقة المعلومات التي أوردها في كتابه، وشكك آخرون بحقيقة قيامه بالرحلة نفسها واعتبروها من نسج خياله، إلا أن كل ذلك لم يغير من حقيقة الأهمية التي نالتها قصته، واعتماد الغرب في مرحلة من مراحل اهتمامه بالجزيرة=

قال بالجريف: «وكان العُجمان، والعتبان، ومطير، وبنو خالد، والعشائر البدوية الأخرى، إلى أواخر القرن الماضي، ينشرون الخوف والفزع والدمار[1] في هذه المناطق، مثل عنزة، الذين كانوا ينشرون الخوف والفزع أيضاً في سوريا وفي الصحراء الشمالية ـ مما أدى إلى جعل السفر والتنقل في كل أنحاء نجد، عملية محفوفة بالمخاطر، شأنها في ذلك شأن السفر حالياً بين حمص وتدمر أو الساكنة، ولكن في ظل الحكم الوهابي، لم يعد عابر السبيل أو المسافر الذي يتنقل خلال القصيم، وسدير، والوشم، وفي كل أنحاء المناطق الثماني التابعة للإمبراطورية الوسطى، لم يعد هذا المسافر يصادف سوى قلة قليلة من البدو، بل إنه حتى لم يعد يخشى هذه القلة أو يخاف منها؛ وأصبح التجار، والقرويون، وأهل الحضر وكذلك الغرباء في مأمن من السلب والنهب الذي كانوا يتعرضون له على الطريق»[٢].

قال بالجريف عن بعض قبائل نجد ومنها عتيبة: «إن قبيلة بني قحطان بصفة خاصة واسعة الانتشار، ومقسمة إلى فخوذ كثيرة، بعضها يحتل مراعي نجد الجنوبية، فيما وراء العارض[٣] والبعض الآخر مستقر

= العربية عليها، وعلى ما جاء بها من معلومات. ويمكن اعتبار رحلة بلغريف الأشهر بين جميع رحلات من ارتادوا جزيرة العرب من الغربيين، ولم ينل أحد منهم ما ناله بلغريف من نقاش واهتمام، وعُد كتابه من أمهات أدب الرحلات... توفي عام ١٨٨٨م، انظر الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص٥٧ وما بعدها.

(١) هذا القول غير دقيق، صحيح أن القبائل كان بعضها يغير على بعض لأسباب كثيرة منها الاستيلاء على الإبل وهي من أغلى الممتلكات في ذلك الوقت وكذلك التنافس على الكلأ والورود على الماء، فهذا هو المألوف والسائد عندهم، ولكن بعد أن قيض الله لهذه البلاد أئمة آل سعود فقد ردعوا كثيراً من تلك الأمور عدا ما بليت به البلاد من دخول قوات محمد علي باشا وقوّاده الذين بأسبابهم كثر النزاع والتنافس بين أهل البلاد حاضرة وبادية.

(٢) هذه حقيقة، وقد ذكرها غير واحد من المؤرخين فقد كان للإمام فيصل بن تركي دور كبير في حفظ الأمن حتى أمنت البلاد والعباد ـ رحمه الله ـ.

(٣) هذا النص في نظري يشير إلى تراجع قبيلة قحطان إلى الجنوب بعد حروب طويلة =

في اليمن، وبنو قحطان ليسوا بارعين في الحرب مثل العشائر الشمالية من أمثال مطير، والعجمان، وعتيبة، كما أنهم أقل منهم أيضاً من حيث البنية البدنية والطاقة.»[1].

قال بالجريف عن أحد شيوخ قبائل عتيبة أو العجمان: «**هذا هو رئيس من رؤساء عتيبة أو العجمان يتدافع خلال هذا الحشد من الناس، ويجر مشلحه من خلفه، على طريقة البدو إلى أن تحول طرفه إلى مجموعة من الخيوط المنتسلة، كانت عتيبة والعجمان تتسودان غربي نجد وشرقيها على أثر الفوضى التي أعقبت الحرب المصرية**[2]**، وكانت هاتان القبيلتان أول من استشعر وطأة سيف الأمير عبد الله ولد الملك فيصل**[3] **بعد أن أحصتا قتلاهما بالمئات، وإبلهما المنهوبة بالآلاف، بداتا تبديان الخضوع والامتثال لحكم الملك فيصل**».

قال بالجريف عن تقدم إبراهيم باشا إلى نجد: «**تقدم إبراهيم باشا**

= قامت بينها وبين عتيبة بعد نزول عتيبة من الحجاز إلى نجد واستقرارها فيه في زمن الإمام فيصل بن تركي ـ رحمه الله ـ.

(١) لا أعتقد أن هذا الكلام صحيح فقبيلة قحطان من أقوى قبائل نجد والجزيرة العربية، وقد كانت قحطان أقوى قبائل نجد، حيث سيطرت على عالية نجد، وكان من أراد الرعي في العالية يستأذن منهم وهو ما يسمى بتعليق العاني، وقد كان لقحطان إسهامات مذكورة في الدولة السعودية الكريمة في أدوارها الثلاثة، وفي قحطان فرسان شجعان وشيوخ مشاهير.

(٢) هذا الكلام غير صحيح فقبيلة العجمان لم يكن لها وجود أو سيادة في غربي نجد إثر الفوضى التي خلفتها الحرب المصرية كما يقول بالجريف، ولم يقل بهذا أحد من المؤرخين، كما لم يرد ذكر للعجمان في غربي نجد من خلال وثائق محمد علي باشا ومراسلاته مع أبنائه وضباط جيشه، إنما نفوذهم كما هو معروف في شرق الجزيرة، كما أن قبيلة عتيبة ليس لها نفوذ في شرق نجد ولعل المقصود بشرق نجد قبيلة بني عتبة (العتوب) وهؤلاء من جميلة من عنزة، ولا علاقة لهم بقبيلة عتيبة لكنه قد يكون خلط بين عتبة وعتيبة.

(٣) هو الإمام عبد الله بن فيصل بن تركي آل سعود كان يتولى قيادة الجيوش في زمن والده توفي سنة ١٣٠٧هـ.

على رأس قوته الرئيسية عبر الوادي الرملي الطويل الذي يصل بين مكة ونجد، تاركاً صحراء النفود على يساره في منطقة القصيم، وذراع جبل طويق المنخفض (يطلق عليه في بعض الأحيان اسم جبل العارض) عن يمينه، وبذلك يصبح مساره بعيداً عن أذى جبل الدواسر وسكانه المتشددين. ولم يكن أمام إبراهيم باشا في ذلك المسار من يواجهه أو يشتبك معه سوى سكان القرى المبعثرين هنا وهناك، وغير مسلحين تسلحاً جيداً من ناحية، وكذلك قبائل حرب، وعتيبة، وعنزة، وقحطان البدوية، في حين كان يجري الحصول على الماء بشكل يومي وفي أضعف الأحيان، من الآبار التي توجد على مسافة مسيرة زمنية تتراوح بين أربعين وخمسين ساعة، في المسار نفسه».

(١٠)

نجد الشمالية

رحلة من القدس إلى عنيزة في القصيم

تأليف

كارلو غوارماني

ترجمته من الإيطالية إلى الإنجليزية

السيدة كابيل كيود

تقديم وتعليق

دوجلاس كادوثار

١٩٣٨م - لندن

نجد الشمالية

رحلة من القدس إلى عنيزة في القصيم

قال كارلو غوارماني[1] ....

(١) هو كلاوديو غوارماني ولد في لغورن بإيطاليا، في ١١ ديسمبر ١٨٢٨م. كان والده قد عمل في التأمين والشحن، وبعد ذلك تاجر حرير، وبعد خسارته في التجارة قرر الهجرة إلى بيروت وكان ذلك في عام ١٨٥٠م، في بيروت اشتغل كارلو بالتجارة، ولكنها لم تناسبه، فحصل على وظيفة ممثل للبريد الإمبراطوري الفرنسي في القدس. من موقعه الجديد بدأ غوارماني رحلاته في صحارى بلاد الشام حيث ركز جهوده على دراسة وبيع وشراء الخيول العربية. هذه الجهود قادته إلى التكيف مع الحياة الصحراوية، ومعرفة العادات واللهجات المحلية للقبائل المنتشرة في شمال الجزيرة العربية.

كانت نتيجة هذه الجهود ـ تأليفه لكتاب «الخمسة» الذي يتناول الحصان العربي. حيث يحدد أنواعه. ويضع نظاماً، يعتقد أنه كفيل إذا تم اتباعه بتطوير هذه السلالة من الخيول. طبع هذا الكتاب لأول مرة في عام ١٨٦٤ وطبع طبعة ثانية في عام ١٨٦٦، وكان الكتاب مهدى إلى الملك فيكتور عمانوئيل الثاني ملك إيطاليا (١٨٦١ ـ ١٨٧٨م).

بهذا الهدف المعلن، انطلق غوارماني في رحلته الشهيرة إلى داخل الجزيرة العربية، حيث تم له ما أراد في الحصول على حاجته والعودة إلى القدس نشر غوارماني تفاصيل رحلته بعد عامين من انتهائها، في كتاب جاء بعنوان: «شمال نجد: رحلة من القدس إلى عنيزة في القصيم»، في القدس عن طريق «مطبعة القساوسة الفرنسيسيان» عام ١٨٦٦م. ثم توالت ترجمات هذه الرحلة إلى اللغات=

عن الشيخ سلطان بن ربيعان[1] والشيخ مبرك أبو سنون[2]: **«وكإجراء احترازي طلبت من فندي الفايز رسالة توصية موجهة إلى جميع قبائل وحلفاء بني صخر، كما حصلت على رسالة أخرى من طلال بن فيصل الشعلان زعيم الرولة وموقعة من قبل اللاجىء عتيبة إلى الشيخ سلطان ابن ربيعان وهو شيخ فرع الروقة من قبيلة عتيبة في أواسط شبه الجزيرة العربية وهذه الجماعة مستقلة واشتهرت بغاراتها الجريئة والشجاعة على أقاليم شيوخ نجد والبدو الأبعدين لهم، وقد وجدت في رسالة فندي الفايز أن شخصاً كان باسم خليل آغا يحصل على عمولة لشراء الخيول في الصحراء كوكيل للحكومة العثمانية...**

قضينا أيام الخامس والسادس والسابع من شهر مارس في الطائي في معسكر «هتيم» حيث وجدنا نحو ألف خيمة لبدو قبيلة عتيبة[3].

فرع الروقة مع واحد من أعظم شيوخهم مبرك أبو سنون، وذلك لأن الأمير عبد الله بن فيصل بن سعود الذي أجبر عتيبة على طلب اللجوء لدى

= الألمانية والفرنسية والإنجليزية.

توفي بها في شهر أكتوبر ١٨٨٤م، وهو في منتصف عقده السادس.

وصف غوارماني بكثير من التفصيل أحداث رحلته، ووصف المناطق التي زارها والذين قابلهم من الناس، في تيماء وخيبر وعنيزة وحائل ـ التي منها ذهب إلى الجوف: حيث عاد منها إلى القدس، المكان الذي انطلق منه في رحلته.

قام غوارماني برحلته وهو متنكر بشخصية مسلم من تركية مسمياً نفسه خليل آغا. انظر الرحالة الأروبيون في شمال الجزيرة العربية ص ٩٧ ـ ٩٨.

(١) هو الشيخ الفارس سلطان بن محمد بن حمود بن ربيعان تولى المشيخة حدود سنة ١٢٤٦هـ واشترك في وقعة طلال عندما أغار الإمام فيصل بن تركي سنة ١٢٤٧هـ على الروقة ففزع لهم قوم هذال بن بصيّص، كما شارك سلطان بن ربيعان في مناخ المربع سنة ١٢٤٩هـ إلى جانب الدوشان. وذكره كارلوغوارماني في هذه الرحلة سنة ١٢٨٠هـ وهذا يعني أنه عاش إلى ما بعد سنة ١٢٨٠هـ، فلعل وفاته كانت حدود سنة ١٢٨٥هـ. انظر عنوان المجد، مصدر سابق، ص٣٣٢ ـ ٣٤١.

(٢) مبرك أبو سنون: هو شيخ الحبردية من ذوي عطية من مزحم من الروقة من عتيبة.

(٣) لعله يقصد بهذا المعسكر منطقة قريبة من المحاني حيث كان بالقرب منها تواجد لهتيم.

هتيم الطائي وكان يحتل مع جيشه موقعاً يقسم الميسكيب من ساريه.

وبذلك قطع إمداداتهم مع قبيلتهم في الجنوب، وللأسف الشديد قررت أنه من الحكمة أن لا أزورهم ولكن وبسبب طبعي المعاند ما كان مني إلا أن أقحمت نفسي لأرى ما يمكن فعله وقررت أن أستسلم لقدري وأشارك عتيبة في مغامرتهم، وقد كانت مغامرة بالفعل حيث بقيت لمدة ثلاثة شهور معزولاً بين ممرات الطائي وحاولت التوصل إلى هدنة أو سلام، الأمر الذي ربما يسمح لي بالوصول إلى جنوب شبه الجزيرة العربية.

وفي اليوم الثامن مثلت أمام الشيخ مبرك وأخبرته بقراري، وفي البداية حاول إقناعي للعدول عن قراري ولكنه في النهاية وافق على استقبالي شريطة أن يرافقني أحد من هتيم على الأقل.

وأعلنت أن عتيبة ليست مسؤولة في حال قتلني أحد أعدائها.

وقبل المساء وصل شيخ هتيم ممتطياً أحد الجمال إلى مخيمنا ونزل عند خيمة الشيخ مبرك، لقد حضر لتحذير الشيخ مبرك من أنه يجب عليه أن يغادر الطائي في فجر اليوم التالي وأن هذا الأمر قد جاء من الأمير عبد الله. لقد زال خوفي من الحصار وتمت إزالة جميع المخيم قبل الليل وسار نحو مائتي فارس في المقدمة وتبعهم النساء والأطفال والقطيع والعتاد في الوسط بينما سار نحو سبعمائة رجل مسلح على ظهور جمالهم في المؤخرة.

لقد ساروا لمدة أربعة أيام في الليل والنهار وكانوا يستريحون فقط لفترة قصيرة جداً دون أن ينصبوا الخيام وذلك نظراً لمهاجمتهم باستمرار من قبل فرسان نجد التابعين للأمير عبد الله، وكذلك من قبل بني قحطان... وقد حاولنا عبثاً اختراق صفوف العدو في نقاط عدة. وفي ليل الثاني عشر فقدنا القطيع كاملاً وكان لدينا ستون قتيلاً ومائتا جريح ووجدنا أنفسنا في مخيمنا السابق في الطائي، وكان جيش الأمير معسكراً ناصباً خيامه في سهل في الجهة الجنوبية الغربية، وفي ليلتي الثاني والثالث عشر قاد أو ترأس الشيخ مبرك إحدى المجموعات وتوجه إلى

ممرات ضيقة وعميقة وهناك قام بتوزيع رجاله المسلحين على الأقدام بين الصخور التي شكلت حصناً منيعاً من جميع الجهات باستثناء الجهة الجنوبية الغربية وهي جهة العدو حيث كانت هناك ثغرات شكلت ممرات قام فرسان مبرك بحراستها، وفي اليوم الثالث عشر قام بنو قحطان بمظاهرة على ظهور خيولهم وكانوا تحت مرمى رجالنا ولم يتمكنوا من إقناعنا لقبول تحديهم. وفي اليوم الرابع عشر هاجمنا الأمير عبد الله من جميع الجهات وقد استطعنا صد ذلك الهجوم وخيبنا آمالهم وانتصرنا عليهم وفي اليوم الخامس عشر بدأ الأمير عبد الله مهاجمتنا شخصياً مع جميع قواته التي كان عددها نحو عشرة آلاف رجل. ولم يتوقف القتال الذي استمر ساعتين بعد غروب الشمس، ولكن ومع ذلك لم يستطع ترحيلنا أو طردنا من أعشاش نسورنا ولم يتمكن من هزيمة فرساننا وعند منتصف تلك الليلة نشرت صيحات الحرب(١) التي أطلقتها عتيبة الخوف والذعر في معسكر الأمير عبد الله حيث فاجأ الشيخ سلطان بن ربيعان شيخ الروقة يرافقه أربعمائة فارس وخمسة آلاف رجل مسلح على الجمال، فاجأوا أهالي نجد وبدؤوا ينبحونهم. وبدأت قواتنا تسرع لتزيد من اضطراباتهم واستمرت تلك المعركة حتى الصباح وتخلى بنو قحطان عن الأمير عبد الله الذي انسحب إلى القصيم دون أن يتبعوه وقد تعانق المنتصران سلطان بن ربيعان ومبرك في ساحة المعركة.

وربما أجعل من نفسي بطل سيرفانتيس وأفوز بمديح أو سخرية القراء لولا أن فضلت حب العلم والحقيقة. ولذلك سأعترف أنه في جميع المعارك التي قادها الشيخ مبرك كان موقعي آمناً حيث كنت أختبىء مع الجرحى والنساء والأطفال.

وفي أغلب الأحيان كان يسمح لي بالتجول بين الخيول المربوطة

---

(١) صيحات الحرب أي مثل آلاد روق وهي عزوة الروقة من عتيبة ولكل فرع من الروقة عزوة خاصة مثل: آلاد زراق، وآلاد حافي، وآلاد عالي، وآلاد الخشيمي وغيرها، وهي تخص الفروع التالية: الزراريق، الحفاة، ذوو عالي، والحزمان من الروقة من عتيبة.

بالشجيرات الصغيرة ولذلك كان بمقدوري متابعتهم عن قرب بسهولة دون مبالاة بالطلقات الطائشة التي كانت تتراشق فوق رأسي أو تلك التي كانت تسقط عند قدمي دون أي أذى. لقد كانت ملاحظاتي ممتعة وكانت خيول عتيبة هي الأقوى بين خيول الصحراء قاطبة. وعندما كنت أنشغل بالجرحى الذين تم إحضارهم لي لمداواتهم وعلاجهم وتضميد جراحهم وكنت أشجع الجرحى على العودة للقتال بأسرع وقت ممكن وذلك بعد وضع الرماد على جروحهم أو بعد تضميدها»[1].

وقال عن نساء عتيبة: «إن نساء عتيبة منافسات شريفات فاضلات نبيلات ينافسن بطلات حمير القدامى.. لقد تم اتهام مرافقيّ الاثنين من هتيم بأنهما كسولان فهما لم يتركاني ولو لدقيقة واحدة. ولو انتصر الأمير عبد الله لكان لزاماً عليهم حمايتي. ولهذا السبب فرض الشيخ مبرك هذا الشرط على إقامتي معهم. وفي صباح اليوم السادس عشر ساومت على ثلاثة خيول في ريعان شبابها كان اثنان منهما كميت أي كستنائي اللون وبشكل عام يميلان إلى السواد. وكان الثالث كستنائيًا وفيه بقع سوداء. ولم يحدد الشيخ سلطان بن ربيعان السعر ولكنه قبل السعر الذي عرضته وهو مائة جمل مقابل ثلاثة خيول. ومن المتعارف عليه أن الخيل الشابة كانت تساوي مائة جمل وحدها إذا كانت أصيلة ومرباة جيداً. وكانت هذه الخيول تعد مختلفة جداً عن بقية خيول القبيلة. فقد كانت تساوي قطيعاً من الخيول وكانت تعيش حالة شبه برية ولم يتم ركوبها إلا إذا كانت القبيلة في حالة خطر شديد ولذلك كانت مائة جمل قيمة ثلثها فقط. وقد حصلت عليهم بذلك السعر بسبب توصية الصخور ولاجئي عتيبة والذين تعرفت عليهم على أنهم أتباعٌ لطلال بن فيصل الشعلان، مع الإشارة إلى الموقف الجيد للشيخ مبرك الذي كان يريدني أن أغادر في أسرع وقت ممكن خشية أن يصيبني مكروه.

ولدى توزيع الغنائم نشب خلاف ونزاع بين الشيوخ حول فرس

---

(١) نقلت جاكلين بيرين هذا النص من استلامه الرسالة من ابن شعلان، وحتى انتهاء الوقعة، في كتابها «اكتشاف جزيرة العرب»، مصدر سابق، ص٢٩٠ وما بعدها.

كميت كستنائي ذي نجمة في جبهته مع علامة مميزة في رجله وتدخل الشيخ مبرك كوسيط وأقنعهم أن يعطوني الحيوان الذي نحن بصدده وذلك مقابل رعايتي للجرحى. وقد قبلت تلك الهدية وقد أعطى سلطان بن ربيعان الأفراس إلى دليليّ من هتيم وطلب منهما أن يوصلاها إلى مراعي «قفيف» على الحدود الغربية لجبل شمر وأن لا يعيداها لي إلا بعد أن يتم الدفع. وإلا سيتم إعادتهما له من خلال بني حرب، ورغم أن أمراء نجد جعلوا من هتيم وبني حرب حلفاء لهم، إلا أنهم لا ينجحوا في جعلهم أعداء لعتيبة. وإذا رغبت «هتيم» في التخلي عن مبرك الطائي فسيكون ذلك لأنها تخشى مصالحتهم مع الأمير عبد الله. وعندما عادوا في المرة الثانية نصبوا خيامهم في منطقة تبعد مسير يوم إلى جهة الشمال الشرقي خشية أن تأتيهم أوامر جديدة بالرحيل. لقد أصبح بنو حرب أقوياء وبدؤوا يتمردون على زعيمهم وكانوا يريدون الاستقلال. وسواء أكانوا بدواً أم حضراً فهم لا يطيعون شيخهم سعد بن جزا الذي أقام في قفيف. ومن بين الأربعمائة فارس التابعين لسلطان بن ربيعان كان هناك مئتان منهم يركبون على أفراس. وقد تمت تسوية العداء الدموي المتأصل بين الذي قسم هذه القبائل الثلاث تماماً ومع أنهم أعداء في الظاهر، إلا أنهم كانوا يعيشون بسلام وهم يقاتلون معاً تحت راية واحدة. وأنا أقول راية وليس «العطفة»[١] لأن هذه الكلمة لم تعد تستخدم في نجد وهي تستخدم في سوريا ويستخدمها فقط بشير الأمير هذال والرولة شعلان[٢]. ولدى زيارتي لميدان المعركة لاحظت أنه لم يكن هناك أي قتيل أو جريح من قحطان ولم يتم اتهام عتيبة بفقدان أيٍّ من رجال بني قحطان.

---

(١) العطفة، سوف يأتي شرحه عنها.

(٢) بل كانت تستخدم إلى وقت قريب ومن آخر الأيام والمعارك المشهورة بالنسبة لعتيبة مناخ الرشاوية سنة ١٣٢٧هـ، وقد قال عنها المؤلف في حاشية كتابه: «العطفة مثل المركب نوع من رايات وشعارات المعركة. وتتألف من مهد خشبي مزخرف بريش النعام يحمل على ظهر الجمل ويكون في المقدمة وتتبعه القبيلة في المعركة وتجلس داخله صبية بدوية وذلك من أجل زيادة حماس وشجاعة المقاتلين، ويقول بوك هارت إن هذا التقليد قد اندثر وآخر من استخدمه هم الرولة».

وفي الواقع تذكرت أنه بين التاسع والثاني عشر لم يهاجمنا فرسان نجد وإنما كان بنو قحطان يكتسحون جناحينا اليميني واليساري باستمرار ويطلقون علينا العيارات النارية مع اننا كنا نظن أن بنادقهم محشوة بالبارود فقط دون طلقات حيث إنها لم تكن تصيب أهدافها ومع ذلك حافظ فرساننا على مواقعهم الدفاعية لعدم علمهم اليقين بنوايا المعتدين.

وبهذا الطريقة شارك بنو قحطان في حملة الأمير عبد الله دون الإضرار بعدوه وذلك نظراً لقربهم من عريد. وأعلن هتيم وأتباع طلال بن رشيد[1] وتابع والد الأمير، أعلنوا أنفسهم محايدين وسمحوا بالدخول على إقليمهم بينما ساندهم بنو حرب الحجازيين سراً. وإذا أخذنا هذا كله بعين الاهتمام فلا عجب أن الأمير عبد الله لم يطردنا من مواقعنا عندما كان العشرة مقابل واحد دون التقليل من قدر رجالنا. وكذلك كان ينبغي عليه أن يستسلم لنصف عدد جيشه. لقد كان محمد محقاً عندما قال: إذا لم يأتِ الجبل إليه يذهب هو إلى الجبل وجبلي كان عتيبة الشيخ سلطان ابن ربيعان[2].

لقد وفر على هؤلاء البدو رحلة طويلة. وقد أنجزت مهمتي بسهولة أكثر مما كنت آمل. وكان طموحي أن أصل إلى أواسط شبه الجزيرة العربية وبما أنني حققت هدفي فمن الحماقة التقدم أكثر دون مبرر. وقررت أن أعود في رحلات أو مناسبات في المستقبل.لقد تم نبح خمسين جملاً وتشكل جبل من اللحوم وبدأ تحضيرها من أجلي ومن أجل الشيخ.

وغادرت عتيبة بعد غروب الشمس بساعة وكدت أبكي عندما عانقني الشيخ مبرك على طريقة «صخور» وتركوني وحيداً مع مرافقي في ذلك السهل الدموي الفسيح. وقد ذهب المرافق الثاني عند منتصف الليل

---

(١) هو طلال بن عبد الله بن رشيد ثاني أمراء الرشيد في حائل، حيث تولى الإمارة من سنة ١٢٦٣هـ ومات منتحراً سنة ١٢٨٣هـ انظر تاريخ ابن عيسى ٢/ ١٨٥.

(٢) يقصد الروقة من عتيبة.

للعثور على بدو أو بدويين في خيم هتيم حيث كانت هناك حاجة لهم للعناية بالخيول.

لقد كان لدى بني حرب ١٠٠٠ فارس وكانوا يدفعون الزكاة إلى فيصل ابن سعود[1] ولكن أيضاً كانوا حلفاء لعرب عتيبة ولأعداء زعماء نجد. وقد قل عدد أفراد قبيلة عتيبة وأصبح عدد فرسانها ٧٠٠ وكانت تحتل السهول الممتدة من جبل عماري إلى الحدود الجنوبية لإقليم هتيم إلى جنوب المسكب. وكان فرعا الروقة وبرقا أكبر فرعين لهذه القبيلة برئاسة الشيخين سلطان بن ربيعان وتركي بن حميد[2]. وكانت خيول قبيلة عتيبة تشتهر بأنها من أجمل وأفضل خيول الصحراء العربية.

وقال كارلو غوارماني عن أعداء الأمير طلال بن رشيد: «والأعداء الذين كان الأمير طلال بن رشيد يحاربهم باستمرار هم عنزة السوريون (بشر والرولة) والظفير وعتيبة ومطير»[3].

---

(١) هو الإمام فيصل بن تركي المتوفى سنة ١٢٨٢هـ رحمه الله.

(٢) هو الشيخ تركي بن حميد المتوفي سنة ١٢٨٠هـ رحمه الله.

وجاء في هامش ٣ ـ ما ترجمته: «ديرة عتيبة: هناك فرعان رئيسيان لعتيبة وهما برقا والروقة وهندي وربيعان هما عائلات الشيوخ وعتيبة هي أقوى القبائل العربية والثانية من حيث الأهمية بعد عنزة، وهي تحتل الجهة الشرقية من الحجاز حول الحرات البركانية بين طريق الحج والسهول الوسطى. وتمتد مراعيها من القصيم والوشم إلى ديرة قحطان. وتعد ديرتهم استثنائية من حيث تساقط الأمطار وتتأثر بموسم المونسوم الهندي في فصل الخريف. ولذلك ينبت هناك كميات كبيرة من الأعشاب والخضرة وبذلك يكون هناك مراعٍ جيدة، وليست لدينا معلومات كافية حول خيولهم، وربما تكون ملاحظة جرماني صحيحة نظراً لحقيقة أنهم قادرون على تربية قطعان كبيرة من الماشية والجمال والأفراس البرية».

قلت: والحقيقة أن قبيلة عتيبة لا تقتصر على هاتين المشيختين الكريمتين، بل يوجد في عتيبة مشيخات أخرى عريقة والتي سوف يأتي ذكر بعضها في هذا الكتاب.

(٣) الرحالة الأوروبيون في شمال وسط الجزيرة العربية منطقة حائل (١٨٤٥ - ١٩٢١م)، د.عوض البادي، دار برزان للنشر، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص٢٣٤.

(١١)

الرحلات في شبه الجزيرة العربية

تأليف

تشارلز داوتي

الرحلات في شبه الجزيرة العربية

قال تشارلز داوتي[1]: «والعتبان هم من بين قبائل البدو التي تفزع إلى

---

(١) هو تشارلز مونتاغو داوتي Charles Montagu Doughty ولد في صفولك البريطانية عام ١٨٤٣م في عائلة ثرية ذات تراث يرتبط بالبحر والكنيسة. درس الجيولوجيا في جامعة «كامبردج» فقاده هذا التخصص إلى الترحال لاستكشاف الأنهار الجليدية في النرويج وهو في العشرينات من عمره، واستهوته الآداب وعلوم اللغة الإنكليزية، فهو من الرحالة الحجاج الذين رحلوا إلى الشرق للبحث عن جذور المسيحية في المشرق العربي، بعد أن عصفت الأفكار المادية والعلمانية بالمعتقدات الدينية المسيحية بشدة، مر من خلال أسبانيا وإيطاليا حيث شاهد اندفاع بركان فيزوف عام ١٨٧٢م، ثم تابع السفر إلى اليونان ثم القاهرة في أوائل عام ١٨٧٥م، ثم ركب عبر صحراء سيناء حتى البتراء، حيث سمع بمدينة ذاع صيتها في عالم الآثار وتاريخ الأنبياء عليهم السلام.. إنها مدائن صالح سبع مدن كبيرة نحتت في الصخر التي كانت مزدهرة بسبب موقعها على الطريق الموصل من الجزيرة العربية إلى القدس الشريف، ولهذا رغب برحلة عبر الجزيرة العربية إلى تلك المدائن ليفك رموز الكتابات المنقوشة على الحجر، لاعتقاده أنها ذات دلالات توراتية.. وتورد بعض المصادر أن داوتي وصل إلى دمشق، فتعلم فيها اللغة العربية، وتسمى باسم الحاج خليل النصراني وهو اسم مشترك تتسمى به كل الديانات في الشرق، وصل تيماء، وبعد أحداث وصل إلى أمير جبل شمر محمد ابن عبد الله الرشيد الذي استقبله بلباقة... بعدها سافر إلى مدينة خيبر وبعد أسابيع طويلة رحل إلى مدينة حائل بعدها وصل إلى بريدة وعنيزة والتقى بأمير عنيزة زامل السليم، بعدها ذهب إلى الطائف مع أحد أشراف مكة اسمه سالم، ومرض في الطريق، وفي الطائف التقى بالشريف ابن عون فاستقبله وأكرمه بعدها أرسله إلى =

عنيزة. ولم تكن عتيبة أو مطير على علاقة طيبة مع بريدة، وتمتد مناطق وأقاليم عتيبة بين القصيم من جهة الشمال والمناطق المجاورة لمكة. وتمتاز تلك المناطق بأنها من أفضل السهول الرعوية في شبه الجزيرة العربية وعتيبة هي من أقوى القبائل في شبه الجزيرة العربية، ويصل عدد أتباعها إلى نحو ٦٠٠٠ ستة الآف شخص[١]، ويشتهر أتباع هذه القبيلة بأنهم الأكثر اتزاناً بين قبائل البدو على الإطلاق، وكانوا حلفاء لعبد الله بن سعود[٢]، كما كانوا أكثر اعتدالاً في دينهم أي أنهم كانوا بعيدين عن التطرف والتعصب ويفتخرون بأنهم أصدقاء وراثيين للأشراف في مكة.

وتصل مناطق مطير الصحراوية إلى نحو ٢٠٠ فرسخ وكانوا كثيري العدد بين القبائل العربية ويأتي ترتيب مطير الثانية بعد عتيبة وربما يصل عدد أفرادها إلى نحو ٥٠٠٠ خمسة آلاف شخص، وكان عدد خيم قبيلة مطير على نحو ٢٠٠ خيمة موجودة في القصيم، وكان زامل[٣] يرسل حملاً أو حملين من التمر إلى شيخ مطير الأكبر وذلك لضمان عدم اعتراض قوافله أو قوافل القبيلة.

عندما توفي فيصل الذي كان كبيراً في السن وكان ضريراً خلفه ابنه الكبير عبد الله في الرياض[٤] وانسحب سعود الابن الأصغر والذي كان لديه رغبة بالظهور انسحب إلى اليمن حيث جمع مجموعة من البدو الأنصار من وادي بيشة ووادي الدواسر ومن بدو المناطق، ثم عاد مع هذه الحشود إلى نجد وحارب شقيقه واستولى على الحكم، وفر عبد الله بن فيصل

= جدة عام ١٨٧٨م حيث دخل إلى القنصلية البريطانية، بعدها عاد إلى بلاده، وقد تمخضت رحلة داوتي عن كتاب مذكرات اسمه «الصحراء العربية» وصفه لورنس بالواقعية، نقلت هذه الترجمة باختصار، أسعد الفارس، رحالة الغرب في ديار العرب، الناشر صقر الخليج للنشر والإعلان ـ الكويت، ص١١٦ وما بعدها..

(١) هذا التقدير غير صحيح، فقد ذكر الشريف شرف بن عبد المحسن البركاتي في رحلته سنة ١٣٣٠هـ بحوالي ثلاثمائة ألف نسمة. انظر الرحلة اليمانية، ص ١٨٧.

(٢) يقصد الإمام عبد الله الفيصل المتوفي سنة ١٣٠٧هـ

(٣) هو زامل بن عبد الله بن سليم أمير عنيزة المتوفى سنة ١٣٠٨هـ.

(٤) هو الإمام فيصل بن تركي آل سعود المتوفى سنة ١٢٨٢هـ.

وأصبح لاجئاً لدى محمد بن الرشيد، وبما أنه أصبح قائداً أو حاكماً أراد سعود إخضاع قبيلة عتيبة إليه لأنهم كانوا حلفاء لعبد الله.

وانطلق سعود مع رجاله المسلحين ومع حلفائه من البدو من قبائل العجمان وعرب الدواسر والمرة وقحطان ومطير وجمعيهم ساروا تحت راية سعود.

وانتشرت عتيبة في رحاب الصحراء الواسعة، إلا أنه وصلت إلى الرياض معلومات مفادها أن عتيبة قد أقامت مخيماً صيفياً في إحدى المناطق التي كان يوجد بها مياه. وما كان من سعود إلا أن أسرع لملاقاتهم قبل أن يـ ـزل بينه وبينهم أي شيء. وبالفعل وصل إلى ذلك المكان وقت صلاة العصر وهاجمهم على حين غرة، مع ذلك نهضوا جميعاً وأمسكوا أسلحتهم وبدؤوا بالمواجهة وما كان من سعود إلا أن توقف عن القتال في ذلك اليوم وذلك نظراً لأن رجاله وحيواناتهم من خيول وجمال قد أصابها التعب إثر السفر والقتال..

وانسحب الوهابيون[١] قبل الغروب وأضرموا النار ونصبوا الخيام.

وحدث أن الشقيري الصغير كان في حينها في منزل عتيبة يحاول بيع الملابس إلى أحد بائعي الملابس وبعد صلاة الفجر طلب شيخ عتيبة[٢] من بعض الأتباع حراسة المخيم من الخلف وطلب المضيف من بائع الملابس البقاء في مكانه. وسارعت عتيبة لمواجهة الأعداء الذين كان عددهم يفوق عدد العتبان بنحو ستة أضعاف. وانسحبت مطير في الوطأة العظمى للهجوم وفقدت رايتها، وهاجمت قحطان إلى جانب حليفها بل حلفائها مع الإشارة إلى ان القحطانيين هم الأفضل في القتال بين قبائل البدو، وهزم فرسان ابن

(١) هذا النعت أطلقه أعداء الدعوة السلفية، وإلا فالوهابيون مسلمون سنيون أحيوا ما كان عليه السلف الصالح.

(٢) المقصود هنا هو الشيخ الفارس مسلط بن ربيعان المتوفى سنة ١٣١١هـ.

سعود وتم سلب مائتين من أفراسه وكان هذا تقريباً مجموع ما لدى الوهابيين من أفراس.

ثم تحول القتال ضد مطير. وهنا تذكر البدو العداء القديم بينهم، وبدأت المعمعة الكبرى ثم انسحبت قحطان أخيراً وأخذت معها جميع ما حصلت عليه وبقيت عتيبة الشجاعة سيدة في ميدان المعركة[١]، وقد أسفرت تلك المعركة عن سقوط ثلاثمائة من رجال سعود وأصبحت خيمته وأمتعته غنيمة لعتيبة، وهكذا عاد الوهابيون إلى الرياض بعد هزيمتهم وأدت تلك الهزيمة إضافة إلى فقدان الأفراس إلى ضعف وشبه زوال للحكم الوهابي الذي استمر نحو مائة عام، ثم بدأت الوهابية تنشأ مجدداً على يد المصلح الوهابي محمد بن عبدالوهاب الزعيم الديني المتعلم الذي كان يسكن أو يعيش في الدرعية شرق نجد[٢].

وفي السنوات الأخيرة احتلت الوهابية أجزاءً من الحجاز عندما جاء محمد علي الألباني حاكم مصر بأسطول وجيش يمثل السلطان العثماني لإنقاذ الحرمين[٣].

علمنا أن محمد بن رشيد قد تسبب بإرهاق وقلق الثلول في بلدهم، وقد تركنا غرازي يرعى في السهول الرعوية في الشمال خلف النفود، ومن هناك تقدم الأمير ترحالاً إلى سوق الشويكة وأقام مخيماً هناك قرب نهر أو أنهار الرافدين وكانت نيته من الإقامه هناك النيل من المناطق المجاورة لمكة، وانطلق ابن رشيد مع جماعة مسلحة ومجموعة من البدو الذين كانوا برفقته واتجهوا جميعاً نحو القصيم. ولدى مروره بجانب قبيلة حرب استدعى

---

(١) قبيلة عتيبة لم تشارك هنا جميعها إنما المقصود الروقة فقط وهذه الوقعة هي وقعة طلال سنة ١٢٩٠هـ انظر: عقد الدرر، مصدر سابق، ص ٨٨.

(٢) هذا القول غير صحيح، فدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب زمن الدولة السعودية الأولى، وليس في هذا التاريخ سنة ١٢٩٢هـ أي زمن الدولة السعودية الثانية.

(٣) هذا القول فيه نظر، وهو يمثل وجهة نظر البعض، وإلا فأئمة آل سعود طهروا بلاد الحرمين من البدع وأزالوا الخرافات والمعتقدات التي كانت سائدة آنذاك.

منهم بعض الفرسان وتجمعوا عند منطقة تسمى سميرا[١] ومع اقترابهم من حرة كشب المجاورة للحجاز وجدوا بعض أتباع قبيلة عتيبة وسلبوهم ثلاثة عشر ألف جمل (وقد اعتاد العرب على المبالغة) ربما يكون العدد (١٣٠) مائة وثلاثين جملاً فقط، إضافة إلى بعض الماشية دون ذكر العدد[٢].

عرب عتيبة:

الشريف ناصر حامل لقب شريف مكة وكان رفيقي في رحلتي إلى جدة فيما بعد وسمّى لي أكثر من ثلاثين من أتباع عتيبة[٣]:

ذوو ثبيت	العصمة	الزوران	الشيابين	البطنين
المزاحمة	الروسان	وقدان	البراري	الشهبة
المفاريج	النخشة	الحلسة	الدهسة	الذويبات
المراشدة	الجعدة	الحسانة	المراوحة	المناصير
المقطة	السوطة	الفطيمة	المناجم	الكرزان
ذوو زياد	الوذانين	الدعاجين	العيلة	الصبحة
	الحليفات		عربا	لغبيات

ثم أضاف قائلاً إن أقل من ربع القبيلة قد تجمعت لمواجهة ابن

---

(١) سميرا: بلدة تقع في منطقة حائل.

(٢) يكون تاريخ هذه الوقعة بين ابن رشيد وبعض عتيبة هو زمن رحلة داوتي سنة ١٢٩٥هـ تقريباً.

(٣) هذه الفروع التي ذكرها فيها خلط واضح فمثلاً يذكر المقطة ثم يذكر الكرزان، والكرزان من المقطة كذلك يذكر الروسان ثم يذكر المراوحة، والروسان أصلاً من المراوحة، ثم يذكر المزاحمة ثم يذكر المراشدة، والمراشدة منهم. كما خلط بين فروع عتيبة الحجازية والنجدية، صحيح أن عتيبة أهل نجد هم من أهل الحجاز إلا أن التقسيم في نجد يختلف إلى حد ما عنه؛ ففي الحجاز تنقسم بنو سعد أصل عتيبة إلى قسمين هي البطنين والثبتة. أما في نجد فإن تقسيم عتيبة فيه شيء من الاصطلاح حيث تنقسم برقا إلى شملى وعيال منصور، والروقة تنقسم إلى المزاحمة وطلحة، وهناك من يضيف الثبتة فرعاً ثالثاً مستقلاً من الروقة.

سعود، وقال إنه عدّ خيولهم التي كانت موجودة هناك، وكان عددها ٢١٠٠ ألفين ومائة (لقد لاحظنا أن البدو يضاعفون الرقم الحقيقي عشر مرات أي عشرة أضعاف).

الشيخ مذكر:

وقبل الظهر أعلنت حالة الاستعداد وتوجه الجميع إلى أسلحتهم وقام البعض بإطلاق النار وتلقيم أسلحتهم من جديد، وبدأ الرماة وحملة الرماح بالتقدم نحو المقدمة وبدأت القافلة تسير بانتظام، وكان سليمان من بين الذين أعادوا تجهيز أسلحتهم ثم امتطى حصانه ووضع بندقيته في حضنه وكان يضغط على أسنانه من شدة الحقد، وكذلك فعل العديد من رجال القافلة. وأرسل إبراهيم بعض الصبية لاستكشاف المكان ثم سمعنا خادم الأمير يصيح قائلاً: تقدموا وكنا على ارتفاع ٤٥٥٠ قدماً. وسارت القافلة عبر الصحراء ولم يكن هناك ما يدل على وجود أي إنسان في تلك المناطق. وعندما بدأت الشمس تغيب حطت القافلة الرحال في منطقة «أم مشايب»[1] حيث كان الارتفاع ٤٥٠٠ قدم وهكذا عبرنا أعلى منطقة في الصحراء الوسطى العظمى.

وقد وجدت أن الشيخ مذكر[2] كان في جميع المنازل تحت ظل إبراهيم حيث كان ينزل مع الأمير. ورافقنا أحد شيوخ البدو لحراسة[3] القافلة في جميع المواجهات مع أتباع قبيلته عتيبة.

وكان هو واثنان أو ثلاثة من أتباعه يتولون حراستنا في «الخلاء» مع أن رجل قافلتنا من أهالي القصيم ويعد من الخبراء في الصحراء، حيث

---

(١) أم مشايب: لم أجد لهذا الموضع ذكر فيما بين يدي من مصادر، ولعل الاسم فيه تصحيف.

(٢) لا أعرف في شيوخ قبيلة عتيبة زمن رحلة داوتي سنة ١٢٩٥هـ سوى الشيخ مذكر ابن شنبر الكرناف شيخ البسايس من النفعة من عتيبة، فلعله المقصود.

(٣) يقصد لحماية القافلة من قبيلة عتيبة باعتباره رفيقاً لهم من هذه القبيلة حسب عادات القبائل آنذاك.

إنهم يسافرون مع القوافل منذ ريعان شبابهم[1]. وكان يرافقنا في تلك الرحلة صالح الذي سافر بين مكة والقصيم مائة مرة تقريباً وتعادل تلك المسافة نحو خمسين ألف ميل أو مسير أربع سنين متتابعة وكذلك كان يسافر بين القصيم وبين الخليج وبين إقليم النهر، وكان صالح يكاد يعرف اسم كل صخرة كانت تصادفنا في رحلتنا. لقد كانوا يعرفون طريقهم تماماً ولكنهم لم يكونوا على دراية بما وراء تلك الطرقات. وحقاً كانت دعابة وفكاهة البدو ممتعة جداً مقارنة مع مزاج أهالي المدينة. لقد كنت ـ بالمناسبة ـ أحد أصدقاء الشيخ مذكر. وعندما تحدثنا حول غزوات ابن رشيد قال لي الشيخ مذكر: أنت كنت في حائل وأنت «مطوع» أي خليل ألم تتمكن من تخليصنا من ابن رشيد «الهيشم» وكنا سنكافئك. إذ ليس هناك أحد يقلق عتيبة ويبتليها ويوجعها سواه[2]، وأضاف قائلاً إنه ليس لديهم أصدقاء في المناطق الشمالية سوى قبيلة عنزة. عندما سألته هل كان عرب عنزة جيدين؟ أجاب قائلاً: نعم.، ثم سألني: إذا حدث وزارني في بلدي ماذا سأعطيه؟ فرساً وفتاه صبية ليتزوجها أم ماذا؟ وماذا ستعطيني يا مذكر عندما أصل إلى بيتك؟ وهنا انزعج البدوي لأن خيمته لم تكن بعيدة وأجاب أنه سيقدم له بنتاً ليتزوجها. ولكني أعطيتك فرساً يا مذكر. حسناً إذاً

---

(١) يشير إلى العقيلات المشهورين بالأسفار والتنقل من أجل التجارة.

(٢) يقصد الأمير محمد بن رشيد الذي تولى الإمارة من سنة ١٢٨٩ ـ إلى ١٣١٥هـ، ويستفاد من هذا النص أن ابن رشيد بدأ يغزو عتيبة منذ أن تولى الإمارة سنة ١٢٨٩هـ حتى زمن رحلة داوتي سنة ١٢٩٥هـ مع أن ابن رشيد أكثر في غاراته ووقائعه مع عتيبة حتى وفاته سنة ١٣١٥هـ ومنها وقعة الرحا سنة ١٣١٠هـ، ولكن مما تجدر الإشارة إليه أن ابن رشيد لا يحقق في كل هذه الوقائع انتصاراً فقد يرد وتؤخذ خيله، وهذا ما قاله محمد بن رشيد، واعترف به في خطابه لأهل الزبير عندما أهدوه هدية لا تليق بمقامه وهم يرددون قبل ذلك بيتاً من الشعر العامي وهو: متوهم تحسبنا عتيبة لو نزفر تظهر من حايل. فقال ابن رشيد وكان ينوي الغزوعليهم: (أنا أخو نورة تعدون عماركم مثل عتيبة طوال الأيمان اللي يقلعون خيلي هؤلاء فرسان نجد) (رواية محمد العلي العبيّد شريط مسجل بصوته)، وسوف يأتي أيضاً أن طلال بن رشيد قبله أمير حائل كان يغزو عتيبة أيضاً.

ساعطيك جملاً نذهب إلى مكة وأنت إلى جدة، وبعد ذلك إلى أين تريد أن تذهب؟ إلى الهند. قال إبراهيم إنه يفكر بالذهاب إلى الهند معي؟ فهل أنتظره في جدة إلى أن يصل في موسم الحج بعد أربعة أشهر.

ثم تحركنا قبل الفجر بنحو ساعة وبدأ يطلع النهار وتظهر الصحراء وأشجار الأكاسيا أمامنا بوضوح ولم نجد عليالطريق أية بئر يتجاوز عمقها ٢٤ قدماً.

وقال مذكر إن هذه المناطق مليئة بـ «القلبان» وآبار المياه بالنسبة للعرب وقال لي إنه عندما تسقط الأمطار تمتص التربة السيول بسرعة ولكن عندما تنهمر الأمطار بكثرة تشكل الفيضانات وتسيل السيول غرباً نحو وادي رماح. وهذه المنطقة مليئة بالطرق وممرات الماشية مع وجود مناطق خاصة بالماعز والغزلان. ثم اتجهنا نحو اليمين حيث يوجد منطقة صخور وعرة «جي شيعبة»[(١)]، وهناك العديد من البدو، وقد مررنا بصخرة جرانيت تشبه الخيمة «واريسة»[(٢)] وفي وقت الظهيرة مررنا بين جبال بازلتية سوداء مليئة بالنتوءات نتيجة السيول وفي تلك الجهة كانت «ثولعان النير» على ذلك «الشعار».

ثم انطلقنا من عفيف قبل طلوع الشمس وتركنا سلسلة الجبال المنخفضة «عطولا» التي كانت على يسارنا وبدأنا نعبر الصحراء الواسعة وكان هناك بعض النباتات اليابسة وحتى ذلك الوقت كان الشيخ مذكر يقول لي إن لديهم مراعي أفضل من تلك المراعي. وبدأت الجبال تقل ولم يعد هناك سوى بعض الصخور.

وقال داوتي عن بلاد عتيبة وعدائها لابن رشيد وقوتها: «..(أفضل ما شاهدت في براري الجزيرة العربية)، وهو خاص بأمة [قبيلة] عتيبة؛ إنهم شجعان في الحرب، وبدو ذوي روح مدنية، وأعداء ابن رشيد الرئيسيين.

---

(١) لعل الصواب شعيب الشعبة.

(٢) لعل المقصود الأروسة وهي من آبار قبيلة قحطان، ثم انتقلت ملكيته إلى برقا من عتيبة، تقع جنوباً من بلدة عفيف على بعد مئة وأربعة وثمانين كيلاً. انظر عالية نجد ١/ ١١٠ ـ ١١١.

ويندر أن تمضي سنة دون أن يقوم ابن رشيد بغزوهم، وهم بدورهم كانوا مصدر الهلاك للأعراب التابعين له لا سيما من قبيلة هتيم المقيمين في المناطق الوسطى عند وادي الرُّمّة، وجيرانهم من حرب»[١].

وقال في موضع آخر من كتابه عن خلاف محمد بن رشيد وعبد الله الفيصل مرجحاً أسبابه إلى غزو ابن رشيد لعتيبة حيث يقول: «...وتعود هذه العداوات جزئياً إلى أن محمداً كان دائماً يغزو قبيلة عتيبة، الحلفاء المخلصين لعبد الله الوهّابي(رغم أنهم غير خاضعين له الآن)»[٢].

وقال عن ضغط قبيلة عتيبة على قحطان: «...، وكذلك تفعل قبيلة عتيبة من الجهة الجنوبية»[٣].

وقال عن سير قوافل ابن رشيد للحج والتي تمر قريباً من خيبر، وانطلاقاً من المستجدة، أو من مورد ماء سميراء الكبير، مروراً بشرق حرة كشب وعلاقتها بعتيبة حيث يقول: «ومن هناك يسيرون لمدة يومين عبر وادي الليمون إلى مكة. إنه لمن المستغرب ألا تقوم قبيلة عتيبة (الأعداء الرئيسيين للأمير والأقوياء)، بمهاجمتهم. ولكن هناك سَرِيّة من رجاجيله ترافق القافلة للدفاع عنها»[٤].

وقال عن طرد عبيد بن رشيد لبدو عنزة الذين يملكون أراضي قرية الحويط، واستقبال عتيبة لهم: «...إلا أن عُبيداً بن رشيد طردهم لأنهم لم يكيفوا أنفسهم مع إدارة الأمير، إذ استقبلوا جيرانهم من قبيلة عتيبة، الذين كانوا أعداءه، كدخلاء لهم، وكانوا يحمونهم ضده»[٥].

وقال أيضاً عن عداء عتيبة لابن رشيد: «...، **وأعداؤهم الوحيدون هم**

---

(١) الرحالة الأوروبيون في شمال وسط الجزيرة العربية منطقة حائل، د.عوض البادي، مصدر سابق، ص٣٥٠ ـ ٣٥١.

(٢) المصدر السابق، ص٣٦٨.

(٣) المصدر السابق، ص٣٧٠.

(٤) المصدر السابق، ص٣٨٩.

(٥) المصدر السابق، ص٥٠٧.

عتيبة» ويشير معتوق تجاه الشرق ويقول: «كل الخطر يأتي من هناك!».

وقال داوتي وهو يحدث رجلاً اسمه معتوق ويسأله عن بندقيته: **«سألت معتوق، أين بندقيته؟» فأجاب بأنه فقدها في غزوة مع عتيبة، كان ذلك قبل سنة»**[1].

وقال عن منطقة عتيبة التي خلف وادي الرمة: **«تظل أرجاء هذه البلاد كافة مكشوفة لغزوات عتيبة، الذين يسكنون خلف وادي الرمة»**[2].

وقال عن بني علي من حرب وانسحابهم من المنطقة خشية غزوة لابن سعود وعتيبة: **«...كانوا ينسحبون تجاه الجنوب، وهجروا المنطقة خشية غزوة لابن سعود وعتيبة!فكيف بي الآن أن أمضي قدماً إلى القصيم؟»**[3].

وقال عن شيخ من عتيبة وصفه بالثراء بعد أن سئل صديق له من عنيزة عن ثروة خلف بن ناحل الحربي ما لو أصيب بطلقة إلى أين ستذهب ثروته وبضائعه: **«فأجاب بحكاية أخرى - وقال: «كان يوجد شيخ ثري جداً من شيوخ عتيبة، نعرفه جميعاً؛ وكانت إبله تبلغ خمسمائة رأس، وماشيته الصغيرة لا تعد. وكان وقتها في بداية مشيبه، إلا أنه لم يستطع العيش بهدوء في بلاده، وظل يخرج في الغزوات ضد أعدائهم شمر. وفي الغزوة الأخيرة توغلوا في بلاد أعدائهم؛ وأخذوا غنيمة تافهة، فقفل الغزاة عائدين إلى بلادهم.**

(١) المصدر السابق، ص٥١٠ - ٥١٢.

(٢) المصدر السابق، ص٥١٣.

(٣) المصدر السابق، ص٥١٥.

(١٢)

رحلة في الجزيرة العربية الوسطى

١٨٧٨ ـ ١٨٨٢م

الحماد، شمر، القصيم، الحجاز

تاليف

شارل هوبير

ترجمة

إليسار سعادة

رحلات في الجزيرة العربية الوسطى

١٨٧٨ ـ ١٨٨٢م

قال شارل هوبير[١] وهو يريد الرحلة إلى القصيم: «**وقد وجدت عند مضيفي رباح أحد سكان طابة، مدينة في جبل سلمى، هاجمه بالأمس فيما كان عائداً برفقة ابنه البالغ ستة عشر عاماً من بريدة مع جملين محملين بالأرز ما بين عيون وقواح، خمسة أشخاص يمتطون ثلاثة جمال. وفي دفاعه عن نفسه جرح في رأسه وكتفه وقتل ابنه. وفر اللصوص غرباً مع جمليه وحمولتهما. ويعتقد أنه عرف فيهم عرباً من عتيبة. فضمدت جراحه وأعطيته ما يلزم لتغيير الضمادات. لكن روايته أثرت بشكل سلبي جداً على معنويات طراد الشمري الذي كان يرافقني وهو بالرغم من قامته البالغة ١,٨٠م لم يكن يتمتع بطبيعة التحدي وليس لديه أدنى رغبة في مقارعة عتيبة، أعداء شمر منذ الولادة.**

لحسن الحظ كان لا يزال في قوارة[٢] ثلاثة مسافرين ينزلون منذ

---

(١) شارل هوبير لم أجد تعريفاً له وهو رحالة فرنسي، بدأ رحلته من البصرة في ١٤/ أيار ١٨٧٨ م قتل بالقرب من بلدة العلا على يد ابن شميلان من شيوخ الرشايدة، وشارل هوبر هو مكتشف حجر تيماء الأثري.

(٢) قوارة: على بعد ٢٤ ميلاً شمال غربي العيون (عيون الجواء) وتعد القوارة أقرب قرى القصيم لحدود حائل. انظر معجم بلاد القصيم، محمد بن ناصر العبودي، ٥/٢٠٩٦.

بضعة أيام لدى السكان وهم من قوم الأمير حسن بن بريدة[1]، كانوا ينتظرون مسافرين آخرين لينضموا إليهم لاجتياز المسافة البالغة الخطورة من قوارة إلى العيون. وبفضل هؤلاء تمكنت من متابعة طريقي في اليوم التالي».

وقال عن الغزو الذي استهدف عتيبة: «في ٢٧ كانون الاول، انطلقنا في الساعة السابعة صباحاً وبعد ثلاث ساعات رأيت من بعيد نخيل مستجد[2] التي وصلت إليها بعد ساعتين.

لدى مروري في خيبر كانت تسري شائعة مفادها أن الأمير قد غادر للقيام بغزو في الجنوب. في الحائط[3] تأكد لي النبأ، ولدى وصولي إلى مستجد علمت أن الغزو استهدف عرب عتيبة الذين يخيمون بين مكة والرياض. وأضاف الشيخ مستجد الذي كان يزودني بهذه التفاصيل أن الغزو خيم بالأمس في وادي الرمة وإنه يتوقع بالتالي أن يراه يمر مجدداً بين لحظة وأخرى ليعود إلى حائل. فصممت على انتظاره في مستجد لرؤيته لدى مروره. ولكن في منتصف الليل وصل مرسال من الأمير مكلف بالاستفسار عني وبحمل أخباري. الغزاة كلهم كانوا يخيمون على بعد عشرة فراسخ جنوبي مستجد. فأرسلت مرزي فوراً على ذلولي الخاص وكلفته إبلاغ الأمير تحياتي وشكري لاهتمامه.

وأعلمني المبعوث بأن الغزو قد نجح تماماً وأعطى نتائج طيبة دون إراقة أي دماء. وقد تم الاستيلاء على حوالي ٨٠٠ جمل و٥٠٠٠

---

(١) هو حسن بن مهنا أمير بريدة زمن الدولة السعودية الثانية أسر في وقعة المليداء سنة ١٣٠٨ هـ وتوفي في سجن ابن رشيد سنة ١٣٢٠ هـ. انظر تاريخ ابن عيسى، ٢/ ٢٧٥.

(٢) المستجد: لعلّها المستجدة.

(٣) الحائط: هو فدك.

من الخراف والماعز وستة عبيد وسبعة خيول. هرب أفراد عتيبة، ولم يشأ الأمير ملاحقتهم[1].

وفي اليوم التالي عاد مرزي في الساعة الثالثة عصراً [و] قد سرّ كثيراً. وأبلغني الأمير بواسطته أنه سيمر في صباح اليوم التالي أمام مستجد وأنه سيرسل مواكبه لمرافقتي لأعود إلى حائل برفقته وان أكون جاهزاً».

---

(١) أعتقد أن الأمير عندما غزا عتيبة في هذه الغزوة لم يجد عند الإبل سوى الرعيان الذين هربوا، وإلا لو كان عند الإبل فرسان من عتيبة لدافعوا عنها حتى الموت أقول ذلك استنتاجاً من وقائع كثيرة بين ابن رشيد وعتيبة مثل: وقعة الرحا سنة ١٣١٠هـ، وغيرها.

(١٣)

رحلة داخل الجزيرة العربية

تاليف

يوليوس أويتنج

رحلة داخل الجزيرة العربية

قال يوليوس أويتنج[1] عن وقعة أم العصافير سنة ١٣٠١هـ: **«في المساء وصل حيلان الذي بعثه الأمير برسالة إلى تيماء وأماكن أخرى،**

---

(١) هو يوليوس أويتنج ولد في مدينة شتوتجارت بألمانيا، في عام ١٨٣٩م. تلقى تعليمه الجامعي في علم اللاهوت، والدراسات الشرقية، في جامعة توبنجن بألمانيا لمدة أربعة أعوام ما بين ١٨٥٧ ـ ١٨٦١م. وتلقى دراساته العليا في الدراسات الشرقية في جامعات لندن وأكسفورد وباريس بدافع موهبته بالنقش والرسم درس أويتنغ علم الآثار والنقوش واللغات القديمة واتخذ من هذه الاهتمامات وظيفته التي استمر بها حتى وفاته، وهي السفر والبحث العلمي والكتابه حول النقوش والآثار والدراسات الشرقية. كما أنه كان ناشطاً في مؤتمرات الاستشراق بدأ أويتنغ رحلاته في عام ١٨٦٩م فزار تونس، واليونان، وتركية، ومصر، وسورية، وفلسطين، والجزائر، والجزيرة العربية. كانت رحلة أويتنغ للجزيرة العربية من أهم رحلاته العلمية حيث حصل من خلالها على آلاف النقوش الآرامية والنبطية والسبئية واللحيانية، ونشرها في مؤلفات عديدة. بدأت رحلة أويتنغ للجزيرة العربية في شهر مايو١٨٨٣م وانتهت في شهر أغسطس ١٨٨٤م، وكان برفقة الرحالة الفرنسي تشارلز هوبر (الذي ورد ذكره سابقاً). ساهم في تمويل هذه الرحلة حاكم مقاطعة الألزاس واللورين الكونت مونتفيل. بدأ أويتنغ بنشر يوميات رحلته إلى الجزيرة العربية بعد عشر سنوات من انتهائها، فصدر الجزء الأول منها في عام ١٨٩٦م، أما الجزء الثاني فصدر عام ١٩١٤م بعد عام من وفاته، التي كانت عام١٩١٣م في مدينة ستراسبورغ.

تضمن الجزء الأول من يوميات الرحلة المنشورة ثلاثة فصول عن منطقة وادي السرحان والجوف، تناولت جميع مظاهر الحياة التاريخية والسياسية والاجتماعية. انظر الرحالة الأوربيون في شمال الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص ١٧٣ ـ ١٧٤.

ليبشر بالنصر الذي حققه مؤخراً، وقد كان يرتدي ملابس كثيرة، تمثلت في ثوبين وزبونين[١] وعباءتين وأربع غتر على رأسه، في هذه الأثناء اكتظت القهوة بالناس، مما اضطر بعضهم إلى الوقوف في الفناء، لكي يتأكدوا من سماع أخبار النصر بأنفسهم من فم خادمنا محمود الذي تولى قراءة الرسالة؛ كان فحوى الرسالة التي قام هوبر بتكليف محمود بنسخها له يقول: «لقد خرج الأمير من حائل ومعه حوالي مائتين وسبعين جواداً وحوالي خمسة آلاف شمر[ي] بجمالهم في حملة، كان يبدو في أول الأمر أنها موجهة نحو الشمال، ولكنه ظهر فجأة في المجمعة الواقعة إلى الشرق من جبال طويق، ثم غير وجهته نحو الجنوب، وبالقرب من الزلفي في وادي الرمة تقابل مع سبعة وعشرين من عيون الخصم، فقام بمحاصرتهم وقتلهم على الفور[٢]، ولم يسلم منهم سوى اثنين تركهم على قيد الحياة، لكي يذهبوا إلى معسكرهم ويخبروه بما حدث وفي مكان ليس ببعيد من سابقه هجموا مع طلوع الشمس على معسكر جماعة ابن سعود، حيث قتلوا ثلاثة من أعمامه، وغنموا منهم حمولة سبعة جمال من البنادق، وسبعة وثلاثين جواداً[٣]، وست عشرة خيمة، ونوبين من

---

(١) الزبون: نوع من الألبسة القديمة المعروفة في المملكة العربية السعودية.

(٢) هؤلاء الذين قتلهم ابن رشيد هم من كانوا برئاسة فيحان الخضر العتيبي وهو من الدعاجين وكانوا قد أرسلهم الإمام عبد الله الفيصل لتقصي الأخبار، وقد ذكر هذا الخبر ألويس موسيل كما سيأتي إلا انه نص أنهم خمسة وثلاثون قتلوا جميعاً كما ذكر ألويس موسيل، وأعتقد أن ما ذكره هذه الرحالة يوليوس أويتنج أقرب للصحة نظراً لقربه ومعاصرته الحدث.

(٣) وقعة أم العصافير ذكرها عدد من المؤرخين النجديين منهم المؤرخ ابن عيسى الذي يقول عنها ما مفاده: إنه في شهر ربيع الأول من سنة ١٣٠١هـ خرج الإمام عبد الله بن فيصل من الرياض وأمر على أهل البلدان بالغزو والجهاد ونزل على بلد شقراء، وأمر على بوادي عتيبة أن ينزلوا الحمادة المسماة (أم العصافير) ثم ارتحل بجمعه ونزل على عربان عتيبة في الحمادة، وكان أهل المجمعة لما بلغهم خروج الإمام أرسلوا لابن رشيد يستحثونه وإلى ابن مهنا وحضر ابن رشيد بجنوده واستنفر من حوله فنزل بريدة وارتحل بابن مهنا وتوجه عبد الله بن فيصل ومن معه =

الجمال، كل واحد منهما يصل تعداده إلى مائتي جمل. كما أغاروا أيضاً على عتيبة الذين فروا من أمامهم في شهر نوفمبر الماضي، وغنموا ثمانية أنواد من الجمال، وخياماً وعدداً كثيراً من الضان، وعبيداً، وسبع رايات أمر الأمير بإرسال اثنتين منها إلى بريدة وعنيزة ليراها أهل القصيم، وواحدة إلى قبيلة الرولة، أما الأربع الباقية فقد ركزت في ساحة المسجد في حائل، وبعد هذا النصر ستضطر الآن قبيلة عتيبة باكملها إلى الخضوع[1]».

= من عتيبة فحصل بينهم وقعة شديدة هزم فيها عبد الله بن فيصل وقتل منهم خلق كثير ومن الذين قتلوا من مشاهير عتيبة الشيخ عقاب بن شنبان بن حميد، انظر عقد الدرر، مصدر سابق، ص ١٠٧ ـ ١٠٨.

(١) هذا الكلام فيه نظر ولو كان صحيحاً لما غزا محمد بن رشيد بعد وقعة أم العصافير سنة ١٣٠١هـ عدة غزوات على عتيبة منها وقعة الرّحا سنة ١٣١٠هـ والتي دارت بين الشيخ محمد بن هندي بن حميد وابن رشيد والتي قلع فيها ابن هندي ٣٥ فرساً، ووقعة الأنصر، ووقعة هويشلة التي قيل إن ناصر بن عقيّل قلع فيها ٢٧ فرساً، وغيرها من وقائع تكون لعتيبة أو ترجح الكفة بينهم وبين ابن رشيد.

(١٤)

صفحات من تاريخ مكة المكرمة

الجزء الثاني

تأليف

سنوك هورخرونيه

ترجمة

الدكتور علي عودة الشيوخ

صدر بمناسبة مرور مائة عام على

تأسيس المملكة العربية السعودية

١٤١٩هـ/١٩٩٩م

صفحات من تاريخ مكة المكرمة

قال سنوك هورخرونيه[1] عن تولي الشريف بركات بن محمد مكة: **«بعد وفاة محمد بن بركات تولى ابنه الشريف بركات الثاني (٩٠٣ ـ ٩٣١هـ) (١٤٩٧ ـ ١٥٢٥م) الذي تمتع بالجدارة والكفاءة نفسها والتي تمتع بها والده، في تنفيذ السياسة التي وضعها جده حسن بن عجلان، ولقد كان لإقامته في مصر أيام شبابه، ثم اشتغاله مع والده في تصريف**

---

(١) هو الدكتور كرستيان سنوك هورخرونيه (عبدالغفار) ولد في شمال برابانت Brabant في هولندا ٨ شباط عام ١٨٥٧م.وقد تعلم في بردا Breda ثم التحق بجامعة ليدن لدراسة اللاهوت عام ١٨٧٤م. وبعد عام ١٨٧٨م كرس نفسه لدراسة اللغات والآداب السامية. ولقد كان موضوع رسالته للدكتوراه في عام ١٨٨٠م (الحج عند المسلمين وأهميته في الدين الإسلامي) وفي عام ١٨٨٠ ـ ١٨٨١م انتقل إلى ستراتسبرج حيث عمل تحت إشراف الإلماني نولدكه، تمكن من الوصول إلى مدينة جدة ثم دخل مكة المكرمة تحت اسم مستعار حيث سمى نفسه (عبدالغفار) وقد بقي في مكة حتى أغسطس عام ١٨٨٥م.. وقد أكمل هورخرونيه خلال إقامته بمكة كتابه عن مكة في جزأين: الجزء الأول: لتاريخها، والثاني: وصف فيه حياة أهلها الاجتماعية وصفاً دقيقاً. ومن أعماله في مكة أنه جمع عدداً كبيراً من الأمثال والكلمات الدارجة ونشرها مع ترجمتها وتفسيرها، مع بحث لغوي مقدمة لها. كما استطاع أن يدرك مدى تأثير مكة المكرمة كمركز للإسلام في العالم الإسلامي وتطورات المسائل الدينية والعادات وتداخل هذه في تلك. وبهذه الميزات فاق هورخرونيه جميع زوار مكة من الغربيين ممن كتبوا عنها. وبعد خروجه من مكة ذاعت شهرته وخاصة بعد صدور كتابه المذكور عام (١٣٠٥هـ) =

شؤون الحكم، يضاف إلى ذلك شجاعته المشهورة، أكبر الأثر في تطوير قدرته الإدارية. غير أنه كان ينقصه الدعم من سلاطين مصر. هذا الدعم الذي يكسبه الاحترام والتأييد. ذلك أنه منذ موت السلطان قايتباي، تولى زمام السلطة في مصر حكومة مكونة من عدد الأشخاص، الأمر الذي مهد الطريق لوقوع العديد من المؤامرات والدسائس. فقد ثار عليه اثنان من إخوانه، الأمر الذي لم يسمح له بالراحة والاطمئنان خلال السنين الأولى من حكمه[1]. لقد وقف الأتراك وكل الجاليات الأجنبية في مكة إلى جانبه وأيدته ضد منافسيه. أما وجهاء مكة بما فيهم قاضي القضاة[2] فقد ساعدوا منافسيه ضده. وقد حشد هؤلاء لمساعدة قبائل زبيد، وكذلك السادة الحسينيين في ينبع، ضد الشريف بركات. وقد أغروا أحد القادة القادمين من مصر، فقام باعتقال الشريف بركات وإرساله أسيراً إلى مصر. غير أنه تمكن من الهرب من معتقله، وعاد ليستعين ببدو عتيبة وبني لام[3] الذين دخل بهم مكة فاتحاً. وقد عانى سكان مكة ومجاوروها من أضرار السلب والنهب التي قام بها هؤلاء».

= ١٨٨٨ ـ ١٨٨٩م. كتب هورخرونيه العديد من الكتب، والمقالات، منها هذا الكتاب مكة الذي يقع في مجلدين الأول تعريب وتعليق محمد بن محمود السرياني، ومعراج بن نواب مرزا، مراجعة د.محمد إبراهيم أحمد علي، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، نقلت ترجمة المؤلف من ص٧وما بعدها باختصار، أما المجلد الثاني فهو ترجمة د.علي عودة الشيوخ، صدر بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

(١) هؤلاء هم الشريف هزاع بن محمد بن بركات، والشريف أحمد بن محمد بن بركات الملقب بالجازاني [المترجم].

(٢) هو القاضي أبو السعود بن ظهيرة. وقد قبض عليه الشريف بركات فيما بعد وأخذ أمواله وقتله تغريقاً في البحر عند القنفذة [المترجم].

(٣) ذكر المؤرخ دحلان هذا الخبر فقال في حوادث سنة ٩٠٨هـ: «إنه لما كان يوم التروية سنة تسعمائة وثمان ٩٠٨هـ ـ هجم الشريف بركات بمن معه من العرب من عتيبة وغيرهم على مكة، وشرعت العرب في النهب. فأرسل الأمراء للشريف بركات وضمنوا له أن يأخذوا له من أخيه حميضة خمسة آلاف دينار، فقال=

وقال سنوك عن رثاء الشاعر بديوي الوقداني للشريف عبد الله:

«توفي الشريف عبد الله في الطائف عام (١٢٩٤هـ). ١٨٧٧م وقد قام الشاعر البدوي، والمدعو بديوي، بنظم قصيدة رثاء جميلة يوجد لدي نسخة منها. ومن الجدير بالذكر أن مثل هذه القصائد تنشد لكل أمير يفارق الحياة. وكل أمير جديد تتم تهنئته بأبيات من الشعر. وقد سمعت من الكثير بأن هذه القصيدة لم تكن شكلاً خالياً من المضمون»[1].

صورة ما رثى به الأديب الفائق الندى الشيخ بديوي الوقداني السعدي[2] دولتلو سيادتلو سيدنا الشريف عبد الله باشا أمير مكة المكرمة وذلك سنة ألف وأربع وتسعين ومائتين ـ رحمه الله ـ:

الملك لله والدنيا مداولة ... وما لحيّ على الأيام تخليدُ
الناس زرع الفنا والموت حاصده ... وكل زرع إذا ما تمَّ محصودُ
وما يدوم سرور لا ولا كدر ... وهكذا الدهر تصدير وتوريدُ
والناس ذا فاقد يبكي أحبته ... وذاك يبكى عليه وهو مفقودُ

= حميضة: ما لي قدرة، فأعطاه الأمراء من مال الصر الذي جاءوا به، وكف العرب، ودخل مكة وهرب الشريف حميضة...». انظر أمراء البلد الحرام، تأليف السيد أحمد دحلان، الدار المتحدة للنشر، ص٦٨.

(١) المستشرق: ك.سنوك هورخرونيه، صفحات من تاريخ مكة المكرمة، مصدر سابق، ص٢٠٣ ـ ٢٩٣.

(٢) ترجم المؤرخ أحمد بن محمد الحضراوي للشاعر بديوي الوقداني عندما التقى به بالطائف سنة ١٢٨٧هـ، ونقل عنه نسبه فقال: «بديوي بن جبران بن هندي بن جبر ابن صالح بن محمد بن مسفر الوقداني السعدي نسبة إلى بني سعد العنيبي...ولد بوادي النمل وهو محل على فرسخ من الطائف سنة أربع وأربعين ومائتين وألف وتربى به ثم سكن الطائف لتحصيل العلم والمعاش وكان له قريحة بالعربية ثم نظم القريض ولقب بشاعر الحجاز يعني الطائف وما علاه فهو شاعر لطيف ومغوار غطريف يخضع لشعره بلابل الأغصان وتنصت لغزله مسامع كل إنسان اجتمعت بحضرته بالطائف المأنوس سنة سبع وثمانين ومائتين وألف وقبل هذه السنة لنا معه اجتماع كثير ومحاضرات لطيفة..» انظر: نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر، مخطوط، ص١٨٥ ـ ١٨٦.

وذاك أبـدت لـه الأيـام زيـنـتـهـا وذاك أيــامــه هــمّ وتــنــكــيــدُ
تباً على الدهر والأيام لو ضحكت تـصفو زماناً ويتلو بيضها سودُ
إن سالمت غدرت أو أوهبت رجعت ظـل يـزول ومـا تـعـطـيـه مـردودُ
للدهر وجه عبوس في تقلبه ولـلـمنايا سهام صَيدها الصيدُ
تصطاد من لا تكاد الأسد تنظره وحبلها لاصطياد الكلّ ممدودُ
ما يـمنع الـموت أبراجٌ مشيّدة ولا دروع ولا بـبـض ولا خُـودُ
لو يدفع الموت سلطانٌ بقوته لـكـان حـبّـاً سـلـيـمـان وداودُ
غزوا المعالي وعزوا الملك في ملك عن جملة من ملوك الأرض معدودُ
وما يلدن الليالي مثله ملكاً حتى يكون من الأموات مولودُ
دارت عليه المنايا كأسها سحراً في محفل ليس فيه الناي والعودُ
فـشـدّ مـن دار دنـيـا دار آخـرة عند ابن عباس في الأحداث ملحودُ
أمسى وحيداً بقبر لا أنيس له أنـيـسـه فـيـه إحـسـان وتـوحـيـدُ
تبكي عليه المعالي وهي لابسة ثوب الحداد وما لم يلبس الغيدُ
وكم عيون له تبكي وأدمعها سيل ومنها على الخدين أخدودُ
لموته مات خلق قبل موتهم موت الحياة وبعض الموت مزهودُ
والشعر من بعده بارت تجارته وكان في مدحه تعلى الأناشيدُ
قد كنت من بحره الفياض مغترفاً وإنني من كثير الناس محسودُ
فأين ألقى الذي منه به خلف وأين من مثله في الناس مقصودُ
أين ابن عون الذي كانت تذل له أسد العرين وتخشاه الصناديدُ
والبحر سكنه والأرض مهدها حتى تساوت أسود الغاب والسِّيدُ
والوحشُ آمنة والوُرْقُ ساجعة لها على مايس الأغصان تغريد
والناس تقصده من كل ناحية وليس عن بابه في الناس مطرودُ
سهل الخليقة تغرينا بشاشته قبل السؤال ومنها يعرف الجودُ
حسب المقلّين من جدواه ما وجدوا وجـاره دائـمـاً أيـامـه عـيـدُ
غيث إذا جاد تغنينا مواهبه صعب المراس حكيم الرأي صنديدُ
في السلم تلقاه ثوب الحلم ملتبساً طبعاً وفي أمره حزم وتشديدُ
ولبسه في الوغى من كل مانعة لا يعمل السيف فيها وهو محدودُ

بيض سوابغ قد شُكت لها حلق كأنه حلق القفقاء منضودُ
مظفر أينما سارت كتائبه إلا عليها لواء النصر معقودُ
وألبس الملك عزاً لا يكون له ما دام حياً على الأيام تجريدُ
كانت به بهجة الأيام ضاحكة لها على خدها الوضاح توريدُ
تزهو على الأعصر الأولى بزينتها وكل يوم لها في الحسن تجديدُ
وعاش فيها سعيداً وهي تخدمه كذاك من تخدم الأيام مسعودُ
وراح منها عزيزاً في سعادته إن غاب شخصاً فإن العز موجودُ
وخلف الملك إرث الخالفين كما أبقاه أسلافه الغر الأماجيدُ
ما زال فيهم ويبقى في خلائفهم منهم إليهم له حلّ وتقييدُ
وكلهم إذ أشار الملك نحوهم كل يقول إنا واله معمودُ
عقيد نظيم يحير المستخير به بهم يزين لسان الملك والجيدُ
هم الذين بهم يحلو المديح فقل ما شئت مدحاً فما للمدح تحديد

وقال سنوك هورخرونيه عن سوء معاملة رجال الشريف عبدالمطلب لبعض قبائل عتيبة: «ونعرفكم بالشريف والوالي، فالعلاقة بينهما متكدرة إلى أقصى درجاتها. وأسبابه من مادة الغزوة كان السابق بينهم في الأنفس كما هو معلوم لكم والآن بهذه الواسطة انكسرت زيادة. وكان أسباب الغزوة هذه هو أن عيال الشريف لما توجهوا من مكة ومعهم الشريف دخيل الله العواجي ومحمد جابر اليماني، ولما وصلوا إلى السيل مرحلة قبل الطائف نزلوا هناك على بير، كانوا نازلين بقرب البير عرب قبيلتين من عتيبة يقال لهم: القثمة والثبتة[1] وفي أثناء النهار وردوا البير بأغنامهم لأجل السقية، ومنعوهم أتباع الشريف وصار بينهم مخاصمة فلما سمعوا الغارة ولد العواجي ومحمد جابر أمروا في الحال أتباعهم بالقبض عليهم وحوز الأغنام والذين كانوا مع الأغنام حريم

(١) القثمة: هم من عيال منصور من برقا من عتيبة، والثبتة هم أهل الحجاز من برقا من بني سعد من عتيبة.

وأولاد صغار ورجل واحد شيبة فقبضوا على الرجل وكتفوه بالحبال وحازوا الأغنام عندهم ففروا الأولاد والحريم هاربين إلى جماعتهم صايحين بما صار فبوقته تحزبوا الرجال بالسلاح وحضروا وكان ذلك الوقت بعد العصر وهم قد شدوا من السيل ودرجوا بالجمال وحصلت الملاقاة وصارت المحاربة بينهم بالبنادق وقتل من العربان واحد ومن جماعة الشريف واحد من بيته[1] وواحد من العبيد البواردية وجملة مصاويب من الطرفين وكانت القوة للعربان، فلما رأوا ذلك جماعة الشريف طلبوا الأمان من العربان، وفكوا لهم الرجل المكتوف وأعطوهم الأغنام فأخذوا ومضوا إلى حال سبيلهم ولما وصلوا جماعة الشريف إلى الطائف وأخبروا الشريف بما صار غضب وأعلن في الطائف بمنادي على غزو هاتين القبيلتين وكتب إلى قبائل العربان من ثقيف وهذيل وخلافهم بغزو هاتين القبيلتين وأمر على أهل الطائف بثمانين نفر وعلى حضارم مكة بمائة نفر وفي حال تجمعهم وصلوا ثمانية أنفار من كبار العربان العاصيين منهم من المشاهير أسمائهم اثنين واحد يسمى ابن جريثيم[2] والثاني يسمى ابن حامد[3] ونزلوا في السلامة[4] عند الوالي صايحين عليه أن يطلب لهم الأمان من الشريف وأن لا يغزوهم وأبدوا للباشا أن لم حصل منهم عصيان ولا اعتدوا على القافلة بل جماعة الشريف المعتدين بالقبض على رجلهم ونهب أغنامهم فدافعوا عن مالهم وأنفسهم

---

(١) أي من الأشراف.

(٢) ابن جريثيم: هو الشيخ ضيف الله بن جريثيم وهو من الغشاشمة من القثمة من برقا من عتيبة.

(٣) ابن حامد: من الدوانية من القثمة.

(٤) السلامة: تقع في سلامة الذي أصبح أحد أحياء الطائف، وهي من أقدم العيون ذكراً في التاريخ، ولما أحيى الشريف عبد الله بن محمد بن عبد المعين بن عون أمير مكة مزرعة شمال الطائف سماها شبرا، اشترى عين السلامة.. وعرفت منذ ذلك التاريخ باسم (عين شبرا) أو (عين الطائف). انظر: المعجم الأثري لمنطقة مكة المكرمة، د. ناصر بن علي الحارثي، ط ١ ـ ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٣م، ص ١٢٢.

ونحن الآن تحت تصرف الدولة إن أردتم الآن نحضركم نفر رهاين توضعوهم في الحبس لأجل تامين الطريق أو نحضر جميعاً باهلنا ونخيّم في السلامة بقرب الباشا فنحن تحت الأمر فامنهم الوالي تلك الليلة وضيفهم عنده وأوعدهم باخذ الأمان من الشريف وتوجه الوالي إلى الشريف في المتنا مع العربان وطلب من الشريف على ذلك وخرج من عنده الوالي بالعربان ومن بعد مضي كم ساعة أرسل الشريف إلى الوالي عدم الرضا بالصلح وليس لهم عند الشريف إلا السيف فزعل الوالي كثير على اختلاف الكلام الذي صار وكيف ناس يطلبوا أمان الدولة يحاربوهم فاولاً أرسل بالشيخ المفتي يراجع الشريف فلم كان يقبل وثانياً أرسل الدفتر دار واللوا باشة العسكر يراجعوه فلم كان يقبل وهم هاولاي المذكورين الدفتر دار واللوا أسباب الفساد ما بين الوالي والشريف وهم مايلين في جهة الشريف ومساعدينه في جميع أموره فلما رأى الوالي عدم قبول الصلح من الشريف زعل كثير ومنع عن إعطاء الشريف عساكر ومهمات للغزوة فراجعه باشة العسكر وأراد أن يجهز العسكر مع الغزوة فلم كان يوافق الوالي وصارت منافسة كبيرة مع باشة العسكر والوالي وتوقف الوالي على مساعدة الشريف ورجع الوالي الثمانية الأنفار العربان في الأمان مع الخيالة إلى محلهم وجهز الشريف الغزوة بغير عسكر وتوجهوا قبائل ثقيف وأهل الطائف وعليهم رايس ولد العواجي والشريف عبدالمجيد أمير الطائف ومن مكة توجه الشريف حمزة ومعه قبائل هذيل والجحادلة نحو ستمائة نفر من طريق الثنية[1] والشريف علي بن سعد قائم مقام مكة توجه من طريق السيل ومعه أهل مكة من حضارم وأهل المعابدة وجرول وخلافهم نحو خمسمائة نفر وبلغنا الآن علي بن سعد وصل السيل وحمزة وصل ريحة محل فيه جماعة من العربان حرق ثلاثة بيوت لهم وقبض على خمسة عشر نفر من الثبته ونفر عدد (١٠) من القثمة وجماعة الطائف

(١) الثنية: موضع بين اليمانية وكرا.

لم صار منهم شيء وهذا الخبر الذي صار من حمزة وصل اليوم وبعده لم جاء خبر من جهتهم لزم إعلامكم وغالباً علما (على ما) بلغنا أن يصير الصلح بينهم علموجب (على موجب) إشاعات الناس والله اعلم وحرر هذا بخصوص ما ذكر ١٨ رجب سنة ١٢٩٨هـ[١]».

---

(١) المصدر السابق، ٢/ ٦٣٩. وهناك وثائق عثمانية تحدثت عن هذا الخلاف على وجه الخصوص.

(١٥)

الأوضاع السياسية في وسط الجزيرة العربية عند نهاية القرن التاسع عشر

(حائل، القصيم، الرياض)

إدوارد نولده

تقديم وتعريب

د.عوض البادي

الأوضاع السياسية في وسط الجزيرة العربية عند نهاية القرن التاسع عشر

قال إدوارد نولده مبعوث روسيا إلى نجد عام ١٣١٠هـ/١٨٩٣م عن قبائل أواسط الجزيرة العربية: «**أما قبائل البدو المتبقية في أواسط الجزيرة العربية، فهي عتيبة ومطير**»[1].

---

(١) هو إدوارد نولده: ولد عام ١٨٤٩م في كورلاند، لعائلة ألمانية مقيمة في جمهورية لاتفيا، التي كانت تحت الحكم الروسي. تلقى نولده تعليماً خاصاً حتى وصل المرحلة الثانوية بعد ثلاث سنوات في المرحلة الثانوية ترك الدراسة. وفي عام ١٨٧٠م دخل متطوعاً في كتيبة الحرس أولان التي كانت موجودة في وارسو، ثم تركها بعد سنة ونصف قبل أن يتخرج برتبة ضابط. ثم ذهب إلى أسبانيا عام ١٨٧٢م، حيث عمل متطوعاً في صفوف فرسان كارل، وصل فيها إلى رتبة ملازم وقاد سرية من الفرسان حتى نهاية عام ١٨٧٦م لم يُعرف هذا الرحالة الألماني الأصل، المجهول في أدب الرحلات الغربية كثيراً، رغم أهمية ما كتبه عن التاريخ السياسي لوسط الجزيرة العربية خلال تسعينيات القرن التاسع عشر الميلادي، التي اكتملت بها سيطرة حائل على كافة مناطق نجد. لا تتوافر معلومات أو وثائق عن هذا الرحالة إلا أن ناشر كتابه قد قدم للكتاب بالتعريف بالكاتب وهي المعلومات التي اعتمدنا عليها عن حياته. في اليوم الحادي عشر من شهر مارس ١٨٩٥م، أنهى نولده حياته، وهو في سنته السادسة والأربعين، في لندن. ترك نولده في غرفته رسالة للسفارة الروسية، التي كان على اتصال بها خلال إقامته في لندن، يعلن أنه انتحر برغبته، وأن له بعض المال في حسابه البنكي في لندن يطلب استخدامه لعمل مراسيم الدفن اللائقة. تأكد بعد ذلك أنه =

وقال عن الصراعات في نجد: «**والعام ١٨٧٠ - ١٨٧٢ كانت هناك صراعات في نجد تدور بين القوى التالية:**

١ - البيت القديم للوهابيين بيت آل سعود في الرياض والأحساء.

٢ - إمارة «**حائل» ذات القوة المطردة.**

٣ - دولة عنيزة بقبائلها وأتباعها[١].

٤ - دولة بريدة[٢].

٥ - شقراء التي كانت قد دُمرت بالفعل.

٦ - الدولة الجنوبية في الحوطة والحريق.

٧ - قبيلة حرب.

٨ - قبيلة عتيبة.

٩ - قبيلة مطير.

وقال عن محمد بن رشيد وغزوه للمدن والقبائل ومنها قبيلة عتيبة: «**إن وجود دولة في حائل، منظمة مسبقاً بصورة جيدة للغاية، كان مصدر قوة للأمير الجديد. لقد بدأ هذا الأمير الجديد سريعاً في إظهار وجوده في كل الشؤون الداخلية للجزيرة العربية. فلمدة عشرين سنة كان يظهر**

= كان يعمل سرياً لحساب القيصر الروسي. وأن رحلته إلى الجزيرة العربية كانت بهدف خدمة المصالح الروسية. قبل وفاته سلم البارون نولده مخطوطته إلى الناشر الألماني ريتشارد أندريه، الذي بدوره قدمها إلى دار النشر «فيفج وولده» في براونشفويج، التي نشرتها بعد أشهر قليلة من انتحار الكاتب بعنوان «رحلة في وسط الجزيرة العربية وكردستان وأرمينيا في عام ١٨٩٢م» انظر الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية، مصدر سابق ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

(١) عنيزة ليست دولة، وإنما إمارة وهي في ذلك الوقت مدينة حصينة وأمراؤها آل سليم، من أشهرهم الأمير الفارس زامل بن عبد الله بن سليم المقتول في وقعة المليداء سنة ١٣٠٨هـ.

(٢) بريدة ليست دولة وإنما إمارة.

سنة بعد أخرى في ميدان المعارك، محاصراً لعنيزة ومطوقاً لها مرة أخرى، ثم ساعياً بعدها للحرب مع عتيبة ومطير، ومن ثم متدخلاً مرة أخرى في الرياض».

وقال عن وقعة المليداء: **«أخيراً في ربيع عام ١٨٩١م حدث شيء سيحدد مصير نجد لزمن قادم طويل كما أظهرت الأحداث[١] لقد تشكل حلف كبير ضد أمير حائل القوي الذي كانت قوته تتزايد باطراد. كانت القوى البارزة لهذا التحالف هي: عنيزة تحت زعامة المحارب العجوز الشيخ زامل بن سليم، وجميع بيت الرياض (آل سعود) الذين نبذوا خلافاتهم الداخلية جانباً بسبب الرغبة في الانتقام، ومدن بريدة، [و] الرس، وشقراء، وجميع قبائل عتيبة ومطير[٢].**

قبل أن يصبح هذا الحلف المهم حلفاً رسمياً، كان على كل الأعداء والمتنافسين فيما بينهم أن يدفنوا خلافتهم، فمائة عائلة من العائلات العريقة تخلت نهائياً عن مطالبات الدم مع أعدائها وخصومها. لقد كانت الكراهية المشتركة لابن رشيد هي التي وحدت بينهم، ولكن القوة المحركة خلف كل هذه المؤامرة هو زامل. كان زامل رجلاً استثنائياً، فبرغم بلوغه ٦٠ عاماً من العمر، كان يتمتع بشهرة بطل حرب والرجل الأقوى والأكثر شجاعة في الجزيرة العربية. لقد تم تعيين زامل قائداً أعلى لقوات الحلف، وفي مقر حكومته تم عقد الاجتماع الأخير لقادة الحلف بعد إرسال خبر إعلانهم للحرب على ابن رشيد إلى حائل.

---

(١) هذا القول زمن مبعوث روسيا إدوارد نولده سنة ١٣١٠هـ، ولكن بعد ظهور الملك عبدالعزيز على مسرح الأحداث سنة ١٣١٩هـ فقد قلب الموازين وغيّر مسار الجزيرة العربية كما هو معروف وكان بين وقعة المليداء سنة ١٣٠٨هـ وظهور الملك عبدالعزيز سنة ١٣١٩هـ إحدى عشرة سنة فقط. فسبحان مقلب الأحوال.

(٢) ليست كل قبيلة عتيبة انضمت إلى أهل عنيزة، حيث تذكر بعض الروايات أن من انضم إلى أهل عنيزة هم: الشيخ هذال بن فهيد وابنه جهز ومن معهم من قومهم كذلك الشيخ مناحي بن خالد الهيضل، ومن معه من قومه، ولم تذكر الروايات أن قتل أحد من هؤلاء العتبان.

لقد حشد التحالف قوة قوامها ٣٠,٠٠٠ رجل بين عنيزة وبريدة، وبعد زمن وجيز برز أمامهم ابن رشيد الذي كان لديه نفس العدد من القوات تقريباً. كان من بين حلفاء ابن رشيد المهمين، قبيلة حرب بأكثر من ١٠,٠٠٠ رجل، وحوالي ١٠٠٠ فارس بخيولهم جاءوا على وجه السرعة من قبيلة شمر الشمالية في الهلال الخصيب لمساندة ابن عمهم أمير حائل. لقد احتشد في هذه المناسبة ٦٠,٠٠٠ محارب - وهو عدد كبير بصورة غير عادية بالنسبة للجزيرة العربية.

لقد شككت في البداية في صحة هذه المعلومات بالنظر إلى الخيال الشرقي والنزعة الشرقية إلى المبالغة. ولكن بالحصول على بيانات دعم من مصادر مختلفة فإنني الآن أعتقد بصدق بأنه كان من الممكن للغاية أن يصطف مثل ذلك العدد الكبير من المحاربين ضد بعضهم حسبما يمكن أن يتذكر أي إنسان منذ الوقت الذي احتشد كل العرب القادرين جسمانياً تحت راية الوهابيين للدفاع عن صحرائهم ضد إبراهيم باشا.

في ذلك اليوم على أية حال، برز وضع لم يكن ابن رشيد يضعه في الحسبان، وسيصبح له أهمية قصوى بالنسبة له. لقد اعتقد بأنه كسب شيخ بريدة حسن بن مهنا إلى جانبه وذلك عبر مهارته الدبلوماسية وبمنحه عدة هدايا بما في ذلك ستمائة جنيه استرليني نقداً، وهو ما يعد مبلغاً ضخماً لشيخ عربي في تلك الأيام، إلا أنه بدلاً من أن تنضم بريدة وزعيمها إلى حلفه، أو على الأقل تبقى في موقف الحياد حسبما توقع ابن رشيد، فقد وجد نفسه مخذولاً في آخر لحظة، فبريدة كانت جزءاً من الحلف المضاد. هذه النكسة غير المتوقعة لم تكن مزعجة ومقلقة فحسب بل أخلت بتوازن القوة العددية، وبشكل بالغ الأهمية على الوضع الدفاعي للبلدان المؤيدة للحلف.

لقد اصطفت قوات الحلف العربي المعارض على خط بطول ٣٠ كيلومتراً تقريباً، كانت كل من قوات عنيزة وبريدة تتولى جناحي الجيش على امتداد الخط مع ١٢٠٠٠ من سرايا المشاة الأقوياء في الوسط. في مثل هذا الوضع لم يكن هناك من خيار لدى ابن رشيد سوى استخدام

الخيالة من الفرسان المتمرسين للالتفاف حول العدو وخلق الرعب وسطهم عندما تسنح الفرصة لذلك».

حتى قال: «لقد عم رعب وذعر هائل وسط قوات عنيزة الذين ألقوا بنادقهم القديمة وحتى رماحهم وولوا هاربين عزلاً عبر السهل المنبسط أمام الفرسان المنتصرين والقساة الذين نبحوهم بالآلاف، وحتى بقية الحلف لم يكن حظهم أحسن حالاً. لقد اطمأنوا واثقين من حصانة ومنعة مشاتهم في الوسط، وكانوا قد حضروا من أجزاء بعيدة من أرض المعركة بعد زمن طويل، الشيء الذي لم يمكنهم من التدخل الحاسم في النزال، ولما بدا الآن أن الأمر أصبح متأخراً، قرر الفرسان من الرياض أولاً، ثم عتيبة، وجميع الباقين على التوالي العودة سريعاً إلى خيامهم مواقع إمداداتهم ليجمعوا أمرهم ويقوموا بانسحاب حذر كل إلى مكانه في الصحراء، لكن لم ينجحوا حتى في ذلك حيث إن خيامهم قد دمرت في هذه الأثناء»(١).

---

(١) وقعة المليداء من الوقائع الكبيرة والمهمة في الوقت نفسه وقد ذكر خبرها بعض المؤرخين منهم: ابن عيسى في كتابه عقد الدرر، مصدر سابق، ص ١١٤.

(١٦)

الحجاز قبل الحرب العالمية الأولى

تأليف

ديفيد جورج هوجارث

الطبعة الثانية

١٩١٧م

الحجاز قبل الحرب العالمية الأولى

قال ديفيد[1] عن عتيبة: «**تعد عتيبة أقوى قبيلة في شبه الجزيرة العربية، فهي قوية بالسلاح وتربية الجمال. أما من حيث الأهمية، فهي الثانية بين قبائل البدو بعد عنزة. ويحتل العتبان الجزء الشرقي من الحجاز مع الحرات البركانية الواقعة بين طريق الحج وسهول شبه الجزيرة العربية. لكن كما سبق وقيل فهم لا ينحصرون فقط في ضمن ذلك الإقليم الذي تم تحديده لهدفنا الحالي، ومن بين الفرعين الرئيسين لقبيلة عتيبة، الروقة وحدها تقترب من حدودها. وهذه العشائر التي تدخل الحجاز أحياناً صغيرة من حيث العدد وتدخل من أجل رعي الأغنام فقط.**

(١) هو ديفيد جورج هوجارث عالم آثار ولد سنة ١٨٦٢م وتوفي في سنة ١٩٢٧م ـ جاء في مقدمة هذا الكتاب ما يلي ـ لقد كان كتاب الحجاز محاولة لتأليف مجلد يتضمن كل ما هو معلوم حول مسرح الحرب التي أصبحت مهمة بشكل متزايد. وتم إعداده من أجل الاستعمال الداخلي في المكتب العربي الذي كان مهتماً بإرسال الإمدادات العسكرية لمساعدة ثورة شريف مكة ضد الأترك. إن هذا العمل يتميز بأن له أهمية خاصة وفي المقام الأول كان مؤلفه الرئيس ديفيد جورج هوجارث (١٨٦٢ ـ ١٩٢٧م) وهو شخصية مبهمة لم تصدر ترجمة محددة لحياته. إنه عالم آثار قام منذ سنة ١٨٨٠م بسلسلة من الزيارات إلى آسيا الصغرى وتلك الأجزاء من العالم العربي مثل سوريا التي كانت لا تزال تحت الحكم العثماني. ويبدو أنه من المحتمل جداً أن ديفيد جورج هوجارث كانت لدية اتصالات وثيقة جداً غير رسمية مع الاستخبارات البريطانية، تاريخ نشر هذا الكتاب ١٩١٧م، ط٢.

وترعى برقا الماشية في الأودية النجدية على الأغلب. وهناك أيضاً ثلاثة فروع تقل في الأهمية وترعى ماشيتها في غرب وجنوب وطن عتيبة. وليس هناك شيخ كبير واحد لقبيلة عتيبة فجميع القبيلة تعترف الآن بسلطة ملك الحجاز؛ إلا أن ابن سعود يطالب من حين لآخر بولاء فرع برقا، التي اعتادت على الاعتراف به تقريباً. وهو لا يغفر لهم أنهم آووا أولاد سعود في عام ١٩١١، وهو على استعداد لغزوهم دائماً كما فعل في عامي ١٩١١ و١٩١٢، ما لم يتم تقييده باتفاق مع مكة أو خوفاً منها «السلطة في مكة» وتغير برقا بدروها أحياناً في إقليم الوشم التابع لابن سعود، وتصطدم أو تشتبك أحياناً مع القصيم. وتشكل السيطرة عليهم وحق جباية الزكاة منهم العمود الفقري الرئيسي للتنافس بين الرياض ومكة. والقبيلة برمتها مسلحة جيداً الآن، وفي عام ١٩١٦ قدمت إلى الجيش الملكي فرقة عسكرية كبيرة مزودة بالأسلحة المناسبة، وقد تم التغلب على صعوبة جعل أتباع قبيلتي عتيبة وحرب يتعايشان بعضهما مع بعض، والفروع الصغيرة ليست معروفة جيداً ويجب اعتبار وضع أي شجرة لهذه الفروع مؤقتاً وربما ناقصاً.

وقد تم تقديم القائمة التالية مع جميع التحفظات خصوصاً فيما يخص الفروع الصغيرة[1]:

١ ـ الروقة: فيحان بن محيا.

الفروع الصغيرة:

هفوة[؟]، المراشدة، ذوو يعيش، دحاربة[؟]، المزاحمة، ذوو عطية، سيلاش[؟]، قريش[2]، المهادلة، سيهارة[؟]، حطيم[؟]، الحفاة، الحمران.

---

(١) نلحظ أنه هنا أشار إلى تحفُّظه على أسماء الفروع الصغيرة مما يفيد عدم دقة ضبط الأسماء الواردة هنا إذ نلحظ كثرة التصحيف.

(٢) قريش ليست من عتيبة، وإنما حلفاء جوار للقثمة من عتيبة، والفروع التي أوردها فيها خلط ومن ذلك قوله: ذوو عطية ثم يذكر المهادلة وهم فرع منهم، وينطبق ذلك على ذوي يعيش وهم من المغايرة من ذوي عطية.

٢ ـ برقا: ابن حميد.

الفروع الصغيرة:

دواسر[؟][1]، الجذعان، الذيبة، الميسين[؟]، فزران، النوايرة، ذوو عمر، الخواطرة، القرامين، ذوو سنان، فقهة، ورقان، جوامعة، ذوو سليمان[؟]، فرعانا[؟]، السياحين، القميشات، آل جبرين[؟]، الهدف، الحماميد، الضفارين، حجيرة[؟]، الخنافرة، آل خماد[؟]، الهوارنة، الفلتة.

٣ ـ عبود[2].

الفروع الصغيرة:

الجبرة، الخلّد، الدوانية، الغشاشمة، الدهسة، حطامة.

٤ ـ حمود بن درعان[3].

الفروع الصغيرة:

المحايا[4]، جصافين[؟]، ذوو خليفة، ذوو عبد الله.

---

(١) ليس في عتيبة فخذ يعرف بالدواسر، أو دواسر، كما ذكر فروعاً أيضاً غير معروفة وتفريعاته ليست صحيحة، وقد وضعت عندها علامة استفهام. وقد تقدم قسم منها.

(٢) عبود: والصواب العبود وهو شيخ القثمة من برقا من عتيبة، وأبناؤه، من بعده هم محمد وشديّد وسلطان وعايض وقد التقى المؤرخ العبيد، بالعبود سنة ١٣١٧هـ.

(٣) حمود بن درعان: هو حمود بن ماضي بن درعان، وهو كبير فخذ الدراعين من ذوي مفرج من النفعة من عتيبة.

(٤) المحايا من النفعة وشيخهم ابن عور. ونلحظ أنه خلط بن فروع النفعة، والشيابين.

٥ ـ سلطان بن صنهوت[١].

الفروع الصغيرة:

الجعدة، النخشة، النفعة»[٢].

وقال عن بني سعد: «**قبيلة من الحجاز الجنوبي[٣] وتعود أصولها وسلالاتها إلى حمير[٤] ويحدها شمالاً ناصرة وجنوباً بنو مالك وشرقاً الشلاوة وغرباً بنو فهم والجحادلة الجنوبيون. ويعد موطنهم خصباً أكثر من موطن جيرانهم الشماليين، فالآبار وفيرة وهم يزرعون الحبوب والفاكهة. ولا يوجد بدو بينهم[٥]، وهم يساندون ويحابون ملك الحجاز وبإمكانهم أن يقدموا له نحو ألف رجل.**

شيخهم الأكبر هو حمزة بن محمد[٦]، وهناك عداء بينهم وبين الشلاوة، وليسوا أصدقاء مع الجحادلة، وفي حالة الخطر يتحد بنو سعد مع بني ثقيف وبني مالك وناصرة».

---

(١) لا أعرف من عتيبة وخاصة شيوخهم من اسمه سلطان بن صنهوت.

(٢) الجعدة والنخشة من النفعة وغير صحيح أن النفعة من الفروع الصغيرة.

(٣) الجنوبي: يقصد به جنوب الطائف.

(٤) هذا غير صحيح فهي قبيلة عدنانية من قبيلة عتيبة.

(٥) يقصد أنهم مستقرون، أي أهل مدر.

(٦) حمزة بن محمد: من الأشراف، وليس شيخاً لبني سعد إلا إذا كان شيخاً على المنطقة التي تقيم فيها بنو سعد وغيرها من القبائل، وإلا بنو سعد فيها شيوخ كثر منهم ابن هليّل وابن دخين وأبا العون، وابن مطر، وابن جاهم، وابن بهلول، وابن عايد، وأبو ركبة، وابن حمود، وابن سالم، وغيرهم الكثير.

(١٧)

مغامرات لچمن في العراق والجزيرة العربية

تأليف

جرالد أفلين

١٩٠٨ - ١٩٢٠م

ترجمة وتعليق

سليم طه التكريتي

مغامرات لجمن في العراق والجزيرة العربية

قال جرالد أفلين[١]: **«وكما هو الأمر دائماً بالنسبة إلى الجزيرة العربية، فإن علاقات ابن رشيد مع الفصائل البدوية الكبرى كانت عرضة للتغير دوماً، ولكن في الوقت الحاضر كانت عتيبة وهي تقطن المواقع الممتدة بين حائل ومكة قد أظهرت الود[٢] مثلما عليه الأمر بالنسبة إلى**

---

(١) هو جرالد أفلين والده الدكتور أ.و.ليجمن وأمه ولدا، ولد في اليوم السابع والعشرين، من شهر تموز سنة ١٨٨٠م في ضواحي مدينة ريفية صغيرة تدعى بترزفيلد على الطريق التي تؤدي شمالاً، خلال غلد فورد إلى لندن، وحين بلغ السابعة من عمره، أدخل مدرسة خاصة على مقربة من مدينة برايتون. تدرج ليجمن حتى تخرج في كلية ساند هرست العسكرية برتبة ملازم ثان حين كان في التاسعة عشرة من عمره ولقد وطد نفسه على الفور، بأن يخوض غمار المغامرات، عين في الفوج الأول من كتيبة ساسكس. تطورت به الأمور حتى وصل كشمير وفيها وضع ليجمن خططه بأن يسافر، أثناء تمتعه بالإجازة، إلى إنكلترا عن طريق البصرة وتركيا، ولكن مثل هذه السفرة كانت تستغرق شهرين ونصف الشهر بدلاً من أسبوعين غير أن فكره كان منشغلاً بأمور الشرق الأوسط. وإذ كان يعد نفسه لهذه المهمة، أخذ يقرأ كل ما كان يتيسر لديه من كتب التاريخ القديم والحديث عن البلاد التي تقع بين الهند والبحر المتوسط. انظر مغامرات لجمن في العراق والجزيرة العربية تأليف: الرائد. ن. براي ـ الحاكم السياسي البريطاني لكربلاء. ١٩٠٨ ـ ١٩٢٠م، ترجمة وتعليق: سليم طه التكريتي، ط١ ـ ١٩٩٠م دار واسط للدراسات والنشر والتوزيع، المنصور، بغداد، العراق.

(٢) المقصود هنا ليس محل قبيلة عتيبة... إنما المقصود هم بعض فروع الروقة الذين يقطنون شمال الطائف باتجاه الشمال مثل العضيان أهل المحاني وغيرهم من فروع الروقة من عتيبة.

أقسام من بني حرب التي تقطن الأماكن الممتدة بين حائل والمدينة، وكذلك عشيرة مطير باتجاه الكويت».

وقال جرالد: «كانت الشهرة التي أصابها لچمن باعتباره طبيباً في تلك الليلة التي راح فيها يداوي جراح المصابين، قد جعلته يستدعى لمعالجة مختلف الأمراض. ويبدو بأنه كان يحتفظ بمقدار كبير جداً من الأدوية معه، إذ كان ينهمك تماماً في الاستجابة لطلبات المرضى. ومن المدهش أن أدويته كانت تتواصل لأطول ما تستطيع، لأنه قد ظهر بأن العرب كانوا يظنون أن تلك الكمية من الأدوية توفر أفضل أمل للعلاج. لقد تشكى أحد شيوخ قبيلة عتيبة من الإمساك فما كان منه إلا أن استهلك في العلاج كل ما تبقى من زيت الخروع تقريباً غير أنه ما إن وجد بأنه قد لا يحتاج إلى ذلك الدواء لعدة سنوات فقد سارع خجلاً من فعلته تلك ليعيد ما تبقى من الدواء».

وقال جرالد عن غارة لبعض عتيبة على رئيس قصيبا: «كان فريقنا قد قطع الآن ثمانمائة ميل من الصحراء من دمشق إلى القصيم من دون أي عائق، عليالرغم من الهواجس الشريرة لأفراد عقيل وغيرهم، حول مسيرتنا ولقد ظننا بأن من المعقول لنا أن نتوقع مواصلة رحلتنا فيما بعد في أمن، في هذه المناطق المأهولة كثيراً ولقد أصابتنا، في الأحرى، هزة حين سمعنا بأن جميع الطرق عبر منطقة القصيم، وعلى الأخص من قصيبا[1] إلى بريدة ليست آمنة بالنسبة إلى المسافرين، بسبب الغارات الأخيرة التي قام بها بدو العتوب[2] الذين كانوا قبل أسبوع مضى، قد تصدوا لرئيس مدينة قصيبا، وسلبوه كل ما كان معه!

---

(١) قصيبا: بطن منخفض يقع في شمالي القصيم على بعد ٧٤ كيلاً من مدينة بريدة يشتمل على عدة قرى ومزارع، انظر المعجم الجغرافي، بلاد القصيم، محمد العبودي، ٥/ ٢٠١٨.

(٢) العتوب: يريد بها جمع لقبيلة عتيبة، وهو خطأ، والصواب أن يقال عتبان أو عتيبة. أما العتوب فيقصد بها بنو عتبة.

لم نحصل على أي رفيق من (العتوب)[1] يسافر معنا، ولذلك قررنا أن نغادر من دون أن نصحب أياً منهم، وأن نتسلق الكهف العالي خلف المدينة قبل أن تغرب الشمس، حيث اختفينا مع إبلنا في إحدى الفجوات إلى أن حل الظلام، لكي نتجنب أي فريق من البدو قد يراقب المسافرين الخارجين من المدينة. لقد تخلصنا من الرقابة، وما إن أسدل الظلام سدوله، حتى اندفعنا بسرعة عبر الصحراء الحجرية وقبل أن ينبلج الفجر بساعتين، رقدنا إلى جانب إبلنا على مشارف مدينة العيون».

وقال: «عاد الرسول الذي بعث به الحاكم إلى ابن سعود، بتعليمات من لدن الأمير تقضي بأن أرسل وراءه إلى الرياض، كما أنني قد وجدت خلال طريقي أيضاً بأن ابن سعود قد أصدر أوامر ودية جداً تقضي بتوفير الراحة لي في أية مدينة تقع على الطريق، الأمر الذي يسهل لي الأمور كثيراً. ولذلك توفرت لدي الفرصة للسفر من بريدة بطريق مباشر إلى الرياض عبر مدينة شقراء في الوشم التي طوف بها ذات مرة النقيب سادلير أحد الضباط من الهند قبل حوالي مائة سنة خلت[2]، بدأنا مسيرتنا مع رفيق من قبيلة عتيبة البدوية الذي ظهر عليه بأنه وإن كان ما يزال شاباً تماماً، إلا أنه قد زار معظم أجزاء الجزيرة العربية بمثابة عضو في جموع الغزاة في وقت واحد أو آخر»[3].

---

(١) يقصد عتيبة.

(٢) تقدمت معنا رحلة سادلير.

(٣) بن، جراي. مغامرات لجمن في العراق والجزيرة العربية، المصدر السابق، ص ١١٦، ١٩٩.

(١٨)

آل سعود

دراسة في تاريخ الدولة السعودية

تأليف

ألويس موسيل

ترجمة وتعليق

د.سعيد بن فايز إبراهيم السعيد

آل سعود

دراسة في تاريخ الدولة السعودية

قال ألويس موسيل[1] عن علاقة إبراهيم باشا ببعض قبائل عتيبة وعنزة وغيرها: «**عاد طوسون في منتصف عام (١٢٣٠هـ) ١٨١٥م من قلب جزيرة العرب سالماً، وهذا أمر لم يكن يحدث له لو أن الإمام عبد الله أراد القضاء عليه.**

وبعد أن قام الإمام عبد الله بتأديب البلدان التي أنكرت ولاءها له،

---

(١) هو ألويس موسيل، ولد موسيل عام ١٨٦٨م في قرية ديختروف بالقرب من فيشكوف، الواقعة اليوم في جمهورية التشيك، وهي إحدى أجزاء جمهورية تشيكوسلوفاكيا السابقة، والتي كانت جزءاً من الإمبراطورية النمساوية ـ المجرية في أيام رحلات موسيل. بدأت علاقات موسيل بالبلاد العربية مبكراً حيث تم إرساله من قبل رئيس الأساقفة كون فون أولمتز في بعثة دراسية إلى القدس، وذلك إلى المدرسة التوراتية. ثم انتقل إلى جامعة القديس يوسف في بيروت، التي منها انطلق في التعرف إلى البلاد المجاورة، مثل دمشق وتدمر وغزة. فزار منطقة وادي السرحان، والجوف وسجل أحداثاً مهمة حصلت في المنطقة في هذه الفترة. وفي عام ١٩١٠م دعته الحكومة التركية إلى استنابول وعقدت معه مفاوضات للقيام برحلة إلى شمال الحجاز بهدف مسح أجزاء أساسية من خط سكة حديد الحجاز، ولمعرفة التوجهات السياسية لشيوخ القبائل في المنطقة، ولمعرفة أي من المواطن السكنية المحلية في المنطقة يمكن تطويرها. كما كلفه المجلس الصحي في تركيا بالعمل على اكتشاف الطرق التي يسلكها الحجاج وهم يتجنبون محطة الحجر=

ظن أن الأمر قد انتهى، ولكن محمد علي لم يقبل بمعاهدة الصلح التي عقدها ابنه طوسون مع عبد الله بن سعود، لذلك سرعان ما جهز حملة جديدة ضد بلاد العرب، ولكن هذه المرة وبقيادة ابنه الآخر إبراهيم الذي استطاع في شهر ديسمبر عام (١٢٣٢هـ) ١٨١٦م احتلال الحناكية ذات الماء الوفير، كما أوعز لقبائل عتيبة[١] وعنزة، بالوعيد تارة ولخرى بالهدايا، بأن يساندوه».

وقال عن امتداد نفوذ الإمام فيصل بن تركي آل سعود: «**ولم تمض سنوات كثيرة حتى امتد نفوذ الإمام فيصل في الشمال الشرقي، وفي الجنوب بما يقارب نفوذ دولة أجداده، لكنه لم يصادف نجاحاً كبيراً في الغرب والشمال. إذ إن شريف مكة كان يقدم العون والمساندة لعشائر مطير العلويين ولعشائر عتيبة ولأهالي منطقة القصيم».**

وقال عن وقعة طلال سنة ١٢٩٠هـ: «**لم يتمكن الأمير سعود من الدفاع عن الأحساء، فقد تخلّى عنه العجمان وآل مرة، كما خرجت عليه عتيبة، وشنّ شيخها سلطان بن ربيعان غارة سَلَبَ خلالها البلدان الواقعة غرب الرياض[٢] وعندما قام سعود بغارة ثارية معاكسة على**

= الصحي في تبوك، وتحديد أفضل السبل التي تساعد على مراقبة هذه الطرق، وإذا كان بالإمكان تحويل المركز من هذا الموقع، إلى موقع آخر. بعد هذه الرحلة في شمال الحجاز، بدأت هذه الرحلة في خريف ١٩٠٨م ورافق الشيخ النوري الشعلان رئيس القبيلة في تنقلاته مع قبيلته، وكان يذهب أحياناً مع مرافقيه لإكمال أعماله ويعود إلى مخيمات القبيلة كلما أنهى مهمة من مهماته. أصدر موسيل كتابين عن رحلاته في الصحراء العربية أولهما بعنوان «في الصحراء العربية» وهو ملخص لرحلته وثانيهما بعنوان «الصحراء العربية» ويشمل هذا الأخير التفاصيل الكاملة عن كل ما يتعلق بمناطق هذه الصحراء تاريخياً وجغرافياً وسكانياً. انظر الرحالة الأوربيون في شمال الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص ٣٧١ وما بعدها.

(١) ليس المقصود هنا أن كل قبائل عتيبة اشتركت مع إبراهيم باشا أو غيره من قادة محمد علي باشا، ومن الأدلة على ذلك أقوال بعض المؤرخين الأجانب مثل إدوارد جوان وبوركهارت الذين تقدمت نصوصهم.

(٢) ذكر هذا الخبر أيضاً حافظ وهبة في كتابه «جزيرة العرب»، فلعلّه ناقل عنه إلا أن=

عتيبة[1] حوصر في احد الوديان، وقتل عدد كبير من اتباعه، كما تعرض هو نفسه لجروح خطيرة جداً؛ نقل على اثرها إلى الرياض، وأمضى في قصره فترة طويلة كان خلالها مريضاً إلى أن وافته المنية في بداية صيف عام ١٨٧١م».

وقال عن وقعة أم العصافير سنة ١٣٠١هـ: «لقد تمكن محمد، وهو اخو الإمام عبد الله بن فيصل من كسب قبيلة عتيبة إلى صفه، ونفذوا سوياً بين عامي (١٣٠٠هـ) ١٨٨١ ـ ١٨٨٢م عدداً من الغارات ضد مخيمات أتباع بن رشيد من قبيلة حرب، بل إنهم أغاروا على البلدان الواقعة جنوبي غرب جبل سلمى. وفي صيف عام ١٨٨٣م قاموا ايضاً بتوجيه حملة حربية كبيرة ضد ابن رشيد، ولكن ابن رشيد فاجاهم في عروى وهزمهم هزيمة ساحقة، وعلى أثر ذلك طالب شيوخ قبيلة عتيبة عبد الله بن فيصل بأن يقود الجيش بنفسه لتحويل الهزيمة إلى نصر[2].

= وهبة ذكر أن الشيخ هو مسلط بن ربيعان أحد رؤساء عتيبة الكبار. انظر المصدر نفسه، ص ٢٣٥.

(١) خلط ألويس موسيل هنا بين وقعتي طلال الأولى، والثانية، فالأولى سنة ١٢٤٧هـ وهي من الإمام فيصل بن تركي على الشيخ سلطان بن ربيعان ومن معه من الروقة أما الثانية فهي في عهد الإمام سعود بن فيصل سنة ١٢٩٠هـ وهي أيضاً على الروقة وكان شيخهم مسلط بن ربيعان وهي التي قال فيها شليويح العطاوي قصيدته المعروفة، أما سبب غارة سعود الفيصل على الروقة في وقعة طلال فيذكر المؤرخ مقبل الذكير أن شيوخ القبائل وفدوا على سعود بن فيصل وبايعوه إلا مسلط بن ربيعان، فأراد ابن سعود غزوه فعلم عقاب بن حميد بذلك فأرسل رسولاً إلى ابن ربيعان ينذره، حيث يذكر المؤرخ الذكير أن الرسول أنذر مسلط قبل أن يأتيه الخبر انظر: مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود، تأليف مقبل الذكير، (مخطوط)، ص٩٦.

(٢) لعل من ذلك قول الشيخ محمد بن هندي بن حميد مخاطباً الإمام عبد الله الفيصل:

يا شيخنا شيخ كبير والشيخ نمشي في هواه
لا بد من كون يصير على حمود ومن تلاه

استدعى عبد الله جميع أتباعه المخلصين وحلفاءه، وزحف في نهاية عام ١٨٨٤م ضد ابن رشيد، ومن معسكره في الحمادة أرسل خمسة وثلاثين جمّالاً بقيادة فيحان بن خضر العتيبي لتقصي الأخبار عن معسكر ابن رشيد، ولكن ابن رشيد اكتشف أمرهم فقتلهم جميعاً وتوجه بقواته كافة لمهاجمة الخصم وألحق به هزيمة حاسمة»[١].

وقال عن أحفاد الإمام سعود بن فيصل: «...وحينما لم يحقق ابن رشيد مطالبهم، اتجهوا إلى خصومه، وبدؤوا يثيرون القلاقل في كل مكان، بل إن بعضاً من هؤلاء المنتمين إلى أسرة آل سعود، توجهوا نحو مكة، وقاموا بمساندة من شريفها وعون أتباعه من قبيلة حرب وعتيبة بشن غارات حربية ضد عدد من بلدان نجد»[٢].

وقال: «وعلى الجانب الغربي والجنوب الغربي فقد أثارت حملات عبدالعزيز الحربية شكوك حسين بن علي بن عون الذي عُيِّن في نهاية عام (١٣٢٦هـ) ١٩٠٨م شريفاً على مكة، وبما أن عدداً من عشائر قبيلتي عتيبة وحرب التي كانت آنذاك تقطن تلك المناطق مضطرة أن تدفع له الزكاة، وتمد يد العون له، لذا فقد جهز الشريف بمساعدة الحكومة العثمانية عدداً من الحملات ضد القبائل التابعة لعبدالعزيز، وقد كان الشريف في هذه الأثناء يسعى إلى صرف خطر عبدالعزيز عنه عن طريق استغلال أتباعه، فكان تحقيق هذه المهمة أمراً سهلاً. فمن المعروف أن عبدالعزيز آل سعود بقدر ما كان صارماً ضد الخارجين عليه، كان أيضاً لا يرغب في إعطاء أفراد أسرته الحاكمة أي امتيازات، وبما أنه بعد وفاة الإمام فيصل قد تمكن بعض من أفراد عائلة آل سعود من إقامة إمارات

---

(١) تقدم ذكر هذه المعلومة في نص يوليوس أويتنج، وقد أشرنا إلى اختلافها، وفيحان بن خضر من الملابسة من الدعاجين من برقا من عتيبة، والصواب أن يقال فيحان الخضر بفتح الخاء والضاد، وهو لقب له، وهم خلاف الخضرية الذين من ذوي خيوط من الدعاجين أيضاً.

(٢) ألويس موسيل، آل سعود دراسة في تاريخ الدولة السعودية، مصدر سابق، ص ١٣١.

مستقلة إلى حد ما، إلا انهم أُجبروا على طاعة عبدالعزيز آل سعود»[١].

وقال: «كان للمبعوثين الإنجليز والذهب الإنجليزي دور كبير في هذا الشأن، فجميعهم كانوا يريدون القضاء على عبد العزيز، لأنه رفض محاربة القوات العثمانية والقبائل المتحالفة معها، وهكذا قرروا شن هجوم على دولة عبدالعزيز من ناحتين، فكان على القبائل الموالية لجابر آل صباح وهم مطير والعجمان وبنو مُرة شن الهجوم من الشرق، أما قبائل حرب وعتيبة فكانت مسؤولة عن الهجوم من الغرب، إذ أمدها الشريف حسين بالأسلحة الإنجليزية والذهب الفرنسي، وقد وجد في ذلك فرصة لصب جام غضبه على حاكم الرياض، لأنه رفض تحقيق مطالبه، ولم يؤيده في خططه.

وقد ظن الشريف حسين أن أحفاد الإمام سعود بن فيصل سوف يناصرونه ويتزعمون القبائل ضد الرياض، ولكنهم رفضوا التحالف مع حسين حليف غير المسلمين، بل إنهم عادوا إلى عبدالعزيز كي يؤكدوا له ولاءهم الذي حافظوا عليه بصدق خلال المعارك التي أعقبت هذه الأحداث.

تمكن عبدالعزيز من صد قبيلتي حرب وعتيبة، أما قبيلة العجمان وحلفاؤها فقد شكلوا خطراً كبيراً عليه»[٢].

---

(١) المصدر السابق، ص ١٣٨.

(٢) ألويس موسيل، آل سعود دراسة في تاريخ الدولة السعودية، مصدر سابق، ص ١٥٠ ـ ١٥١.

(١٩)

شبه الجزيرة العربية

الطرق والمسالك

قسم الاستخبارات

مايو ١٩١٧م

شبه الجزيرة العربية

الطرق والمسالك

جاء في هذا الكتاب[1] عن عتيبة ما ترجمته: «**تعد عتيبة أو العتبان أقوى قبيلة في أواسط شبه الجزيرة العربية فهم أقوياء بالسلاح وعظماء بتربية الجمال. وتعد عتيبة الثانية من حيث الأهمية بين البدو بعد عنزة فقط، وهم يحتلون الجهة الشرقية من الحجاز مع الحرات البركانية بين طريق الحج وسهول شبه الجزيرة العربية وتمتد مراعي العتبان إلى القصيم والوشم شرقاً وإلى ديرة قحطان والبقوم والشلاوة وسبيع جنوباً. وهذ الموطن غني جداً بالآبار، وتهطل فيه الأمطار بانتظام في الشتاء ولا يكون جافاً تماماً في بداية فصل الخريف عندما تهطل فوقه أمطار موسم مونسون وهي الأمطار الموسمية الهندية. وتمتلك قبيلة عتيبة قطعاناً**

(١) هذا الكتاب يقع في مجلدات قام بإعداده قسم الاستخبارات لدى الأمبراطورية ووزارة الحربية أو أركان الحربية، صدر المجلد الأول في شهر مايو سنة ١٩١٦ والثاني في مايو ١٩١٧م، ويحتوي المجلد الأول بشكل رئيسي على الطرقات ووسائل النقل وخطوط الاتصال، وقد تم تركيب الطرقات على أساس جغرافي..

أما المجلد الثاني فإنه لا يختلف عن الأول حسب ما جاء في مقدمة الكتاب، إلا أنه ذكر أن من المصادر التي اعتمد عليها معلومات محلية تم الحصول عليها منذ اندلاع الحرب، كما تم استخدام معلومات حديثة من مصادر محلية من أجل الجزء الأول.

كبيرة من الماشية والجمال. ويقوم البدو بجمع القش من الأماكن التي تنمو فيها الأعشاب بكثرة وينمو نبات أو عشبة الأكاسيا في معظم أنحاء شبه الجزيرة العربية كما توجد الطرائد بكثرة في تلك المنطقة. وتعد العشائر الموجودة في الحجاز مثل الحلسة والمورقة والكرزان والصبحة والمراشدة والسمرة عشائر صغيرة فهي تقوم بتربية الماشية فقط[١]، وهناك القليل من الزراعة في الحرات حيث لا تتجاوز زراعة النخيل.

والفرعان الرئيسيان لقبيلة عتيبة هما الروقة وبرقا[٢]، الروقة بشكل رئيسي في الحجاز وبرقا في الصحراء الشرقية. الشيخ الأكبر لبرقا هو محمد ابن هندي والذي كان صديقاً حميماً وحليفاً لابن سعود وكان يغزو معه ويشاركه في حملاته ويسانده بالرجال[٣]، ولكن العلاقة بين عتيبة والشريف وابن سعود على التوالي وصفت بأنها «**قديمة أو متأخرة أو بطيئة أو حديثة العهد» نوعاً ما[٤] حيث كانت عتيبة تنتمي إلى الاتحاد الكونفدرالي لابن سعود، وكانت العشائر التي سكنت فعلاً في الحجاز تتبع للشريف، وربما ذلك بسبب أنه كان بعيداً عنهم ولم تكن سيطرته عليهم مباشرة. وفي عام ١٩١٠ غزا عبد الله الولد الثاني للشريف القصيم لمصلحة مشايخ قبيلة عتيبة. وفي تلك الغزوة أسر سعد، شقيق عبد العزيز بن سعود، إلا أن الدعم الذي كان يتوقعه من ابن رشيد لم يصله، وعندما تبين أن الأمير عبدالعزيز لا يزال في موضع قوة قام عبد الله بالاتفاق معه ثم تراجع وانسحب، وتعهد ابن سعود بأن لا تدفع عتيبة الزكاة وأن**

---

(١) لعله يقصد هنا بعض هذه الفروع المقيمة في الحجاز؛ لأن الصبحة المذكورين هم من العيلة من النفعة من أهل الحجاز.

(٢) شهرة هذا التقسيم في نجد.

(٣) ذكر هذا بعض المؤرخين منهم الأمير سعود بن هذلول في كتابه تاريخ ملوك آل سعود، ص٧٣ ـ ٧٤؛ والنجم اللامع، ص١٤٣ ـ ١٤٤.

(٤) علاقة الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ بعتيبة بدأت منذ دخوله الرياض حيث وفد عليه الشيخ محمد بن هندي بن حميد وأعطاه الملك زكاة أهل الخرج جميعها، انظر من شيم الملك عبد العزيز ٣/ ٧٠.

تدفع القصيم أربعة آلاف جنيهاً إسترلينياً للشريف سنوياً. إلا أن ابن سعود لم يلتزم بالجزء الأول من تلك التسوية كما لم يتم الالتزام التام بالجزء الثاني أيضاً. فما إن وصل الشريف عبد الله إلى الحجاز حتى غزا الأمير ابن سعود عتيبة وذلك بحجة أنهم آووا أولاد سعود المتمردين وهما أحفاد عمه الذي حاول إثارة وحشد أهالي الخرج والحريق ضده. وفي عام ١٩١٥ عاد عبد الله وقام بحملة إلى إقليم سدير في نجد وقام بجمع الزكاة من العتبان الشرقيين وتفوق على أهالي بريدة، الذين هم حلفاء لمطير وتابعين لابن سعود، في نزاعه معهم. والعتبان هم أعداء لقبيلة حرب، والعتبان أقوى من حرب، وعتيبة على علاقة جيدة عموماً مع قبيلتين صغيرتين في منطقة حدودهم الجنوبية البقوم والشلاوة، كما كانت عتيبة معادية لقحطان.

قبائل الغرب الأوسط

عتيبة

الشيخ الأكبر: تركي بن ربيعان.

فروع القبيلة: الروقة ٢٥٠٠ خيمة، تركي بن ربيعان[١].

العشيرة: ذوي ثبيت، ناصر بن محيّا، الحناتيش[٢]، ذوو عطية، نجم بن شليل[٣]، ابن زربية، ذوو مزروع، طلحة، صنيتان الضيط، المزاحمة، ثعيل الخراص ابن هليل، جعيلان

---

(١) هو الشيخ الفارس تركي بن سلطان بن محمد بن حمود بن ربيعان تولى المشيخة حدود سنة ١٢٩٥هـ تقريباً وشارك في بعض الأحداث توفي حدود سنة ١٣١٩هـ.

(٢) هو الشيخ الفارس ناصر بن براز بن محّيا شارك في بعض الأحداث، وتوفي سنة ١٣٢٠هـ تقريباً.

(٣) لعل الصواب شليل بن نجم، وهو شيخ الغبيات من الروقة من عتيبة.

الحفاة، الحلسة، مورقة، [...][١].

الشيخ الأكبر: محمد بن هندي [بن حميد][٢].

فروع القبيلة: برقا ٣٠٠٠ خيمة، محمد بن هندي.

العشيرة: الصبحة، الشيابين، المقطة، مقطة بن هندي، الخنافر، شالح الحمقي، الغزايلة، شافي بن دالي، القمزة، مناحي ابن ثويمر، الروسان عبيد بن جامع، الدعاجين مناحي الهيضل، ذوو خيوط، ناصر بن عقيّل، الشيابين هذال بن فهيد الشيباني، ذوو عبد الله، مناحي ابن مسيفر، ذوو خليفة بيان الجلاوي، النفعة، ذوو زياد محمد أبو رقبة، ذوو مفرج شبيب بن حجنة، الفلتة السلطان[٣]، الدغالبة محمد المهري، العصمة أبا العلا، الهدف عليثة العميّدي، المراشدة[٤]، السمرة[٥].

---

(١) في الأصل: كرزان، والتقسيم في الأصل على شكل عمودي، ولست متأكداً هل هي وضعت ضمن قائمة الروقة، أم أنها ضمن قائمة برقا، فإن وضعت ضمن الروقة فهي خطأ، لأن الكرزان هم جماعة الشيخ ابن حميد الأقربين.

(٢) جاء في الأصل: محمد بن هندي بن مسلط؟، وهو خطأ فنسب ابن هندي هو محمد بن هندي بن حمد بن حميد، ولا يوجد في الحمدة من اسمه مسلط في تلك الفترة إلا مسلط بن تركي بن حميد.

(٣) كان كبير الفلتة من النفعة في ذلك الوقت هو الفارس شحاذ السلطان.

(٤) المراشدة: من الروقة وليسوا من برقا وشيخهم أبو خشيم.

(٥) السمرة: أيضاً بن الروقة وشيخهم ابن زيد.

(٢٠)

من دليل الخليج
القسم الجغرافي

تأليف

ج.ج. لوريمر

ترجمة

المكتب الثقافي لحاكم قطر

الجزء الأول

من دليل الخليج - القسم الجغرافي -

قال ج. ج. لوريمر[1]: **عتيبة مفردها عتيبي والجمع عتوب[2] والجمع الذي يدل على عدد الأفراد هو عتبان..**

المجال والأرض:

هي قبيلة بدوية هامة من نجد تشغل البر الفسيح وامتدادها ٣٠٠

---

(١) ج. ج. لوريمر من كبار الموظفين البريطانيين في الهند، وكتابه دليل الخليج يعد إحدى الموسوعات التاريخية الإقليمية في العصر الحديث. كان في الأصل عبارة عن تقارير سياسية قام بإعدادها باللغة الإنجليزية، بتكليف من قسم الخدمات المدنية بحكومة الهند. وقد نشر في عام ١٩١٤م، ووزع بشكل محدود خدمة لموظفي حكومة الهند البريطانية العاملين في الخليج العربي، ومرجعاً للمسؤولين البريطانيين في تعاملهم مع دول الشرق الأوسط عامة، ودول وإمارات الخليج العربي على وجه الخصوص. ولأهمية هذا الدليل بوصفه مصدراً لتاريخ الخليج، وخاصة تاريخ الدول والإمارات المطلة عليه، وعلاقاتها مع بعضها، قام مكتب الترجمة بديوان سمو أمير دولة قطر بتكليف مجموعة من المعرّبين بنقله إلى اللغة العربية، حيث صدر منه طبعتان، الأولى صدرت في عام ١٩٦٧م، والثانية صدرت في عام ١٩٧٦م وهي تتكون من قسمين: قسم تاريخي يتألف من سبعة مجلدات، وقسم جغرافي يتكون أيضاً من سبعة مجلدات.
انظر تاريخ البلاد السعودية في دليل الخليج، ج. ج. لوريمر، جمع وتعليق د.محمد بن سليمان الخضيري، دار غارنت للنشر، ص ٩.

(٢) هذا الجمع غير صحيح، وجمعها حسب اصطلاح القبيلة هو عتيبة أو عتبان وهذا الذي يرد في أشعارهم وأخبارهم وفي المصادر القديمة.

ميل بين القصيم وإقليم مكة، والقبائل البدوية المجاورة لها هم مطير من الشرق، وشمّر من الشمال، وحرب من الشمال الغربي، وقحطان وسبيع من الجنوب. وإن جزءاً عظيماً من الطرق من عنيزة وبريدة إلى مكة يقع في أرضها. وقد اعتادت القوافل القصيمية التي تسافر على هذه الطرق أن تستخدم رفقاء من العتبان.

وترى مواقعها بصفة خاصة في الدرعية ودخنة ومسكة وشبيرمة. وفي الشمال توجد حدودهم في وادي رماح ويوجدون في الشرق عند سهل قطن. في ذلك الوادي، ووادي الوشم والسر وهم من بين البدو الذين يترددون على منطقة الخرج ويشاهدون في بعض الأحيان في العارض، ومن حين لآخر يزور الكويت بعض العتبان القليلون الفقراء بحثاً عن العيش، والمعروف أنهم يعسكرون في الجهة في الحوّية وفي وادي سبيع، وتتكون ديرة عتيبة من سهول رملية وحصوية تنتشر عليها قطع الجرانيا والبازلت ولكن توجد فيها مراع صحراوية ممتازة.

الحياة والمعيشة:

معظم القبيلة رحّل متجولون ينتشرون في أراضيهم الفسيحة ولكن توجد للعتيبة بعض القرى الثابتة ولها مزارع نخيل في التلال على بعد مائة ميل شمالي مكة[١] وتوجد قرى للعتبان المستقرين في أمكنة مختلفة من نجد خاصة في وسط نجد أو القصيم[٢] ويعيش العتبان بصفة أساسية على الجمال والأغنام والماعز التي يملكون منها أعداداً كبيرة، وصوف أغنامها خشن وقصير ويصلح فقط لعمل الحبال، وخيام البدو. ومنذ ٤٠ سنة كانت تمتلك عتيبة بعض الخيول العربية الأصيلة ويقال الآن الخيل الجيدة كانت تباع في داخل القبيلة بمبلغ ٢٠٠دولار للحصان الواحد، وأثمان الجمال والأغنام والماعز أقل ثمناً عند العتبان مما هو عند مطير ويبلغ ثمن أحسن جمال الركوب من ٦٠ ـ ٧٠ دولاراً للجمل الواحد.

---

(١) يشير إلى المحاني وعشيرة ورهاط وهي من قرى الروقة من عتيبة.

(٢) هذا الكلام غير صحيح فإنه لم يسمِّ القرى أو الفروع التي تسكنها من عتيبة.

أما جمل الحمل فثمنه لا يتجاوز ٤٠ دولاراً. وثمن الرأس من الأغنام والماعز هو ٣ دولارات، وتعيش عتيبة عليالغارات التي تشنها على الآخرين خاصة في شمال وادي رماح ثم على إرشاد الحجاج وهم في طريقهم إلى مكة.

أخلاق القبيلة:

تتمتع عتيبة كقبيلة بالاحترام وهي كريمة للضيافة ولا تميل إلى الخيانة، وعقول العتبان أكثر رجاحة من معظم البدو وهم محاربون مهرة، وهم أفضل في ذلك من قحطان المشهورة[١]. وهم من الناحية الدينية معتدلون وغير متعصبين.

العدد والأقسام:

يقدر العدد الكلي في داخل حدود الجزيرة العربية الوسطى تقريباً بحوالي ٦٠٠٠ نسمة[٢]. وتتكون عتيبة من قسمين كبيرين هما الروقة، وبرقا، وصيحة الحرب في روقة هي: أنا ابن روق. ووشم شيوخهم هو حية مرسومة بالوشم أسفل العين اليسرى للجمل[٣].

وتنقسم الروقة إلى الأقسام الآتية[٤]: العضيان[٥]، الحناتيش[٦]،

---

(١) هذا القول حسب وجهة نظر المؤلف، وإلا فقحطان قبيلة لا تقل شجاعة وكرماً عن عتيبة وغيرها من القبائل العربية الكريمة.

(٢) هذا العدد التقريبي ليس صحيحاً فقد قدَّر عدد عتيبة الشريف شرف بن عبد المحسن البركاتي بثلاثمائة ألف، وكان ذلك سنة ١٣٣٠ هـ. انظر الرحلة اليمانية، ص ١٨٧، كذلك جاء هذا الرقم في بحث باللغة التركية، ترجمه د. ماجد خلوف.

(٣) لا أعرف من يقصد بهذا الوسم فإذا كان يقصد آل ربيعان فوسمهم الرويكب ولا أعرف في الروقة من يسم وسم الحيّة. فأشهر من يسم الحيّة من عتيبة هم العصمة من عيال منصور من برقا من عتيبة.

(٤) هذا التقسيم فيه خلط بين فروع الروقة وسوف نعلق على كل ما يورده حول هذه الفروع.

(٥) فروع المزاحمة من الروقة من عتيبة.

(٦) فرع من طلحة من الروقة من عتيبة.

العفارين[1]، الحزمان[2]، ذوو عالي[3]، الجذعان[4]، العوازم[5]، القساسمة[6]، البراريق[7]، الخراريص[8]، الذيبة[9]، خلاوية[10]، الدلابحة[11]، المهادلة[12]، الغنانيم[13]، المراشدة[14]، الغربية[15]، المورقة[16]، الحبربية[17]، الأساعدة[18]، الحفاة[19]، السمرة[20]، الحماميد[21]، الزرقان[22].

والأقسام الرئيسية لقبيلة برقا[23] هي:العصمة والدعاجين والدغالبة[24]والدهسة، والمقطة[25] والملابسة[26] والنفعة[27] والنخشة[28] والروسان والشيابين[29] والثبتة[30]..........................

---

(١) فرع من ذوي ثبيت.
(٢) فرع من طلحة.
(٣) فرع من المزاحمة.
(٤) فرع من المزاحمة.
(٥) فرع من طلحة.
(٦) فرع من ذوي عطية من المزاحمة.
(٧) فرع من ذوي ثبيت.
(٨) فرع من ذوي عطية من المزاحمة.
(٩) فرع من طلحة.
(١٠) لا أعرف فرعاً بهذا الاسم، ولعل المقصود ذوي عطية وهو الأقرب وهو من مزحم من الروقة.
(١١) فرع من ذوي طلحة.
(١٢) فرع من ذوي عطية.
(١٣) فرع من ذوي عطية.
(١٤) فرع من المزاحمة.
(١٥) فرع من طلحة.
(١٦) في الأصل مرجا، والصواب ما أثبتناه.
(١٧) فرع من ذوي عطية من المزاحمة.
(١٨) فرع من طلحة.
(١٩) فرع من طلحة
(٢٠) فرع من طلحة.
(٢١) فرع من طلحة.
(٢٢) فرع من طلحة يقيم في الحجاز.
(٢٣) لم يقتصر هنا على خلط فروع برقا فحسب بل أورد فروعاً فرعية، وجعلها رئيسية انظر التعليق أدناه.
(٢٤) العصمة والدعاجين والدغالبة من عيال منصور، والدهسة أيضاً من القثمة من عيال منصور.
(٢٥) من شملى من برقا من عتيبة.
(٢٦) من الدعاجين من عيال منصور من برقا من عتيبة.
(٢٧) من شملى من برقا من عتيبة.
(٢٨) فرع من النفعة.
(٢٩) الشيابين من عيال منصور.
(٣٠) ثبتة أهل الحجاز من برقا من عتيبة.

والطفحة[1]. ومن هذه قد فقدت الشيابين حديثاً متلاحقين على ايدي قحطان ومطير[2] وبعض اقسام قبيلة برقا تنقسم ايضاً إلى الاقسام الفرعية الموضحة ادناه:

العصمة: العلوات، ناشر، العمرية، الركيبات، الغزول، الروسان[3]، الجلامدة، السمحان، الجلابين، المغارقة، الطحمان.

الدعاجين: العضابين، الهتف، العقايلة، المعالية.

الدغالبة[4]: الهنابية، القبعة، المواصلة، القمول.

المقطة[5]: العلابية، الخنافرة، العققة، خنيان، الغزايلة، القمزة، الحمدة، روسان المقطة، الحوابية، الهوارنة، السلفة.

الملابسة[6]: البصايصة، ذوو رحمة، الهوامله، الهياضلة، الريقة.

النفعة: الدراعين[7]، المجاولة[8]، الفلتة، المساعيد، [ذوو] مفرج، القميشات[9]، الفقهة[10]، ذوو زياد.

---

(١) هم يعودون إلى النفعة من شملى.

(٢) لعله يشير إلى مقتل الشيخ الفارس هذال بن فهيد من قبل قبيلة قحطان، وربما الثاني ناحي الضرة، وهو من فرسان الدغالبة الذي قتله تريحيب بن شري بن بعيّص سنة ١٣١٧هـ انظر صحيح الأخبار ٢/١١٨.

(٣) هذا خطأ ليس في العصمة من يعرف بالروسان، إنما المشهور روسان المراوحة، وروسان المقطة.

(٤) الدغالبة ينقسمون إلى أفخاذ أكثر مما ذكر أعلاه ومن أهمها المهارى بيت الإمارة.

(٥) المقطة ينقسمون إلى فرعين هم الكرزان والبصصة، يضاف إليهم في الحجاز المجانين والعققة.

(٦) الملابسة فرع من الدعاجين.

(٧) الدراعين فرع من ذوي مفرج من النفعة.

(٨) المجاولة من ذوي مفرج.

(٩) القميشات من ذوي مفرج من النفعة.

(١٠) الفقهة من ذوي زياد من النفعة من عتية.

الروسان[1]: ذوو عميرة، ذوو مجري، الهبور، الجوامع، المقاحصة.

الشيابين[2]: ذوو عبد الله، ذوو خليفة، ذوو عمر، الصخلة، ذوو فهيد، ذوو شيبة، الحفارى، الزبالقة.

ويبدو أن برقا لها صيحة حرب عامة[3] ولكن بعض الأقسام لها صيحات حرب مميزة ولكل منها وشم خاص بها وهي كما يأتي:

القسم	صيحات الحرب	الوشم
العصمة	خيال الرحمان بن عاصم	في نصف المسافة بالقرب من رقبة الحيوان
الدعاجين	سقم الحريب ابن مفلح	في نصف المسافة عند رقبة الحيوان[4]
الدغالبة	[آلاد النعيري][5]	منتصف الجانب القريب من رقبة الحيوان
المقطة	خيال الرحمان كريزي	على الساق الأمامية للحيوان
النفعة	[آلاد النفاعي][6]	على الساق الخلفية للحيوان
الروسان	خيال البلها امروّح	على رقبة الحيوان
الشيابين	خيال الرحمان ابن مشيب	على رقبة الحيوان

---

(١) لم يذكر فرع اللويبات الذي يعود إليه الجوامع، لأن الجوامع أسرة وليست فخذاً.

(٢) هذا التقسيم غير دقيق.

(٣) هي عيال العود وذلك أن الدعاجين يعتزون بعيال العود وكذلك القثمة وهذا ما يرد في أشعارهم.

(٤) الدعاجين لهم أكثر من وسم.

(٥) ورد في الأصل العزوة كذا: خيال الشرفا عالي وهذه عزوة عالي الفجري من أشهر فرسان عتيبة.

(٦) ورد في الأصل خيال الحرشا زيود وهذه عزوة ذوي زياد.

الوضع السياسي:

كانت عتيبة منذ الأزمنة الأولى تقدم الولاء للنفوذ الوهابي، وفي سنة ١٨٦٥ كان يقدر التبرع السنوي[١] الذي دفع للخزانة في الرياض بمبلغ ١٢٠٠٠ دولار. وفي الحرب الأهلية جنوبي نجد حوالي سنة ١٨٧١ وقفوا إلى جانب عبد الله ضد سعود وبسبب [انسحاب] قحطان هزموا سعوداً عندما حاول إخضاعهم[٢]، وفيما بعد عندما زادت ثروات أهل حايل وقعوا تحت سلطة أمير شمر الذي ضاعف الضرائب عليهم بقسوة[٣]؛ ولكن في سنة ١٩٠٢م عند عودة النفوذ الوهابي أصبحوا مرة أخرى من رعايا ابن سعود الذين ناصروا دائماً قضيته ويدفعون له الآن الزكاة بمعدل دولار واحد عن كل خمسة جمال ودولارين عن كل عشرة رؤوس من الغنم والعتبان مسلحون جيداً بالبنادق.

العتبان المستقرون:

حتى هذه النقطة كنا نعني فقط بعتيبة كقبيلة من الرحّل ولكن من الضروري أن نلاحظ أن المقيمين في عدد ثابت من القرى في نجد يوصفون بأنهم عتوب[٤] بالوراثة، وفي القصيم يقال إن القرى الآتية كلياً أو جزئياً يمتلكها العتوب: عقيّل وأثلة وبصر وبيشة والبكيرية وأبا الدود وعين ابن فهيد وغاف وغماش والوحيد وجاوع والقويعة[٥] ونفي والرس والسيب والشيحية، ووضاخ ويمكن أن يضاف إليها أيضاً المذنب[٦] وفي

---

(١) يعني به الزكاة التي كانت عتيبة تؤديها لإمام الدولة السعودية.

(٢) هذه وقعة طلال سنة ١٢٩٠هـ وهي للروقة بزعامة الشيخ الفارس مسلط بن ربيعان.

(٣) هذا الكلام غير دقيق ولو كان كذلك لما غزا الأمير محمد بن رشيد قبيلة عتيبة أكثر من أربعين غزوة.

(٤) الصواب: عتيبة.

(٥) لعله يقصد مما ذكر: الحيد، والقويعية.

(٦) هذا الكلام فيه خلط واضح بين هجر حديثة أسست مع تأسيس حركة الإخوان مثل: الغطغط، والحيد، ونفي، وبين قرى قديمة لا ينتمي أهلها إلى قبيلة عتيبة.

أرض جبل شمر يقال إن أرض بقعا تحتلها عتيبة من قسم ساعدة[1]، وفي السدير أهالي الزلفي وفي العارض أهالي بنبان والبرّة ورغبة منكورين[2] إلى حد قليل أو كبير على أنهم من العتوب[3] وأهالي الزلفي ينتمون إلى الأقسام المعروفة باسم الفراهيد والمساعدة».

---

(١) ساعدة ليست من عتيبة وإنما هي قبيلة كريمة تنتمي إلى غزية طي من القحطانية، ذكر هذا ابن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩هـ والقلقشندي المتوفى سنة ٨٢١هـ، انظر مسالك الأبصار ص ١٤٧. ونهاية الأرب، ص ٢٨١.

(٢) هذا الكلام غير دقيق وما هو مصدره الذي اعتمد عليه؟!

(٣) الصواب أن يقول عتيبة.

(٢١)

تاريخ البلاد السعودية

في دليل الخليج

القسم التاريخي

تأليف

ج.ج.لوريمر

جمع وتعليق

د.محمد بن سليمان الخضيري

تاريخ البلاد السعودية في دليل الخليج

- القسم التاريخي -

قال لوريمر[1] عن الحملة التركية الثانية بقيادة سليمان باشا على السعوديين سنة ١٢١٧هـ، بقيادة الإمام سعود بن عبدالعزيز، والتي اغتيل فيها ثويني شيخ المنتفق، وقتلت جنودهم التي كان أكثرها من البدو كما يذكر لوريمر: «...**فوقعت الحملة كلها في الفوضى والاضطراب، أما القسم النظامي (غير البدو) من الحملة فلم يستطع أن يجد طريقه في الصحراء، وتهدده العطش بالموت، فاستسلم معظمهم للوهابيين. أما من كان مصيره الاستسلام لقبائل جنوب نجد الأكثر تعصباً مثل قحطان وعتيبة فقد قتل، وأدت الكوارث المتتابعة هذه إلى القضاء على سليمان باشا فمات في ٧أغسطس ١٩٠٢م**»[2].

---

(١) اعتمدت هنا على النقل من دليل الخليج القسم التاريخي، على العمل الذي قام به الدكتور محمد بن سليمان الخضيري لقوله: « لقد اخترت عنواناً لهذا الكتاب هو: (تاريخ البلاد السعودية في دليل الخليج) لأن الكتاب يختص بالقسم التاريخي المضمن في سبعة مجلدات من دليل الخليج دون القسم الجغرافي. وتتناول مباحث هذا الكتاب النواحي التاريخية والسياسية والإدارية للبلاد السعودية في الفترة الممتدة من قيام الدولة السعودية الأولى حتى السنوات الأولى من قيام الملك عبدالعزيز باستعادة الرياض وقيام المملكة العربية السعودية. انظر مقدمة الكتاب، ص١١.
ونظراً لأن هذه الطبعة خالية من الأخطاء المطبعية والتاريخية فقد اعتمدت عليها في النقل كما ذكرت».

(٢) تاريخ البلاد السعودية، مصدر سابق، ص١٣٥ ـ ١٣٦.

وقال عن حملة فاشلة لطوسون باشا على تربة سنة ١٢٢٨هـ: «قرر محمد علي.... وأمر ابنه طوسون بالتقدم من الطائف إلى تربة ومعه قوة من ٢٠٠٠ رجل وإمدادات تكفي لثلاثين يوماً. لكن هذه القوة تعطلت في طريقها بعد اشتباك مرهق في منطقة جبلية مع قبيلة عتيبة، وكادت إمداداتهم تنفد ولم يقتربوا من تربة بعد...»[1].

وقال عن عمليات القوات المصرية في الحناكية: «..وجعلها مركز انطلاق غارات متعددة على القبائل المجاورة. وكانت قبائل حرب وعتيبة من الذين عانوا من هذه الغارات، وكان من نتائجها أن أعلنت قبائل كثيرة ولاءها للمصريين»[2].

وقال عن هجوم للأمير محمد بن رشيد على عتيبة سنة ١٢٩٤هـ وبداية العداء بينه وبين آل سعود: «ويبدو أن أول الأعمال العدائية في هذا الصدد كانت تلك الحملة التي قام بها أمير جبل شمر سنة ١٢٨٨هـ[3] ١٨٧١م على قبيلة عتيبة الموالية للوهابيين»[4].

وقال عن خلاف حدث بين الإمام عبدالرحمن الفيصل وابن رشيد سنة ١٣٠٨هـ نذكر منه ما يخص عتيبة: ...«وتجمعت قبائل البدو من مطير وعتيبة للقضاء على سلطة ابن رشيد»[5].

وذكر لوريمر أن الملك عبدالعزيز أوقع بقوات كبيرة من قبيلة قحطان، التي كانت تناصر ابن رشيد، وفي ذلك الوقت، كانت قبائل عتيبة والدواسر وسبيع والعجمان والمرة ومطير قد أعلنت ولاءها لابن سعود[6].

---

(١) المصدر السابق، ص١٥٦ ـ ١٥٧.

(٢) المصدر السابق، ١٧١ ـ ١٧٢.

(٣) نبه الدكتور الخضيري نقلاً عن بعض المصادر النجدية: أنه في عام ١٢٩٤هـ هاجمت قوات متحالفة من شمر وبريدة عرب عتيبة، نظراً لتوتر العلاقات بين الإمام عبد الله وأمير جبل شمر محمد بن رشيد.

(٤) المصدر السابق، ص٢٥٣.

(٥) المصدر السابق، ص٢٥٨ ـ ٢٥٩.

(٦) المصدر السابق، ص٤٩٢.

وقال لوريمر إن ابن رشيد أغار على عتيبة سنة ١٢٩٤هـ: **«اغار ابن رشيد على قبيلة عتيبة، التي يفترض أنها كانت خاضعة للرياض..»**[١].

وقال عن معاناة بعض القبائل من سطوة ابن رشيد سنة ١٣٠٢هـ: **«في كل سنة تقريباً، طوال حكم الأمير محمد، كان لا بد أن يقوم بغزوة لإحدى قبائل البدو المتمردة، وقد عانت من سطوته قبائل [عنزة] وعتيبة ومطير كل بدورها»**[٢].

وقال عن إدارة آل سعود للقصيم ١٢٥٩ ـ ١٢٦٩هـ: **«ولعدة سنوات انشغل الوهابيون بمطاردة بدو قبائل [حرب]، وعتيبة المناصرة لعنيزة»**[٣].

وقال عن وقعة المليداء سنة ١٣٠٨هـ: **«...وفي [١٣٠٨هـ] ١٩٨٠م تكونت جبهة لمقاومة تقدم ابن رشيد تضم كل القصيم ونجد الجنوبية إلى جانب قبائل البدو عتيبة ومطير، لكنها هزمت هزيمة ساحقة...»**[٤].

---

(١) المصدر السابق، ص٥٦٧.

(٢) المصدر السابق، ٥٧٢.

(٣) المصدر السابق، ص٥٩٦.

(٤) المصدر السابق، ص٦٠١. سبق التعليق على أن الذي اشترك من عتيبة في وقعة المليداء حسب المحفوظ هم شيخان منها وهما الشيخ هذال بن فهيد الشيباني، وابنه جهز، والشيخ مناحي بن خالد الهيضل ومن معهما من قبائلهما. أشار إلى ذلك محمد العبيّد. أنظر: النجم اللامع، ص ٢٢٤.

(٢٢)

قصص وقصائد وعادات وتقاليد البدو في الجزيرة العربية

تأليف
ج. ج. هيس

تاريخ الطبع

١٩٣٨م

قصص وقصائد وعادات وتقاليد البدو
في الجزيرة العربية

قال هيس[1] عن موهق بن عجاج العتيبي[2] واصفاً حياته نقلاً عنه حيث يتحدث موهق عن نفسه فيقول: «**لقد هجر أبي والدتي قبل عشر ليال من ولادتي، وأطلقت علي والدتي اسم موهق - وهذا يعني الشخص الذي يجلب معه الهموم والآلام -، وذلك نظراً لما عانته من هجر والدي لها. فأرضعتني حتى بدأت أمشي، ورمتني بعد ذلك إلى جدتي، أم والدي، التي قامت على تربيتي ورعايتي. وعندما بلغت الثالثة من العمر تمت عملية ختاني قرب غدير ماء يسمى الشبرمية. وقد تم نبح ثلاثين من الشياه**

(١) ج.ج.هيس مؤرخ ألماني التقى بموهق بن عجاج الغنامي العتيبي بالقاهرة بمصر في مطلع القرن العشرين، وأخذ عنه لغة قبيلته وثقافتها، ويذكر هيس أن موهق هو المصدر الرئيسي لبحثه في الجزء الواقع بين الصفحتين من ١ - ٤٦، كما أن هيس التقى برجل يدعى مسفر القحطاني والذي استفاد منه أهازيج قحطان وأناشيدهم بين الصفحات ٤٧ - ٥٢، ويحتوي كتاب هيس هذا الموسوم ب (قصص وقصائد وعادات وتقاليد البدو في الجزيرة العربية) على وصف الحياة عند البدو من عادات وتقاليد وحوادث القتل والثأر والقضاء والاحتفالات والختان وغيرها من الموضوعات كما اتضح بعضها من خلال عنوان كتابه، كما أنه كتب سيرة وصف حياة موهق نقلاً عنه مباشرة. وحبذا لو ترجم هذا الكتاب وطبع لتعم الفائدة.

(٢) هو موهق بن عجاج من الغنايم من ذوي عطية من مزحم من الروقة من عتيبة وهو من أهالي نجد - أي - من عتيبة الذين انحدروا إلى نجد.

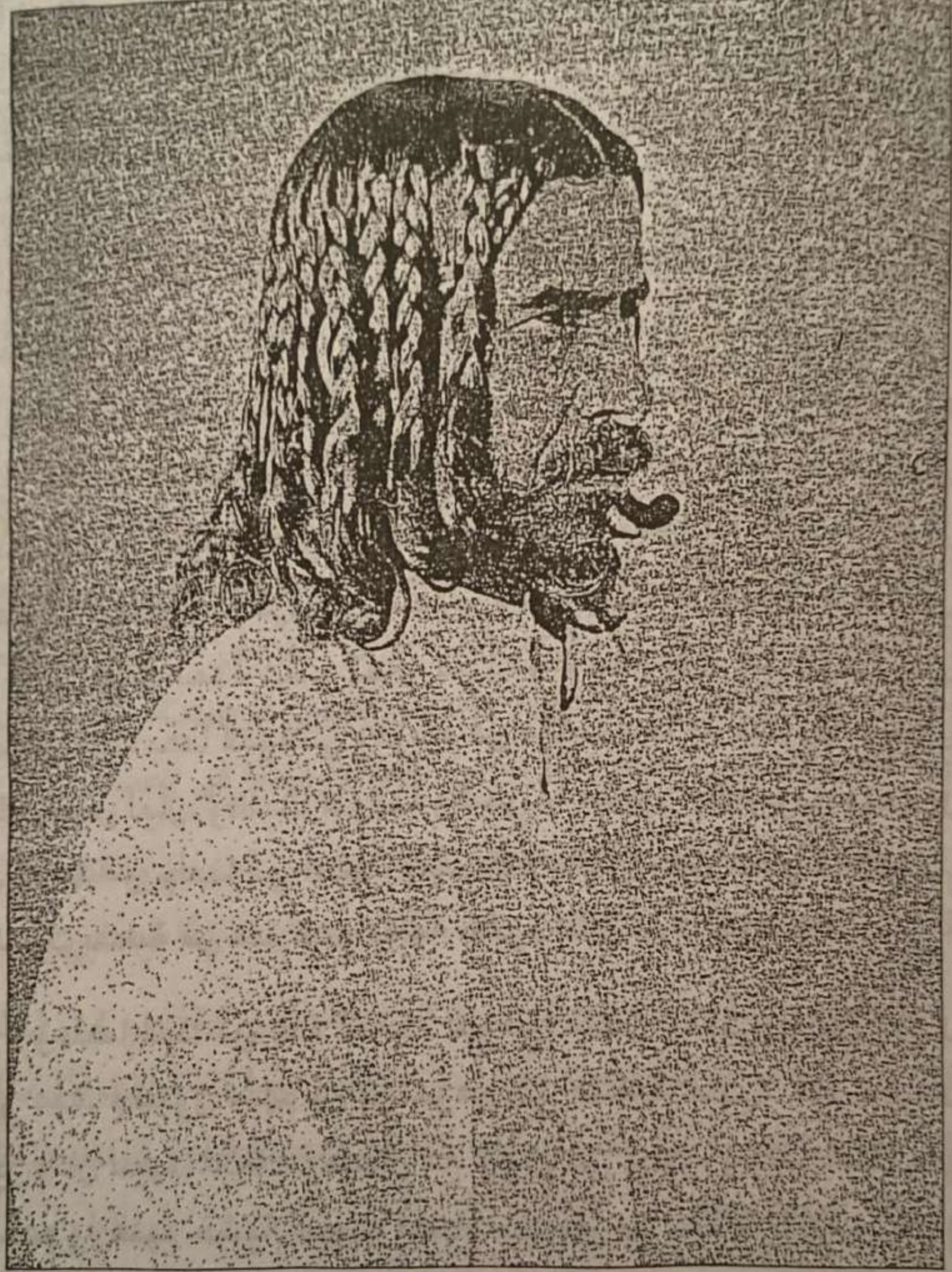
احتفالاً بتلك المناسبة: كان منها شاتان من والدي والبقية هدية من أبناء أعمامي واستمر مكوثي مع جدتي وأبي، حيث كنت ألعب مع الأطفال حتى سن السادسة. ثم بعد ذلك بدأت أخرج لرعي الجمال، حيث كنت أتولى مع الرعاة، الاهتمام بضم صغار الجمال إلى القطيع. وهكذا كنت أقضي مدة ثلاثة أيام بعيداً عن المخيم بالقرب من أحد الآبار دون أن أتناول أي شيء سوى حليب الناقة الطازج.

وعندما كنت في الثامنة من العمر هاجمنا ابن رشيد قرب غدير ماء يسمى «الحدارة» Hdarehel، وأخذ جمالنا. وبعد ذلك قام والدي بجمع المواشي كنوع من التعويض عن خسائر الحرب من الأصدقاء والأقرباء وعندما حل فصل الربيع وضعت الشياه، وتم اختياري لأكون راعياً للخراف الصغيرة ـ خمسين حملاً ـ ومع حلول فصل الصيف، جعلنا الحيوانات الصغيرة ترعى مع تلك الكبيرة، وبقيت أنا في المراعي. وهكذا كنت أرعى المواشي حتى بلغت الثانية عشرة من العمر وفي الربيع أرعى المواشي وفي الصيف كنت أبقى في المراعي. أو كنت أذهب مع جمال حمل البضائع ويبقى نصف الرجال هناك، يتولون أخذ الحيوانات إلى غدير الماء من أجل السقاية.

وعندما بلغت الخامسة عشرة من العمر علمتني جدتي كيف أصلي، الحركات التي يجب أن أقوم بها والعبارات التي يجب أن أقرأها.

وفي تلك الأثناء قام والدي بالغزو واغتنم أربعة من الجمال وأشترى جملين وحصاناً وراح يستعملها في الغزو، الذي كان يحصل من خلاله على الجمال ويحضرها لنا. وعندما كثرت الجمال لدينا أصبحت أنا راعي تلك الجمال وكنت قد بلغت حينها الثامنة عشرة من العمر. وعندما كنا نصل إلى البئر من أجل السقاية كنت أنزل إلى البئر وأملأ الدلو بالماء وأسقي جميع الجمال، وفي ذلك الوقت كان لدينا الكثير من الجمال والمواشي من جديد.

وعندما بلغت العشرين من العمر اشترى لي والدي بندقية بقيمة طالر ماريا تيريزا وشاة، وتعلمت كيف أستخدم تلك البندقية في صيد الأرانب. إلا أن تلك البندقية لم تبقَ طويلاً بصحبتي ـ فقط نصف عام ـ فقد



موهق بن عجاج العتيبي

اشتريت بعدها بندقية أحدث منها مقابل جمل يبلغ من العمر عامين وبدأت أخرج مع والدي للغزو، حيث كان يجعلني أركب خلفه على ظهر الجمل. لقد كانت مجموعتنا تتألف من ١١جملاً، وأذكر أننا قمنا بغزوة ضد مطير. وما إن اقتربنا من البدو ورأينا الجمال من بعيد، حتى جعلنا البهائم تركع لأننا أردنا أن تقترب الجمال منا أكثر من أجل أن ننقض عليها. إلا أن أحد الصيادين قد رآنا وراح البدو يلاحقوننا، فانتبهنا لذلك وما كان منا إلا أن هربنا، وعندها قصفونا ببندقياتهم وأصابوا اثنين منا. وبدورنا رميناهم ببندقياتنا وقتلنا اثنتين من أفراسهم. إلا أن القوات التي كانت تلاحقنا استطاعت أن تقترب منا، وكان قائدهم الذي كان يمتطي حصاناً في الأربعين من العمر، وكان فرسانهم أكثر من أن يحصوا، فغلبونا بواقع كثرة عددهم، وترأفوا بنا ولم يقتلونا، ... واصطحبونا معهم إلى أهلهم. وعندما أصبح الصبح قدموا لنا الماء فاغتسلنا وقدموا لنا القليل من الطعام وأعادونا إلى اهلنا بالقرب من شعيب العسيبيات Siyb el Asibijat وبقيت مع الأهل هناك لمدة عشر ليال. ثم ذهبت بعد ذلك إلى مكة إلى أحد الأسواق حيث بعنا المواشي والزبدة في مكة، زادها الله تشريفاً، وأمضينا هناك خمس ليال. وطلبنا أموالنا واشترينا التمور والحبوب، وبعد ذلك غادرنا مكة ورجعنا إلى اهلنا. وجدناهم بالقرب من غدير ماء كبشان، واشتريت بندقية من أحد البدو بقيمة عشرة طالر ماريا تيريزا.

وعندما أتينا من مكة التقيت أخوالي، أشقاء والدتي، الذين أتوا إلى أهلي هناك يطلبون منهم أن يرشدوهم إلى منطقة عتيبة. لقد كانوا من مطير وكان لديهم علاقات وأشغال مع رجال من مطير، ولذلك ذهبت معهم أرشدهم وأرافقهم خشية حدوث اعتداء محتمل من عتيبة ضدهم. وما إن وصلنا أطراف منطقة مطير، توجهنا إليهم وأردنا أن نحل ضيوفاً عليهم. وكان لهم ثأر عند أخوالي وطلبوا الثأر وتعرفوا علينا وتعرفنا عليهم. فما كان منا إلا أن هربنا فلحقوا بنا وتمكن الفرسان من الوصول وكان عددنا ثلاثة أنا واثنين من أخوالي، وكان أخوالي لديهم بندقيات كما كان لدي بندقية وكانت بندقيتي أفضل من بندقياتهما. وكان هناك جبل أمامنا توجهنا صوبه لنختبئ ونحتمي بداخله. إلا إن الفرسان قطعوا الطريق

علينا بغية إجبارنا على العودة لملاقاتنا وهكذا بدأنا نطلق النار عليهم وترجلنا من على ظهور جمالنا ورحنا نقترب من الجبل لنحمي انفسنا قدر المستطاع. ومع وصولنا سفح الجبل، اندفع الفرسان وراحوا يمطروننا بوابل من نيران بندقياتهم وأصابوا أحد أخوالي برأسه ـ لقد كانوا سبعة فرسان، وأطلقت النار على حصان ضاحي الحليس. وعندما كسرت رقبته بقيت إلى اليمين من خالي المصاب وبقي خالي الآخر إلى اليسار منه ورحنا نطلق النار باستمرار، وبالتالي راحوا يطلقون النار علينا. وعندما تركونا وشأننا وذهبوا عنا، توجهت إلى جمالنا وأحضرتها. وكان الجرح الذي أصيب به خالي بسيطاً بحيث لم يتجاوز جلد الرأس وبالتالي فقد كان عظم الجمجمة سليماً.فقمنا بربط رأسه وركبنا ورحلنا في الليل والتقينا بابن سقيان شيخ بني عبد الله وهي فرع من قبيلة مطير، وفي الواقع كنا نريد أن نذهب إليه في الأساس. وبقينا لديه ثلاث ليال وأنهينا الأمور التي كانت بيننا. رحلنا في الظلام خشية أن يصادفنا الذين يريدون أن يثأروا منا. وكان ابن سقيان عند بئر الرضوم er-radum وقد كانوا بالقرب من ذلك المكان، عند بئر يسمى الرضمية، وفي الصباح وجدنا أنفسنا بعيدين عنهم بالقرب من أهلنا ووصلنا في المساء.

وبعد أن أتينا إلى أهلنا، حضر الحماميد من أجل أن يأخذوا بالثأر ـ لقد كانوا من عتيبة ـ وقالوا لي: أنت قتلت حصان جارنا المحمي لدينا.

وذهبت ـ أنا معهم ـ وعرضوا القضية على القاضي ابن ثعلي وقالوا: «لو أنك يا موهق بقيت بعيداً عن الأنظار، لما كنا قد تعرفنا عليك، وكأنك تقول انظروا أنا عتيبي، لما كنا استعملنا القوة ضدك. ولكنك ظهرت بين قبيلة مطير».

وقلت للقاضي إنه لم يكن لدي عذر أو حجة أهرب منهم من خلالها.

عندها قال القاضي مخاطباً الحماميد: اقسموا على أن تكفوا عن موهق وزملائه. ولكنهم لم يريدوا أن يقسموا. فقال القاضي: إن قيمة الحصان تساوي جملين صغيرين، الأول تأكلونه، والثاني يدفع قيمته موهق. وقلت أنا لا.

فقالوا: ونحن لن نتركك، إن قيمة حصاننا تساوي قيمة أربعة أحصنة. عندها قال القاضي ابن ثعلي: ليس من حقكم أن تضاعفوا من قيمة دية ذلك الحصان. وأنا أحكم لكم بجملين صغيرين كدية من أجل أن تتصالحوا. والحقيقة أنه ليس لديكم الحق بمطالبته بدية لأن الحصان ليس له دية أو تعويض.وأنتم حاولتم إجبارنا على الدفع من خلال الغزو، وحضرنا معكم أمام القاضي للمرة الثانية، وقد انتصرنا عليكم مرة أخرى.

بعد ذلك ذهبت مع رفقائي في غزو ضد قبيلة حرب ووصلنا إلى غدير ماء يسمى «بقعة تسفية Bega Tsafeh» وقمنا بنهبهم في الليل ونزعنا قيود إبلهم. فاستيقظوا وطردونا. عندها ذهبنا إلى جماعة أخرى من البدو المشردين الذين لا أصل لهم. وتركت رفقائي وذهبت في الظلام ودخلت إحدى الخيم للبحث عن بندقية وبدأت أتحسس وأفتش بين أسراج الإبل، ولكنني لم أجد شيئاً. ثم شاهدت كيساً مصنوعاً من جلد الحمل يستخدم كوسادة، فأخذت ذلك الكيس وكان ثقيل الوزن لدرجة أني ظننت أنه مليء بالأموال. وعندما رجعت إلى رفقائي، فتحنا ذلك الكيس ووجدنا فيه ثلاثين خرطوشاً وسواراً وقميصاً وغطاء رأس أحمر اللون فأخذ أحد رفقائي الخرطوش وأخذ الثاني القميص وغطاء الرأس وأخذت أنا السوار. واقترب النهار فهربنا ورجعنا إلى أهلنا.

وكان أهلنا في تلك الأثناء قد رحلوا وأقاموا مخيمهم قرب عين ماء تسمى بحر والذويبي، وقد أقام شيخ بني عمرو قرب غدير ماء العبيل el-abel فذهبت ومعي ثلاثة أشخاص للغزو واصطحبنا معنا في تلك الرحلة دقيقاً وجراداً وبعض الغموس وبعض الزبدة.

وفي المساء قمنا بغزو البدو وأثرنا بعيرهم مرتين، فطردونا واضطررنا للهرب مع اقتراب النهار حتى وصلنا إلى القرب من جبل حليت(١)، حيث اختبأنا هناك وشربنا من مياه بئر القيرابي el-gerabi.

---

(١) حليت: جبل أسود كبير، تحف به برق غزيرة، وفيه أودية ونواصف، وحليت من الأعلام المشهورة قديماً وحديثاً، يقع في ناحية منطقة الجمش الغربية الشمالية، =

وعندما اقترب وقت العصر توجهنا إلى القرب من غدير العبيل، ولدى اقترابنا توقفنا في استراحة أخيرة لتناول ما بقي لدينا من زاد تمهيداً للغزو. إلا أن جمالهم كانت معهم عند الغدير ولم نتمكن من عمل أي شيء ضدهم ولا سيما أنهم لم يناموا طوال الليل.

عندها قال أحد رفقائي: نريد أن نعود وقلت: أنا لا أريد، فقالوا: نحن جائعون. ولكنني قلت: إن الإله سيطعمنا وسنقوم بالغزو في الليلة التالية.

وفي الليل اقتربنا أنا وأحد رفقائي من البدو ونهبنا نعجة صغيرة من نعاجهم. فحملها من جهة الجسد وحملتها أنا من جهة الرأس. وعندما وصلنا إلى رفقائنا قلنا لهم: ابشروا باللحم والدهن. فأخذوها منا وابتعدنا عن البدو. ومع اقتراب وقت صلاة الفجر وصلنا إلى مكاننا السابق ونبحنا النعجة ووجدنا أنها كانت سمينة فأكلنا وشبعنا حتى التخمة ثم نمنا. وبعد الظهر غادرنا ذلك المكان ورجعنا إلى البدو واقتربنا من مخيمهم. وتركنا أمتعتنا وطعامنا في مكان قريب، وبقي أحد رفقائنا ممن لا يحسنون الغزو عند متاعنا، وذهبنا نحن الثلاثة إلى أقرب مكان من مخيم البدو وانتظرنا حتى منتصف الليل، ثم هجمنا. وعندما وصلنا إلى الخيم كنت أنا في المقدمة وكان رفيقي في المؤخرة وكان الثالث على جنب تحسباً من أن تلحظنا الكلاب. ولدى اقترابي من الخيم وجدت رمحاً مغروزاً بجانب وتد الخيمة، فقمت بنزع ذلك الرمح لأعطيه إلى رفيقي وإذا بالخيمة تقع على الأرض، فما كان منا إلا أن هربنا. ورجعنا إليهم مرة ثانية ووجدنا أن جمالهم كانت في المراعي. فقمنا بفك قيود ثلاثة من ... وأخذناها وابتعدنا إلى أن وصلنا إلى رفيقنا الثالث الذي كان عند متاعنا ودعوناه ليهرب معنا. وتركنا شبرمة على يميننا والشيحية على يسارنا وسرنا حتى وجدنا أنفسنا في الصباح بالقرب من الحناكية. وربطنا الأطراف الأمامية ... حتى لا تهرب وتركناها عند سفح الجبل وتناولنا الطعام ونمنا في الليل، وفي

= وقراه تابعة لمركز الدوادمي إدارياً، ويبعد عن الدوادمي تسعين كيلا تقريبا. انظر: عالية نجد ١/ ٤٠٤.

الصباح انتقلنا إلى أهلنا بالقرب من غدير الماء بحر وأخذ كل واحد منا ... وأعطى كل واحد منا طالراً واحداً إلى الرجل الذي بقي عند متاعنا مقابل كل ... وأمضينا مع أهلنا نحو ثماني ليال.

ثم ذهبت للغزو من جديد أنا واثنين من رفقائي، غير رفقائي السابقين. وتوجهنا صوب الذويبي فرع من حرب. ووصلنا إلى القرب من جبل قبره cebreh واسترحنا واختبأنا هناك في وقت الظهر، وأمضينا وقت العصر حتى وصلنا إلى بدو حرب مع بداية الليل. وبدأنا نحوم حولهم ونستطلع، ووضعنا أمتعتنا وقربة الماء قرب صخرة بيضاء في مكان بعيد عن البدو. وتواعدنا أن نلتقي في ذلك المكان بعد عودتنا. واتجهنا نحو الخيم، وعندما وصلنا أعطيت رفيقي الرمح وقلت له:احتفظ بهذا لتساندني في حال أمسكني البدو.

عندها يبدو أن البدو قد شاهدونا وأرسلوا إلينا ثلاثة منهم يلاحقوننا، دون أن ننتبه. ولدى تقدمي من أجل نهب الجمال، شاهدت رجلاً غريباً بيني وبين رفيقي، وقال له الآخرون:ألقه أرضاً، ألقه أرضاً.

فاقتادني إلى القرب من الخيم والبئر، ولم يكن أمامي طريق للهرب سوى أن أتجه نحو الخيم. وفر رفقائي في الجهة الأخرى. وتبعني البدو فوصلت إلى إحدى الخيم التي دخلتها وكان ساكنها نائماً. وعندما استيقظت المرأة والأطفال، قلت لهم: أنا داخل على الله وعليكم، أرجو أن تحموني. واجتمع البدو من حولي وبدؤوا ينهالوا علي بالأسئلة. وقالوا أين فرسانكم؟ فقلت لهم: نحن حنشل[١] نسير على الأقدام وليس لدينا جمال أو خيول. فقاموا بفحص قدمي، وتقفوا أثري، فلم يجدوا سوى آثار أقدامي، وتأكدوا من أنني كنت أقول الحقيقة. فقام الجيران بإشعال النار، وتحضير القهوة التي شربناها معاً فيما بعد. كما قاموا بحلب الناقة وإعطائي الحليب. وكان لدى هؤلاء البدو جرحى من قبيلة عتيبة، وكانوا بحاجة إلى رجل يرافقهم إلى أهلهم ولكنهم لم يجدوا أحداً فأرسل الشيوخ أحد الرجال معي إلى هؤلاء الجرحى من قبيلة عتيبة، وذهبنا إليهم وكم كانت فرحتهم كبيرة عندما

---

(١) الحنشل أو الحنشولي هو من يغزو مشياً على الأقدام.

يساعدونا. وفي الصباح جاء فارسان من حرب على ظهر جمالهما واعطوني أربعة طالر، وغادرنا نحو مكان يسمى الجمانية ووصلنا إلى عتيبة في المساء حيث تم اختصار الطريق.

وأمضينا الصباح مع أهلنا البدو من عتيبة، ثم أردت أن ارافق رفقاءنا من قبيلة حرب إلى أهلهم. ثم حضر أحد العتبان على ظهر جمل، وكان لديه أمور معينة مع قبيلة حرب. فتعهدت بحماية رفقائي من حرب، وتعهدوا هم بحماية هذا العتيبي أمام حرب، ثم غادروا. وبقيت في الجمانية، وطلب مني الأهل أن أقوم بسقاية الجمال، والتقينا أنا ورفقائي الذين رافقوني في تلك الغزوة، وقالوا لي إنهم انتظروني ولكنني تأخرت فاضطروا أن يعودوا. وفي الليلة الثانية، حضروا سراً وقالوا: إن موهق قد انهزم ولا ندري ماذا حدث معه.

وعندما أتوا إلى الجمانية، كنت أنا قد وصلت قبلهم إلى هناك وكنت قد حصلت على أربعة طالر وكنت راكباً على جمل، بينما لم ينالوا هم إلا التعب والمشقة.

وبعد عشرين يوماً قمنا بغزوة ضد قبيلة حرب قرب مصلح، وكان بصحبتنا أربعة جمال في تلك الغزوة. وعندما وصلنا إلى المكان المطلوب ليلاً أقمنا في مكان بعيد عن الغدير حيث يوجدون بقربه. وعندما حل الظلام ربطنا الجمال قرب جبل كان يبعد نحو ساعة تقريباً شرق مصلح ويسمى ذلك المكان أيهامير[1]، واتجهنا نحو البدو، لقد كنا سبعة رجال. وكان معنا أحد العبيد ويدعى غنام تركناه عند الجمال.

وعندما وصلنا إلى البدو، دخلنا إلى المخيم وفككنا قيود أربعة جمال. فاستيقظ البدو وطردونا. وعندما رجعوا وتركونا بحال سبيلنا بعد أن فقدوا الأمل بالقبض علينا، ما كان منا إلّا أن رجعنا إليهم من الجهة الأخرى ونهبنا ناقتين مع أبنائهما. وعندما اقتربنا من المكان الذي تركنا فيها جمالنا لاحظنا وجود شعلة نار من بعيد وكان البدو يطاردوننا على ظهور

(١) اسم موضع يبدو أن فيه تصحيف.

الخيل والبعير، فما كان منا إلا أن تركنا الجمال التي نهبناها تذهب لوحدها أمامنا وتوجهنا بسرعة نحو جمالنا وعندما وصلنا إلى المكان الخطأ[1] صحنا بأعلى صوتنا: غنام فأتى إلينا وسألناه أين جمالنا؟ وذهب اثنان من رفقائنا مع غنام وعادوا بالجمال ولكن جملي لم يكن معهم، قال غنام: لقد تاه جملك وكنت قد ربطت الساقين الأماميين لهذين الجملين ولكنني لم أربط جملك. وأعتقد أنه لم يكن له أن يبعد عن هذين الجملين ولاسيما أنه أصغر منها.

ويبدو أن هناك من سرقه وفر به بعيداً، عندما كنت بصحبة الجملين الآخرين عند سفح الجبل. ولدى اقتراب المطاردين مني، قال رفقائي: لقد وصل الرجال.

وصحت بأعلى صوتي: اهربوا ! ولكنهم قالوا: ارجع حتى لا تقتل.

عندها قلت لهم: توكلت على الله سوف أبحث عن جملي.

وإذا وجدته في تلك الليلة، فسوف أبلغكم، وإذا لم أعثر عليه حتى صباح الغد فإني سوف ألجأ إلى البدو. إن الناس الذين أخذوا الجمل يسيرون على جنب، لقد ابتعدوا عني وبعد مدة من الزمن، ولدى اقترابي من شعلة النار، تحولت إلى طريق آخر، بحيث تركت الجبل خلفي وتوجهت صوب البدو، فقابلتهم وقابلوني. وعندما هربت، بحثت عن جملي بالقرب منهم، وصلت إلى المكان ذاته. حررت الجمل من قيوده، ولم يكن يوجد سرج على ظهره. وكانت القربة والمؤنة مع رفقائي. وأخذت الجمل وابتعدت عن ذلك المكان لقد كان ذلك الجمل يعود إلى أحد أعمامي، وقد أخذته من المرعى دون علمه وركبت على ظهر ذلك الجمل وأسرعت إلى

---

(١) في حالة الغزو، يقوم الرجل أو الغازي بدفع الجمال إلى مكان بعيد وربطها ثم يعود إلى مكانه. وعندما يكون قدر الغزاة سيئاً، يتم إجبارهم على أن يخبروا عن مخبأ الجمال، فيذهبوا إلى مكان الكاذب (واعد الكذاب)وينادوا من بعيد اسماً خطأً عندها يهرب الرجل، لأنه لو نادوا بالاسم الصحيح، لعلم الرجل أن ليس هناك أعداء. [هس].

مكان أو جبل يسمى تحفة شيب الزيد وعندما أصبح علي الصباح، تركت الجمل عند سفح تحفة وصعدت إلى قمة ذلك الجبل، وراقبت ما إذا كان هناك أيّ من الأعداء الذين يطاردوننا. وبقيت هناك حتى طلوع الشمس.

وقبل الظهر بقليل، لم أر أي شيء مريب، فنزلت ورجعت إلى الجمل، وفككت قيوده واصطحبته إلى تحفة شيب الزيد من أجل الماء. لقد كنت أشعر بالجوع والعطش، فانا لم أتناول أي شيء منذ قبل ظهر امس. وتركت الجمل عند سفح ذلك الجبل في مكان يبعد نحو ساعة عن الماء وذهبت إلى البئر سيراً على الأقدام. وعندما وصلت إلى البئر، وجدت أنه كان عميقاً. فنزعت حزامي وربطته مع عمامتي. وبدأت أنزله في الماء ثم أسحبه. وبعد أن شربت الماء صعدت إلى الجبل، ووجدت فجوة في ذلك الجبل ونمت بداخلها حتى العصر. ثم رجعت إلى البئر وشربت من جديد، وتوجهت إلى الجمل وركبت على ظهره، وسرت في طريقي.وقد بدا الظلام يرخي سدوله عندما وصلت إلى القرب من كيبشية[1]، وعندما لاح الصباح ذهبت إلى البئر البتسري، وهو بئر يقع بين التلال. وهناك وجدت قطعة من قربة قديمة فشربت وسقيت جملي وتابعت مسيري. وعندما وصلت وادي قيطة، قابلت اثنين يركبان البعير، أحدهما كان من قبيلة حرب، فاقتربا مني وأخذا جملي وثيابي. فجلست أستظل بظل شجيرة وأنا عار تماماً. وعندما بدأ الليل يرخي سدوله رحت أقتفي آثارهم وأتبعهم. لقد كنت جائعاً وعطشان كثيراً حيث مضى نحو عشرين ساعة دون أن أتناول أي شيء. وقادتني آثارهم إلى جهة قبيلة عتيبة، ونمت وأنا أقتفي آثارهم في الصحراء. وعندما لاح الصباح، واصلت متابعة آثار جملي، وقبل الظهر وصلت إلى جماعة من البدو بالقرب من مكان يسمى القاعية[2]، لقد كانوا من حرب ومطير، وقد وجدت جملي لدى حرب. فأخذت جملي وثيابي وتوجهت إلى أهلي.

---

(١) اسم بلدة لم أتحقق من صحته.

(٢) القاعية: لست متأكداً أي قاعية يقصد فهناك قاعية تقع جنوب بلدة عفيف ولا أظنها المقصودة، وهناك القاعية في قاع في ناحية جبل قاعان الشمالية، غرب الجرير، تابعة لإمارة القصيم، ولعلها المقصودة، انظر عالية نجد، مصدر سابق، ٣/١٠٥٥.

وكان رفقائي الذين كانوا على الجمل، وفروا بما سرقوه، قد تعرضوا للسطو على يد فرسان من قبيلة حرب، فأخذوا منهم الجمل وأطلقوا الجمل المسروق والتقينا أنا والذين كانوا على ظهر الجملين الذين كانوا قد هربوا في جهة الشرق، وأمضينا بضع ليال عند أهلنا للغزو في جهة قبيلة حرب وكان عددنا في تلك الحملة تسعة رجال. وكان ثلاثة من بيننا مسلحين بالحراب. وكان واحد معه بندقية رصاص، وكان لدي بندقية مارتيني. واقتربنا من البدو في مكان يسمى الشيحيّة. وهناك شاهدنا رجلاً يسير على قدميه وكان يسرق بالقرب من بريدة، فقمنا بمراقبة ذلك الرجل ثم مهاجمته، وأراد رفقائي قتله. ولكن الله أراد له الحياة وقمت بإطلاقه. لقد كان حربيًا وتركناه يذهب في سبيله. وعندما اختبأنا، ذهب ذلك الحربي إلى البدو وطلب منهم أن يلاحقوننا. وكان هناك أربعة رجال مسلحين من أولئك البدو على ظهور جمالهم، وقام هؤلاء الأربعة باعتراضنا، فبدأنا بتبادل إطلاق النار فيما بيننا. وقتلنا رجلاً منهم وفارساً. وقاموا بإبعادنا وجرحوا واحداً من رفقائي. وكان هذا المصاب ابن عمي. فبقيت بجانبه خشية أن يعودوا ويقتلوه. ورحت أدافع عنه ببندقية المارتيني التي كانت بحوزتي. وكان الأعداء يطلقون النار صوبي وكنت أرد على مصادر تلك النيران من بندقيتي. وبعد برهة من الزمن طلبوا مني أن استسلم وقالوا: انتبه استسلم حفاظاً على روحك.

فقلت لهم: ابتعدوا عني رأفة بي وبالجريح.

ولم يكونوا يريدون ذلك وقالوا: إن العفو لا يشمله.

فقلت لهم: ابتعدوا عني ورحت أطلق النار من جديد، إلى أن منحوني العفو عن الجريح بشرف غانم بن زيد البشري شيخ بني سليم وقلت لهم: أشهدوا الله على ذلك.

فقالوا: يشهد الله أنكما أحرار لدينا، دون أية نية سيئة للغدر.

عندها قام ابن عم القتيل وأراد أن يضرب الجريح وصاح قائلاً: أريد الحق لمطلق.

وهنا وقف الرجل الذي منحنا العفو، وأوقف ذلك الرجل ومنعه وساعدنا على التخلص منه. وأخذ بندقيتي وقام بخلع ملابسي. ثم ذهبوا وتركوني أنا والجريح فقمت بمداواة ابن عمي الجريح من خلال عشبة أو نبات الرمث، ذهبت ليلاً صوب البكيرية[1]، وكان هناك خشية علينا، حيث إن أهلها سمعوا بما أصابنا واعتقدوا أنه ابن رشيد، وبعد أن أخبرتهم بما جرى ارتاحوا واطمأنوا.

ووعدت من يذهب معي من أهالي البكيرية، لكي نعيد الجريح، إلى أهله أن يحصل على جمل، ولكنني لم أجد أحداً يذهب معي في تلك المهمة.

وفي الصباح أخذت معي قربة ماء ورجعت إلى ذلك الجريح، ووجدت أن الثعالب قد اقتربت منه ووصلت إلى قدميه ولكن الله قد أنقذه. أعطيته الماء ليشرب ففتح عينيه وبدا وجهه بحالة جيدة.

وتركت قربة الماء بجانبه وذهبت إلى الهلالية[2]، حيث يوجد أحد أصدقائه ويدعى منيف، فأخبرته بما جرى فقال: خذ هذا البعير أو الحمارة.

ولم يكن بخيلاً معي، فأخذت الحمارة. وعندما حل الليل ركبت وذهبت إلى رفيقي، ووصلت إليه في منتصف الليل تقريباً، وذهبنا إلى الدريبي، أمير الهلالية. وبقيت طوال اليوم عنده، من أجل أن أقوم بمعالجة جرحه ووضع الرمل الحار عليه. وفي اليوم الثامن شفي ذلك الجريح تماماً وذهبنا إلى أهلنا وكان ينبغي على الجريح أن يعطى جمله إلى الدريبي.

وبعد أربعة شهور سافرت غرباً مع البسام وذهبنا إلى القرب من جبل قيثان وذهبنا إلى غدير ماء المحلاني، في جهة الشرق. كما ذهبنا إلى مكان، يسمى سبعان بالقرب من حائل، ومن هناك ذهبنا إلى غدير

---

(١) البكرية: إحدى بلدان منطقة القصيم المشهورة.

(٢) الهلالية: هي إحدى بلدان القصيم الغربية المشهورة في القديم سميت نسبة إلى بني هلال لقدم عمارتها وتوجد بها بئر تسمى الهلالية، انظر بلاد القصيم، مصدر سابق، ٦/ ٢٥٦١.

التعين وغدير الحيانية ثم ذهبنا إلى الجوف قرب جبل العمود أي عمود الحماد. ومن هناك ذهبنا غرباً إلى قراد زير وحصلنا على الماء من مكان يسمى قريات الملح. ثم ذهبنا إلى بركة في وادي سرحان، ووصلنا إلى مكان يسمى الأزرق. ثم توجهنا نحو جهة اليمين، حتى وصلنا إلى نقرة الشام. وهناك حضر إلينا السيد محمد البسام[1] وباع لي قطيع الإبل في دمشق. وبقيت لمدة شهرين تقريباً كسائس للخيول. ثم أركبوني على ظهر جمل وقام محمد البسام بفرز الجيّد من السيئ، وذهبنا بالسيئ منها جهة الغرب، حيث قام محمد العلي ببيعها في مصر. وأعادني أنا والرعاة على ظهر أربعة جمال إلى دمشق وسرنا مدة ثلاثة عشر يوماً حتى وصلنا إلى دمشق. وأمضيت في دمشق بضع ليال.

ثم أرسلني سيدي[2] مع الجمال. فسرنا جهة الغرب حتى وصلنا إلى مصر، وسلمنا تلك الجمال إلى محمد العلي، الذي قام ببيعها ثم عدنا مجدداً إلى دمشق. وسافرت مرة أخرى مع الجمال غرباً من أجل سيدي محمد العبد الله البسام كفارس مع مجموعة من الجمال الكبيرة في السن. وتم بيع تلك الجمال. وجعلني محمد العلي قيماً على رعي الأغنام، وبقيت مع تلك الأغنام لمدة شهر، ثم تم بيع الأغنام وبعد ذلك ذهبت إلى أبي نصر الله مربي الجمال، من أجل رعاية وركوب جمال السباق. وبقيت عنده لمدة نصف شهر، ثم أتيت إلى المطرية. وبقيت هناك ليلة كاملة، وأرسلني فوزان مع جمل إلى خالد الطحاوي[3]. وبقيت هناك لمدة نصف شهر، ثم رجعت إلى الدكتور هيس الذي كان يريد تعلم لغة البدو[4].

وقال هيس عن عادات وتقاليد البدو وكيفية الوصول إلى المشيخة أو الزعامة ما ترجمته: «**هناك صنفان من الشيوخ بين البدو فمنهم من يرث**

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن عبدالرحمن البسام، توفي سنة ١٣٥٤هـ تقريباً.

(٢) سيدي: لعلها من إضافة هس.

(٣) خالد الطحاوي هذا لعله من الطحاوية المشهورين في الشرقية بمصر بتربية الخيل واقتناء المرابط المشهورة منها.

(٤) المصدر السابق، ص ٣٢ ـ ٤٧.

المشيخة عن أبيه وتسمى مشيخة موروثة، ومنهم من يكتسبها بنفسه وهذه مشيخة ومكانة مكتسبة. ويكون صاحب هذا المنصب رجلاً شجاعاً استطاع القيام بأعمال بطولية في الصحراء مثل الغزو والسطو وعندما يرى البدو أنه استطاع أن يقتل الأعداء ويأسر الرجال ويكتسب الغنائم يتبعونه ويصبح شيخاً عليهم. وبعد قيام هذا الرجل بأعمال بطولية في غزوة كبرى يتبع ذلك مجموعة غزوات منتظمة حيث يساعده أتباعه من البدو ويستخدمون الجمال والبنادق ولابد من أن يظهر الشيخ أو الزعيم براعة وقوة فائقة في أثناء الغزو وبعد الغزو يتم توزيع الغنائم بعد أن تتم مبايعة الشيخ على المشيخة. وهنا لا يحصل الشيخ أي شيء من الغنائم وإنما يتركها جميعها لأتباعه على أن يقوم في صباح اليوم التالي بعملية غزو جديدة تكون كافة غنائمها من نصيبه هو فقط. ومن عادة البدو أنهم يرسلون من يستطلع أو يستكشف المكان أو الجماعة المراد غزوها مسبقاً ومن ثم تتم عملية الغزو في الصباح الباكر. وبعد تمام عملية الغزو يشهد البدو على زعيمهم بأنه يستحق شرف المشيخة. وعندما يكون الشيخ كريماً وغالباً ما يكون كذلك يكون لديه الكثير من الأتباع، وعندما يموت الشيخ ويكون لديه أولاد فإن من حق الأولاد أن يرثوا المشيخة عن أبيهم لأنها تدخل في الميراث»(١).

وقال هيس عن قوانين البدو: «عندما يأتي أحد الغرباء من قبيلة غريبة ويقيم في قبيلة عتيبة وليكن مثلاً رجل من قبيلة قحطان، أولاً عندما يصل يكون له حق الجوار والحماية طوال مدة إقامته لدى القبيلة المضيفة. وحتى عندما يرغب هذا الشخص بالمغادرة والرحيل إلى قبيلة أو معسكر آخر ويصل إلى المعسكر أو القبيلة الأخرى فإن من عادات البدو أن تمنح لهذا الرجل الغريب حق الإقامة وكأنه واحد من أفراد القبيلة والمعسكر المخيم وكأنه ينتمي إليهم. ويتمتع بحق الجوار والحماية وأحياناً تقدم له خيمة مجاناً. وإذا حصل أن أحداً من أفراد قبيلة عتيبة أو القبيلة المضيفة سرق منه شيئاً أو اعتدى عليه، فإن جار

(١) المصدر السابق، ص ٢٤.

هذا الرجل يقوم بتعويضه عن كل ما سرق منه من حيوانات جمالاً او اغناماً او غيرها. وغالباً ما تكون قيمة ما تم التعويض به اكثر او تفوق قيمة ما تمت سرقته.

وفي حال قام السارق بسرقة جمل من الرجل الغريب او الضيف ثم قام السارق ببيع هذا الجمل عندها يكون من حق الرجل الذي يتولى حماية الضيف ان ياخذ جملين عوضاً عن ذلك الجمل الذي تمت سرقته وبيعه. وعندما يسرق من الضيف نعجة ويقوم من سرقها بذبحها عندها كذلك يتم التعويض عن هذه النعجة بنعجتين ايضاً وإذا ما تم العثور على النعجة في اثناء طبخها تتم مصادرة اللحم المطبوخ وكافة ادوات الطبخ ومن الطبيعي أن الضيف في هذه الحالة يقدر جهود مضيفه او الرجل الذي يتولى حمايته ويشكره على الملا»[1].

وقال هيس عن قوانين طلب الحماية واللجوء عند البدو وفيها ما له صلة بقبيلة عتيبة: «إذا قدر الله وحدث أن قتل احد البدو شخصاً آخر في نجد على سبيل المثال عندها يقوم صاحب الثار بملاحقة ذلك المجرم في أي مكان. وبالتالي يفر المجرم من تلك المنطقة ويبحث له عن مكان آخر يختبئ فيه وغالباً ما يكون ذلك لدى عشيرة أو قبيلة اخرى. وبعد إقامته في ذلك المكان يخبر جاره بما حدث ثم يطلب منه حمايته. وعندها يكون من واجب ذلك الرجل التوجه مع عدد من أقاربه إلى أهل وأقارب الشخص المقتول ويقولون لهم: اسمعوا يا ذوي عطية نحن نحذركم من أن تمسوا فلاناً [القاتل] باي أذى بحق وشرف ابن حجنة وهو أحد شيوخ قبيلة عتيبة والله على ما نقول شهيد[2]. ولا يبقى أحد من أقارب المغدور لا يعلم بذلك. ومن حين لآخر يفر اثنان أو ثلاثة من أقارب الشخص المقتول ويغادرون ذلك المكان عن قصد ويلجؤون أو يختبئون لدى أصدقاء لهم أو في مكان من أجل أن لا يكون لديهم علم بما حدث من أمر

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٥.

(٢) ذوو عطية وذوو ثبيت هما فرعان من عتيبة روقة، وابن حجنة هو شيخ فرع النفعة من عتيبة برقا والذي يطلب ذوو ثبيت الحماية لديه. [هس].

الحماية أو الشفاعة ثم يبدؤون بملاحقة القاتل من أجل الانتقام منه ليلاً أو نهاراً ويتوجهون إلى المراعي الخارجية أو البعيدة التي ترعى فيها جماعة القاتل أغنامها ويقومون بقتل أحد الرعاة في الليل وعندما يأتي من لديه علم حول الشخص المطلوب وهو القاتل ويعلمون منه أين هو موجود يتوجهون مباشرة إلى ذلك المكان من أجل قتله وغالباً ما يكون ذلك ليلاً حيث يقصدون أن يصلوا إليه وهو نائم في خيمته. ويبقى اثنان خارج الخيمة ويدخل أشجعهم إلى داخل الخيمة. وعندما يصل وبيده الخنجر إلى جانب القاتل وهو نائم يضع الخنجر فوق صدر القاتل ثم يوقظه ويقول له أريد أن أثأر أو أريد ثأر فلان ثم يطعنه بخنجر ويخرج من تلك الخيمة ويعود إلى أصدقائه ويغادرون جميعاً ذلك المكان بأسرع وقت ممكن ثم يلجؤون إلى أحد الرجال ويطلبون منه أن يأخذهم إلى القاضي وهناك يخبرون القاضي بما حدث وينتهي الأمر على أنه رجل برجل. وأحياناً عندما يعلم الرجل الذي قبل حماية القاتل أن هناك من هو غير موجود أو يختبئ في مكان ما يذهب ذلك الرجل إلى مكان مرتفع ويصيح بأعلى صوته لتحذير الذي تم ذكره ـ وعندما يكونون في مكان قريب يسمعون ذلك التحذير ـ حتى ولو لم يكن هناك أحد ـ يذهبون إلى البدو ويقولون لقد سمعنا ذلك التحذير وكذلك عندما يلتقون أحد المسافرين ويخبرهم أن القاتل قد حصل على حماية وشفاعة فلان، عندها يكفي ذلك ولا يقدم هؤلاء على قتل أحد»[1].

وقال هيس عن الشيخ والقبيلة: «البدو أناس أحرار ولهم الحق التام في أن يقولوا كلمتهم ويعترفوا بزعيمهم. وكل قبيلة وكل عشيرة لا بد أن يكون لها قائد أو شيخ كأن يقال شيخ عتيبة وهذا الشيخ لا يحكم بالقوة أو وسائل أخرى وإنما يستعمل شجاعته ونفوذه ومهاراته الشخصية الفذة والبارزة. فهو شيخ ويتبعه الآخرون لأنه يعد أبرع رجل في القبيلة ويطيع جميع أفراد القبيلة أوامره ويثقون به وبآرائه الصائبة.ومن بين صلاحيات هذا الشيخ أن يعلن الحرب على قبيلة معادية وأن يقود

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٦.

المفاوضات من أجل الحرب أو السلام وكذلك من بين مهامه اختيار المكان الذي ستقيم فيه القبيلة إضافة إلى العديد من الصلاحيات الأخرى. والشيخ في الواقع لا يصدر أوامر وإنما يقدم المشورة والنصيحة. فهو يقترح على سبيل المثال تغيير مكان الإقامة ثم يقوم بفك أو إزالة خيمته ويحذو الآخرون حذوه، ويمكنهم أيضاً أن لا يلتزموا بذلك إن أرادو أو إذا رأوا أن رأيه غير مصيب. وفي الواقع لا يستطيع الشيخ أن يعلن الحرب أو السلام من نفسه وإنما يتوجب عليه مشاورة وجهاء قبيلته. ويسمى هذا الإجراء بينه وبين بقية الوجهاء المشورة.

ويمكن أن تنتقل المشيخة من رجل إلى آخر بالوراثة ويمكن أن تكتسب اكتساباً وهنا لا بد من توافر صفات بطولية متميزة تجعل الآخرين يتبعونه ليصبح شيخاً عليهم وغالباً ما يكتسب الشيخ هذه الصفات من خلال قيامه بغزوات وأعمال بطولية ويظهر الحكمة والحنكة إلى جانب الكرم، وعند ذلك يقدم الاتباع ولاءهم لهذا الشيخ ويسمى شيخاً عليهم كما هو الحال في قبيلة عتيبة. وكذلك الحال بالنسبة لابن سعود الذي أصبح زعيماً على الوهابيين بينما كان ابن الرشيد أميراً على سكان حائل. كما كان ابن سعود يسمى إماماً أحياناً وهي بمعنى شيخ.

وإلى جانب منصب الشيخ هناك منصب القاضي، والقاضي هو الشخص المسؤول عن القوانين والعدل في القبيلة ومن صلاحياته أن يفرض العقوبات والغرامات على من تثبت إدانته وفق القوانين والأعراف المتبعة، وكذلك يعد منصب القاضي من المناصب التي تنتقل بالوراثة ويمكن أن يكتسب هذا المنصب في حال أظهر الرجل صفات مميزة من الخبرة والحكمة في إصدار الأحكام دون التمييز بين أفراد القبيلة»(١).

---

(١) المصدر السابق، ص ٨٨.

(٢٣)

قبائل البدو
في شمال وأواسط
شبه الجزيرة العربية والعراق

تأليف

ماكس فراهير فون أوبنهايم

قبائل البدو في شمال
وأواسط شبه الجزيرة العربية والعراق

قال أوبنهايم[1] عن عتيبة: «**العتبان هم أكبر قبائل البدو في شبه**

---

(1) هو ماكس فراهير فون أوبنهايم ولد في ١٥ تموز عام ١٨٦٠م في مدينة كولون بألمانيا. وهو الابن الثاني (البربت وببولا أو بنهايم. وقد أكمل دراسته الجامعية، حيث درس القانون في جامعة ستراسبورغ strasbourg عام ١٨٧٩م التي كانت جزءاً من ألمانيا في ذلك الوقت. بدأ أوبنهايم دراسة اللغة العربية في السنين الأولى من حياته على يد مدرسين خاصين. ففي عام ١٨٨٣/ ١٨٨٤م قام برحلة استكشافية إلى الشرق: تركيا ومصر. وفي عام ١٨٨٦م قام برحلة إلى المغرب وفي عام ١٨٩٢/ ١٨٩٣م : قام برحلة استشراقية كبيرة من دمشق، وعبر الصحراء السورية، منحدراً إلى نهر الفرات وإلى البصرة. وفي عام ١٩٢٢م قام بتأسيس مركز الدراسات الاستشراقية في برلين كمؤسسة دراسية حوارية منضبطة، وقد قام بعدة رحلات إلى إسطنبول وإلى تل حلف وسوريا والولايات المتحدة الأمريكية. له عدة مؤلفات منها:

١ ـ تقرير عن رحلته عبر البادية السورية. برلين ١٨٩٤م.

٢ ـ رحلة عبر البادية السورية وبلاد ما بين النهرين إلى الموصل وبغداد في عام ١٨٩٣م باللغة الإنجليزية.

٣ ـ مشروع شركة زراعية في هانداي. وغيرها من المؤلفات التي منها هذا الكتاب المسمى(البدو) الذي ذكر في مقدمته أنه حصيلة أربعين عاماً من العمل والملاحظات والتسجيلات الشخصية ونحن هنا نقلنا عنه فقط ما كتبة عن قبيلة عتيبة . نقلت ترجمة أوبنهايم من كتابه المطبوع في أربعة أجزاء، الذي نشرته شركة دار الوراق للنشر المحدودة، المملكة المتحدة ـ لندن ١/ ٣٦ وما بعدها باختصار.

الجزيرة العربية[1]. كلمة عتيبة جمع ومفردها عتيبي. وتمتد المنطقة التي يعيشون فيها من الطائف إلى القصيم والحرات الجنوبية إلى سفوح جبل طويق وتشتمل هذه المنطقة على أفضل السهول الرعوية[2].

ويقع الموطن الأصلي لقبيلة عتيبة بين جبال الطائف، وتختلف أصول الفرعين الرئيسيين المؤلفين لقبيلة عتيبة وهما الروقة وبرقا، وتنحدر برقا من سفيان من ثقيف الجنوبية التي كانت تسكن جنوب الطائف[3]. وهذا القول بعيد جداً، وقد ذكرت عتيبة ضمن تاريخ أو التسلسل الزمني لتاريخ مكة لأول مرة في عام ١٥٠٠[4]، وقد انحصر امتداد عتيبة نحو الغرب فقط. ففي القرن الثامن عشر عاشت عتيبة في مرتفعات وادي فاطمة وفي الحرات الواقعة شمال تلك المنطقة: حرة الروقة وطرعة وكشب. وكان لعتيبة دور فاعلٌ في الحروب الأولى للوهابية. وفي عام ١٨١٨ كان أكثر من ثلثي أتباع عتيبة لا يزالون في الحجاز ثم اختاروا طواعية أن يتوسعوا إلى الحدود التي ذكرت سابقاً وذلك في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي. ونظراً لما تمثل قبيلة عتيبة في الحجاز تمسك الأشراف في حقهم في أن تدفع عتيبة الزكاة

---

(١) تتفق بعض المصادر أن قبيلة عنزة هي أكبر قبائل العرب.

(٢) مادة عتيبة في كتاب أوبنهايم كلفت من يعربها وبعد الانتهاء من هذا الكتاب، خرجت ترجمة محمود كبيبو في أربعة أجزاء والناشر دار الوراق للنشر المحدودة المملكة المتحدة ـ لندن، وقد رأيت اختلافاً بين هذه الترجمة وتلك، إلا أنني هنا صححت الأسماء، والأعلام الوارد ذكرهم في كلام أوبنهايم كما علقت على بعض الأخطاء التي وقع فيها.

(٣) غير صحيح قوله أن أصول الفرعين برقا والروقة تختلف فالجميع من بني سعد من عتيبة، كذلك لا يصح قوله إن برقا تنحدر من بني سفيان من ثقيف وما دليله على ذلك فقبائل برقا وذلك الروقة معروفة أصولها وجدودها في قبيلة عتيبة، وقد كتب أوبنهايم في الحواشي نقلاً عن (هس) أن هناك من يقول في مكة إن الروقة من عامر بن صعصعة، ٢/٥٦٣ ـ ٥٩٦. ويعلّق أوبنهايم على هذا القول بقوله: وهذا القول بعيداً جداً. قلت: كما أسلفت الروقة من بني سعد من عتيبة.

(٤) يقترب أوبنهايم من التاريخ الصحيح، فأول ذكر لعتيبة بهذا المسمى هو سنة ٧٥٤هـ. انظر إهداء اللطائف، تأليف حسن العجيمي ص ٧٢.

إليهم وقد أجبر حكام أواسط شبه الجزيرة العربية مرتين على الاعتراف بذلك الحق للأشراف. ويعلم القارئ الآن الإطار العام الذي حدثت خلاله الأحداث التالية: قام الوهابيون بمهاجمة عتيبة لأول مرة عام ١٧٩٥[(١)]. فقد فاجاهم سعود ولي العهد في هجوم مباغت في الحرات وسلبهم ٢٠٠٠ ألفي جمل وعشرة آلاف رأس من الماشية. وفي العام الثاني شارك الشيخ أبو محيور في حملة عسكرية كان من المفترض أن تتوجه من مكة إلى أواسط شبه الجزيرة العربية، إلا أن الوهابيين أوقفوا هذه الحملة عند آبار الجمانية وبعد اليوم الثاني من القتال بين الطرفين خسرت حملة ابن محيور جميع عتادها وتفرق شملها إثر تلك الهزيمة على يد الوهابيين وقد قتل ابن محيور[(٢)] في تلك المعركة واستمر الوهابيون بتحقيق انتصاراتهم، وفي عام ١٧٦٨[(٣)] أرسلت القبائل المكية شيخ عتيبة حمود بن ربيعان إلى الحاكم الوهابي ومن أجل ذلك طلب قبول بيعتهم إلى الوهابيين، وتمت الموافقة على طلبهم تحت شروط قاسية[(٤)] وبعد ذلك شاركت عتيبة في حملات الوهابيين التي جرت في عامي ١٨٠٢ و١٨٠٣ إلى الطائف ومكة وذلك تحت لواء الوهابيين[(٥)].

---

(١) يشير إلى هجوم.

(٢) هذه الوقعة تعرف بوقعة الجمانية سنة ١٢١٠هـ، والشيخ ابن محيور وردت له إشارة سنة ١٢٠٥هـ عندما عرض بالروقة على الشريف غالب بن مساعد، وهو تابع لشريف مكة، انظر : تاريخ ابن عبد الشكور، حوادث السنة المذكورة، وعنوان المجد، لابن بشر، تقديم عبد الله المنيف، مكتبة الملك عبد العزيز ص ١٤١.

(٣) هذا التاريخ يوافق سنة ١١٨٢ هـ؟! وهذا غير صحيح فهذا الخبر حدث سنة ١٢١٢ هـ لذا فلا يعتمد على هذا التاريخ الميلادي الذي وضعه أوبنهايم.

(٤) ذكر المؤرِّخ ابن غنام المتوفى سنة ١٢٢٥ هـ والمعاصر لتلك الأحداث ما نصه: وأرسل كثير ممَّن حول مكة من الأعراب، ومعظمهم من قبائل العتبان، إلى عبد العزيز يطلبون منه الأمان والدخول في الإسلام، وجعلوا محمود بن ربيعان رسولهم وسفيرهم بذلك إلى عبد العزيز، فأجابهم عبد العزيز إلى ما طلبوا، وجعل على كل بيت عدة دراهم عقوبة ونكالاً . انظر: تاريخ نجد، لابن غنام، ص ٢٠٢.

(٥) لم تشارك عتيبة كلها كما يفهم من كلام أوبنهايم حيث كان مع الشريف غالب آنذاك قبائل من عتيبة.

وعندما حضر حاكم مصر محمد علي باشا إلى الحجاز في عام ١٨١٣، واعتقل الوهابيون الشريف غالب بدأت معاداة الأتراك لقبيلة عتيبة، إلا أن ذلك تغير فيما بعد، وفي اغسطس من عام ١٨١٤ انشق فصيل من قبيلة عتيبة طمعاً بالفوز بعطاءات وإغراءات الباشا بينما انضم فصيل آخر من عتيبة إلى الوهابيين مجدداً وقاتل إلى جانبهم في شهر يناير من العام التالي في معركة قرب «بسل» ويبدو أن هذا الشقاق قد تكرر عندما شن إبراهيم ابن الباشا حملته في عام ١٨١٦م على أواسط شبه الجزيرة العربية، وبعد غزو الدرعية في عام ١٨١٨م، انفصلت عتيبة عن آل سعود. وأصبحت عتيبة الموجودة في الحجاز تتبع للشريف الأكبر وأصبحت عتيبة الموجودة في نجد مستقلة. وفي عام ١٨٤٦م قام الشريف الكبير محمد بن عون بحملة على القصيم أجبر من خلالها فيصل آل سعود على التخلي عن السيادة على عتيبة، ومنذ منتصف القرن التاسع عشر بدأت عتيبة تشكل خوفاً وقوة رادعة يحسب حسابها في الشمال ووصل نفوذهم إلى القصيم، وبقيت عتيبة قوة لا تقهر حتى نهاية عام ١٨٧٠م وقد شارك عتيبة في حروب الأشقاء بين أبناء فيصل من عام ١٨٦٥م حتى عام ١٨٧٤م وقد كانت مشاركتهم في تلك الحروب حلفاء لا أتباع، وكانوا يساندون أو يقاتلون إلى جانب ولي العهد الشرعي عبد الله ولذلك يعود الفضل إليهم بتوليه العرش، وقد قتل سعود شقيق عبد الله في تلك المعارك في عام ١٨٧٤م متأثراً بجروحه في إحدى غزواته ضد عتيبة[١].

ومنذ ظهور ابن رشيد في عام ١٨٧٠م، اتخذت عتيبة موقفاً معادياً له. وراحت عتيبة تشن الغارات على قبيلتي هتيم وحرب اللتين تتبعان لحائل، إلا أن محمد بن رشيد قام بإخضاع فصيل عتيبة شمالي الروقة في بداية عام ١٨٨٠م، وقد أجبروا في جنوب شقراء على دفع الزكاة وفي بداية حكمه اعتبر عبد العزيز بن سعود عتيبة قبيلة معادية وبدأت

---

(١) يشير إلى وقعة طلال الثانية سنة ١٢٩٠هـ بين الروقة بزعامة الشيخ مسلط بن ربيعان، والإمام سعود الفيصل، وقد ذكر خبر هذه الوقعة كثير من المؤرخين منهم المؤرخ ابن عيسى ومقبل الذكير الذي أورد تفاصيل الوقعة وأسبابها، وقد تقدم ذلك.

علاقاته تتغير وحدث أن تقارب مع عتيبة عندما توغل عبدالعزيز إلى القصيم في عام ١٩٠٤م حيث قدمت عتيبة المساعدة لابن سعود في معركته ضد ابن رشيد، ثم حدث جفاء أو مجافاة بين الطرفين في السنوات التالية، وفي عام ١٩١٠م قام الشريف الأكبر حسين بحملة إلى نجد بدأها ب «الصفاية» الواقعة على الطريق إلى الرياض، ثم وصل إلى «الشعرا» وحدود الوشم، وفي الصفاية سقط بيده سعد شقيق عبدالعزيز ابن سعود[١] حيث كان ابن سعود موجوداً في منطقة برقا يلاحق المتمردين ضد «العرايف» وكان عبدالعزيز قد سبق ووقع اتفاق سلام مع ابن رشيد ولم يتمكن من شن أية حرب في ذلك الوقت. وقد اعترف ابن سعود بتبعية عتيبة للشريف حسين، ومنذ ذلك الوقت بدأ سخط عبدالعزيز بن سعود على عتيبة رغم الجهود الحثيثة لشيخ برقا محمد ابن هندي بن حميد لتحقيق السلام مع ابن سعود.

وفي خلال الحرب العالمية نجح آل سعود بضم عتيبة إلى تحالف الإخوان، واستقرت عتيبة في الأرطاوية وتحديداً في الغطغط في منطقة طويق[٢]. ثم ما لبث أن نشب خلاف بين عتيبة والسكان الأصليين لتلك المنطقة، وسرعان ما تم التغلب على هذا الخلاف وتجاوزه وتمت المصالحة فيما بينهما، وفي نهاية ١٩١٧م هاجمت عتيبة الغطغط وسقط في ذلك الهجوم أحد الشيوخ الكبار وعندها توجه أحد أقارب ذلك الشيخ إلى الشريف الأكبر أو الملك حسين للمطالبة بدية ذلك الشيخ، إلا أن الشريف حسين لم يستطع أن يحصل له على ما يريد، وهاجمت عتيبة الغطغط مجدداً وسلبتهم بعض الجمال، ثم بدأت عتيبة تتوجه نحو آل سعود. ويشير هذا القرار إلى وجود عداء سابق بينهما، وقد خسرت

(١) لعب الشيخ محمد بن هندي بن حميد، دوراً بارزاً في فك أسر الأمير سعد بن عبد الرحمن، وقد ذكر ذلك كثير من المؤرِّخين، انظر تاريخ الكويت السياسي، ٣/ ٣٧، والنجم اللامع ص ١٦٧؛ ومذكراتي، لعبد الله بن الحسين، ص ٤٩.

(٢) الغطغط ليست في حدود الأرطاوية، فالأولى هجرة سلطان بن بجاد والثانية لفيصل الدويش ولكل منهما استقلال من الأخرى.

عتيبة في هزيمتها على يد آل سعود نحو ١٠٨٠٠دولار إضافة إلى ٢٧ قتيلاً، وبدأت برقا تدفع الزكاة إلى الرياض إثر تلك الهزيمة، وفي عام ١٩١٨م وفي أثناء هجوم القوات الشريفية على الخرمة، حاول الشريف شاكر في مرعان جميع الزكاة من عتيبة التي كانت تدفع مسبقاً إلى آل سعود. وقد انضم أقارب شيخ الغطغط إلى جانب قوات الأشراف في الخرمة. ومنذ ذلك الوقت بدأت عتيبة تنتمي إلى المؤيدين المتحمسين لحركة الإخوان. وقد انتصروا قرب تربة في عام ١٩١٩م وقاموا بغزو الطائف في عام ١٩٢٤م. وقد اشتركت عتيبة مع حرب في الغزو الذي بدأ في عام ١٩٢٢م من «نفي» من أواسط نجد جنوب عمان على بعد ١٦ كليومتراً منها، كما شاركت عتيبة في المعارك على الحدود مع العراق وقد انطلقوا إلى تلك المعارك من مقرهم في الأرطاوية[1].

وشكل العتبان مع مطير الذين كانوا يحملون لواء المعارضة السياسية الدينية جميعهم معارضة للملك في صراعه مع العراق، وعندما تم عزل شيخ برقا وأمير الغطغط سلطان بن بجاد بعد مؤتمر الرياض الذي عقد في شهر أكتوبر عام ١٩٢٨م وقف جزء كبير من أبناء القبيلة إلى جانبه وشاركت فروع قوية من قبيلة عتيبة في معركة «السبلة» التي جرت في أبريل من عام ١٩٢٩م وزاد اعتقال سلطان بن بجاد من حالة الاضطرابات. وكان الوضع خطيراً إلى حد كبير، مما دعا الملك في أثناء وجوده في مكة في شهر يونيو من عام ١٩٢٩م إلى شن هجوم مكثف ضد قبيلة عتيبة . إلا أنه سمح لهم في أثناء عودته بتجميع صفوفهم، واستدعى شيخ برقا إلى الدوادمي. وهناك أعلن الملك عفوه عن مشاركة عتيبة في معركة السبلة وذلك تحت شروط محددة أهمها أن تقف عتيبة إلى جانبه في مواجهة الحركات المتمردة في المنطقة الشرقية، وبعد مفاوضات مطولة سمح الملك لقبيلة عتيبة بحرية الحركة، وعفا عن الزعيم الذي حاول القيام بحركة تمرد بعد معركة السبلة. وشكرت عتيبة الملك على تلك المكرمة والشجاعة وفي أغسطس أو سبتمبر من ذلك العام

---

(١) الصواب: من الغطغط أكبر هجر عتية.

ظهرت حركة تمرد جديدة لجماعات صغيرة بزعامة فيصل الدويش، إلا أنه تم إخماد وقمع هذه الحركة مع وصول قوات الحكومة مدعومة بقبيلة حرب والروقة وبعض المخلصين من برقا. عندها كان لا بد للملك من بسط سيطرته بقوة حيث ظهرت حركات تمرد في الشرقية. لذلك دعا الملك في بداية شهر أكتوبر إلى اجتماع في الشعراء حضره عدد من شيوخ الروقة وبرقا. وتم خلال ذلك الاجتماع الاتفاق على مواجهة تلك الحركات في الشرقية[1]. بالفعل قامت أو شاركت قوات تلك القبائل بقيادة الملك عبدالعزيز بقمع الحركات المتمردة في الشرقية.

ويذكر أن منطقة عتيبة في الحجاز تمتد من حرة بني عبد الله حتى تخوم الطائف، أما غرباً فتصل حتى طريق الحج الشرقي الواصل بين مكة والمدينة، وفي نجد تمتد منطقة عتيبة من المنطقة المجاورة لمطير (بني عبد الله) إلى الشمال الشرقي حتى عريق الدسم وتمتد لتصل إلى الجهة الغربية لهذه السلسلة الجبلية ومنها إلى الحدود الجنوبية لقبيلة حرب، وفي السر تتعايش قبيلتا حرب وعتيبة. وتمتد الحدود الجنوبية لعتيبة لتصل من الطائف إلى الطريق المؤدية إلى الرياض، إلا أن هذه المنطقة تشتمل على سهول «ركبة» ومن الجهة الثانية لركبة تلتف لتصل إلى شمال وتنتهي عند منطقة البقوم وسبيع، كما وصلوا إلى طريق الحج قرب وادي نعيم ومن خلاله وصلوا إلى منطقة حرض في الجنوب. أما شرقاً فقد وصلوا إلى نفوذ «دلاقان» وتمتد حدودهم إلى منطقة أو سلسلة طويق عبر أواسط شبه الجزيرة العربية وتصل شمالاً إلى وادي الرمة في السر، ومن الطبيعي أن عتيبة كانت تنصب خيامها وترعى خارج هذه الأقاليم أيضاً. وقد وجد جون فيلبي نفسه قطعان عتيبة في سهول العرمة، وقد أصبح توزيع كلا فرعي عتيبة برقا والروقة معروفاً وإن كان تقريباً. إذ تمتد أو تتسع منطقة الروقة من الطائف باتجاه الشمال الشرقي حتى القصيم. كما تتسع مساحة فرع برقا ليصل من الركبة إلى السر. وتعد السهول الرعوية لعتيبة من أفضل السهول الرعوية في شبه

---

(١) أشار إلى هذا عبد الله الزامل في كتابه أصدق البنود في عهد عبد العزيز آل سعود.

الجزيرة العربية لأنها تتأثر بالموسم الهندي للأمطار مونسون ولذلك تعد عتيبة من أغنى القبائل بالجمال والخيول نظراً لوفرة الكلأ والعشب في مناطقها. وعلى العكس من ذلك ينبغي عليهم أن يقللوا من تربية الماشية في منطقة الحرات. ويمارس عتبان نجد الزراعة ويعيشون أو يتجمعون في قرى عريد وسدير والزلفي. وفي القصيم يسكنون في قرى قصر العقيل وعين ابن فهيد وقرى أخرى[1]، ويوجد عتبان أيضاً في بقعا شرق جبل شمر. كما سكنوا «عداخ» في سوريت نجر بشكل جزئي. وكان هناك عداء بين العتبان وبين جيرانهم في الشمال قبيلة حرب. وكذلك الحال مع جيرانهم في الجنوب قبيلة قحطان، وعلى العكس كانت تربطهم علاقات صداقة جيدة مع مطير، ومن هنا توحدت القبيلتان ودخلتا في حركة الإخوان بشكل فاعل ومؤثر.

وقد أثبتت أسرة مشيخة الروقة، ابن ربيعان، جدارتها منذ القرن الثامن عشر. وقد توسط حمود بن ربيعان في مفاوضات السلام التي جرت في عام ١٧٩٨م، ولا تتوافر معلومات حول ذلك التوسط، واستطاع سلطان بن ربيعان تحرير أبناء قبيلة عتيبة الذين كان عبد الله آل سعود يحاصرهم في عام ١٨٦٤م. وانتصر مسلط بن ربيعان على سعود بن فيصل آل سعود في عام ١٨٧٣م. وفي التسعينيات من القرن التاسع عشر حكم محمد بن ربيعان[2].

وحكم دحيم بن مصلح[3] في عام ١٩١٥م وحكم عبد الرحمن في

---

(١) قصر العقيل: المقصود به هنا قصر ابن عقيّل، وهو قرب مدينة الرس من أرض القصيم، وغير صحيح أنها لعتيبة، لأن عتيبة قبيلة بدوية نزلت إلى نجد واستقرت فيها في وقت متأخر، وأول هجرها الغطغط التي بنيت حدود سنة ١٣٣٠هـ.

(٢) محمد بن ربيعان شاخ بعد وفاة والده سنة ١٢١٧هـ، وتوفي حدود سنة ١٢٤٦هـ، وشاخ بعده حسب النصوص التاريخية، سلطان بن محمد بن ربيعان، بعده مسلط ابن محمد بن ربيعان (ت١٣١١هـ)، ثم تركي بن سلطان بن ربيعان (ت١٣١٩هـ تقريباً)، ثم عبد الرحمن بن تركي بن ربيعان، ثم عمر بن ربيعان.

(٣) لا أعرف دحيم بن مصلح؟! ولعلَّ المقصود عبد الرحمن وأول ذكر رأيته للرباعين هو سنة ١٢٠٥هـ عندما ذكر المؤرِّخ ابن عبد الشكور حمود بن ربيعان يعرض على=

عام ١٩٢٥م وحكم ابنه عمر بن ربيعان في عام ١٩٢٦م.

وقد ذاع صيت شيوخ برقا «ابن حميد» او اولاد حميد واشتهروا في وقت مبكر. وكان أولهم تركي بن حميد في عام ١٨٩٤م[1]، وحكم محمد ابن هندي برقا حتى الحرب العالمية وكان خليفته سلطان بن بجاد وسلطان بن حميد وكان لهما مصير مشابه لمصير صهرهما فيصل الدويش شيخ مطير. وبصفته اميراً لهجرة الغطغط كان له نصيب حاسم في معركة تربة وفي غزو الطائف. وقد وصل متاخراً إلى المدينة ولم يستطع إنقاذ ساكنيها، فامر بالتوقف فوراً ولذلك لقب بلقب شرف وهو سلطان الدين بسبب موقفه المشرف. وفي عام ١٩٢٨م حدث جفاء بينه وبين آل سعود. وفي شهر مارس من ذلك العام كان سلطان يحظى بثقة الملك. وحينها كلفه الملك عبدالعزيز أن يتوجه إلى الحدود الشمالية لمساندة القوات الوهابية أو إعادتها إلى نجد، حيث كان فيصل الدويش يريد أن ينقض على العراق. إلا أنه على ما يبدو لم يتحمس لتلك المهمة ولذلك لم يشارك في مؤتمر بريدة الذي دعا إليه الملك عبدالعزيز لعرض سياسته أمام الإخوان. وكذلك غاب عن الاجتماع الكبير في الرياض الذي عقد في بداية شهر أكتوبر من عام ١٩٢٨م، وهنا قام الملك بعزله وضمه إلى المعارضة وجماعة فيصل، واستطاع الهروب من معركة السبلة وأنقذ

= الشريف غالب بن مساعد. انظر: تاريخ ابن عبد الشكور، حوادث السنة المذكورة.

(١) هذا غير صحيح، لكن قال بهذا لأنه وجد أول ذكر لهم هو عند غوارماني الذي ذكر الشيخ تركي بن حميد، والصحيح أن أول شيوخ الحمدة هو حمد بن حميد مؤسس مشيختهم حسب المحفوظ من الروايات وبعض المصادر، ولعله الذي ورد ذكره في تاريخ ابن عبدالشكور سنة ١٢١٧هـ عندما أرسله الشريف غالب بن مساعد إلى الإمام عبدالعزيز بن محمد في الدرعية ضمن وفده، بعده صنهات بن حمد بن حميد، ثم هندي بن حمد بن حميد، ثم تركي بن حميد (ت١٢٨٠هـ) ثم سلطان بن هندي بن حميد (ت ١٢٨٥هـ تقريباً) ثم عقاب بن شبنان بن حميد (ت١٣٠١هـ)، ثم محمد بن هندي بن حميد (ت١٣٣٣هـ) ثم سلطان بن بجاد لابن حميد (ت١٣٥٢هـ)، ثم جهجاه بن حميد.

نفسه من الموت المحتم، ثم طلب العفو من الملك عبدالعزيز. وقد منحه الملك بالفعل العفو ولكن وفق شروط وهي أن يخضع للمحاكمة، وتم إلقاء القبض عليه وإحضاره إلى الرياض وسجن فيها. وبعد عزل سلطان أصبح مناحي الهيضل زعيم الدعاجين وسمي الشيخ الأكبر لبرقا. وفي بداية شهر يوليو من عام ١٩٢٩م خسر تلك المشيخة لأنه لم يكن قادراً على منع القبيلة من إعلان الثورة كما حدثت فوضى واضطرابات في القبيلة ولم يستطع قمعها وحل شقيق سلطان جهجاه مكانه[١]..

(١) المصدر السابق، ص ٨٩.

عتيبة[1]

أ ـ الروقة[2]

عمر بن ربيعان

المنطقة:الطائف ـ سرة نجد

عدد الخيام:٢٥٠٠خيمة

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
أولاً: ذوو ثبيت(٣)		السيل= ركبه	
١ ـ ابن ربيعان (٤)			
٢ ـ الحمران (٥)			١٠٠
٣ ـ البراريق (٦)			
ثانياً: طلحة (٧)			
١ ـ الحماميد (٨)	فرج المسيلم		٢٠٠
٢ ـ السمرة (٩)			
٣ ـ الدلابحة (١٠)	شريم بن عصاي		٤٥٠
٤ ـ الحفاة	جعيلان الحافي		
٥ ـ الحناتيش (١١)	ناصر بن محيا(١٢)		٢٥٠
٦ ـ المغايبة (١٣)	ابن رمحة		٢٠٠
٧ ـ السبقان (١٤)			
ثالثاً: المزاحمة (١٥)			
١ ـ المراشدة (١٦)	بجاد أبو خشيم		
٢ ـ العضيان (١٧)			

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
٣ ـ ذوو عطية (١٨)			
أ ـ الحبردية (١٩)	مجاهد الحبردي		١٠٠
ب ـ الخراريص (٢٠)	فاجر بن شليويح (٢١)		
جـ ـ الغنانيم (٢٢)			
د ـ المغايرة (٢٣)			
هـ ـ المهادلة (٢٤)			
و ـ القساسمة (٢٥)[1]			
٤ ـ الغبيات (٢٦)[2]			
٥ ـ الجذعان (٢٧)[3]			
٦ ـ السياحين (٢٨)			
٧ ـ الدماسين (٢٩)[4]			

---

(١) لم يذكر أوبنهايم السلسلة، والفراهدة، والمورقة وهم من ذوي عطية.
(٢) الغبيات شيخهم ابن نجم.
(٣) الجذعان شيخهم ابن زريبة.
(٤) الدماسين شيخهم الشغار.

ب ـ برقا (٣٠)
شيخ المشايخ: جهجاه بن بجاد بن حميد
المنطقة:ركبة ـ نفود دلقان ـ القصيم
عدد الخيام ٣٥٠٠

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
أولاً: النفعة (٣١)	حمود بن درعان[٤]		
١ ـ ذوو زياد(٣٢)	أبو رقبة(٣٣)		
٢ ـ [الحليفات] (٣٤)[١]			
٣ ـ الحلسة (٣٥)			**٧٥٠**
ثانياً: المقطة (٣٦)	جهجاه بن حميد		
١ ـ الروسان (٣٧)[٢]	[عزيز] بن جامع[٥](٣٨)		**٣٥٠**
٢ ـ السودة (٣٩)[٣]			

---

(١) في الأصل: الحذيفات، ولا أعرف فخذاً بهذا الاسم، والأقرب أن المقصود الحليفات وهم من الطفحة من النفعة.

(٢) وقع أوبنهايم هنا في خطأ وهو أنه صنف روسان المراوحة من برقا من المقطة، لأنه خلط بين روسان المقطة، وروسان المراوحة الذين هم إحدى قبائل برقا، بينما روسان المقطة فخذ لا يعادل الروسان جماعة الشيخ ابن جامع في العدد.

(٣) السودة؟ الذي أعرفه بهذا الاسم السوادين فخذ من ذوي مفرج من النفعة وليسوا من المقطة.

(٤) حمود بن درعان من كبار رجالات عتيبة وأشهرهم في وقته، حيث كان فارساً شجاعاً ويمتلك عدداً من أذواد الإبل، والعبيد وغيرها من الممتلكات، وهو كبير فخذ الدراعين من ذوي مفرج من النفعة.

(٥) في الأصل:رزين؟، وهو خطأ حيث لا يوجد شيخ في أسرة الجوامع يعرف بهذا الاسم والأصح عزيز بن جامع، وهو معاصر لفترة تأليف الكتاب، وسنلاحظ أنه سيأتي على ذكره.

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
٣ ـ [الوذانين] (٤٠)[١]			
٤ ـ المناجيم (٤١)[٢]			
ثالثاً: العصمة(٤٢)			
١ ـ العجلة (٤٤)	سلطان أبا العلا (٤٣)		
٢ ـ الشهبة (٤٥)[٣]			
٣ ـ الصبحة (٤٦)[٤]			٢٥٠
رابعاً: الدعاجين (٤٧)	مناحي الهيضل (٤٨)		
١ ـ النخشة (٤٩)[٥]			
٢ ـ الشعبة (٥٠)[؟]			
٣ ـ الحسنة (٥١)[٦]			
٤ ـ الدهسة (٥٢)[٧]			
٥ ـ المناصير (٥٣)[٨]			

(١) في الأصل: الوثالين، والأقرب أن المقصود بهذ الوذانين وهم من الطفحة من النفعة.

(٢) المناجيم ليسوا من المقطة، إنما هم من الثبتة من برقا أهل الحجاز الذين يقيمون في جنوب الطائف.

(٣) الشهبة من الروسان وليسوا من العصمة.

(٤) الصبحة هم من العيلة من النفعة في الحجاز، وليسوا من العصمة.

(٥) النخشة من النفعة وليسوا من الدعاجين.

(٦) لعله يريد الحسينات من العصمة، وهم ليسوا من الدعاجين.

(٧) الدهسة من القثمة وليسوا من الدعاجين.

(٨) المناصير من الثبتة أهل الحجاز، وليسوا من الدعاجين.

القبيلة	الشيخ	منطقة التجوال	عدد الخيام
خامساً: الشيابين (٥٤) سادساً: الدغالبة(٥٦) ١ ـ المراوحة (٥٨)[1] ٢ ـ الكرزان (٥٩)[2] سابعاً: القثمة (٦٠) ثامناً: المفاريج (٦١)[3]	هذال بن فهيد (٥٥) جمل المهري(٥٧)		٧٥٠

ملاحظات حول الجدول[4]

١ ـ يستند الجدول إلى قائمة لِ هس من عام ١٨٩٩م، سلمها لي مشكوراً في عام ١٩٣٨م[5]. لكنها لا تتضمن عائلات الشيوخ فقد أخذت هذه من محمد البسام من ١٩١٥م ومن ابن أخيه من عام ١٩٢٩م. توجد قوائم عتيبة لدى أيوب صبري ج٣، ص٢٨٣، وداوتي، ج٢، ص٤٢٧؛ وسنوك هورخرونيه، مكة ج١، ص١٩٧؛ كتاب الجيب ج١، ص٦٩؛ فؤاد حمزة، ص١٧٩. البيانات بشأن حجم القبيلة تتفاوت كثيراً كالعادة. لدى داوتي، ج٢، ص٤٦٧: ٦٠٠٠ شخص؛ كتاب الجيب: ٥٠٠٠ خيمة. استطلاعاتي الخاصة: ١٢٠٠٠ نسمة وأكثر من ٤٠٠٠ خيمة أي أن

(١) المراوحة هنا المقصود بهم مراوحة الثبتة أهل الحجاز.
(٢) الكرزان هم من المقطة.
(٣) المفاريج أو ذوو مفرج هم من النفعة وليسوا بطناً برأسهم في عتيبة.
(٤) هذه الملاحظات هي هوامش وضعها أوبنهايم على الجدول وعددها ٦١ هامشاً، وقد علقنا على ما هو خطأ فيها وصححناه.
(٥) يشير أوبنهايم إلى أنه استند في معلوماته على هذا الجدول من هس الألماني فلعل هس نقلها عن موهق بن عجاج الغنامي الذي التقى به في مصر، وهس سوف تأتي نصوصه عن عتيبة، ولم أطلع على هذا الجدول في كتاب هس، فلعلها في كتاب آخر له، كما يشير أوبنهايم إلى مصادره الأخرى ومنها ما هو موجود في هذا الكتاب مثل: داوتي، وسنوك هورخرونيه، وكتاب الجيب.

رقم ٦٠٠٠ الوارد في الجدول يبدو غير مبالغ فيه. الأسماء الواردة بين قوسين في بداية الملاحظات تعود لأفراد ينتمون للقبيلة.

٢ ـ أيضاً الروقة (روقي)، شعار الحرب: خيال الرحمن أنا ابن روق. صيحة الحرب: فوغوم[١] يآلاد روق (= يا آلاد) روق.

٣ ـ الثبيتي. ثبيتي أيضاً. أقدم قبيلة لعتيبة. فيلبي ج١، ص١٩٤، ٢٠٥، ٢١٠.

٤ ـ عائلة مشايخ ابن الربيعان التي تنحدر من ذوي ثبيت ولكنها لم تعد ترتبط بها[٢].

٥ ـ حمراني.

٦ ـ برّاق.

٧ ـ طليحي كذلك طلحة (طلحاوي)[٣]. بيانات ١٩١٥م تذكر من فروعها المعاضيد[٤] مع الشيخ صنيتان الضيط (١٨٩٩م: زيط) ذكر هذا في كتاب الجيب أيضاً. تضيف [الأساعدة][٥] بيانات ١٩٢٩م مع الشيخ ابن زحّاف وهما مذكوران عن فؤاد حمزة.

٨ ـ حمادي.

٩ ـ السميري.

---

(١) لعل ترجمتها: يا قوم، وعزوة الروقة المشهورة: آلاد روق.

(٢) إذا كان يقصد أن أسرة آل ربيعان اشتهرت بهذا الاسم واستقلت به عن اسم الثبتة فهذا صحيح، فكل الأسر المشهورة هذا وضعها، أما أنها لا ترتبط بالثبتة فهذا غير صحيح فهم جزء لا يتجزأ من ذوي ثبيت، إلا إذا كان يقصد ثبيت الحجاز، لأن بعض المؤرخين يفصل بين عتيبة نجد والحجاز، وهذا خطأ فالقبيلة واحدة ولا يفصل بينهما سوى واقع الديار.

(٣) طليحي وطلحاوي خطأ، والصواب طلحي لأن الجد طلحة، إلا إذا كان نطقه على هيئة التصغير، ولكن جميعها لا تستخدم.

(٤) لا أعرف فخذاً يعرف بالمعاضيد لا في طلحة ولا مزحم.

(٥) في الأصل الساعدة، وهو خطأ والصواب ما أثبتناه.

١٠ - الدلبحي.

١١ - الحنتوشي.

١٢ - ١٩١٥م: طامي بن محيّا. ١٨٨٤م: ناصر بن محيّا، هوبر، جورنال ص٥٨٨.

١٣ - مغيبي.

١٤ - سبيقي.

١٥ - مزحمي.

١٦ - مرشدي.

١٧ - عضيّاني.

١٨ - عطاوي. تذكر بيانات ١٩٢٩م من شيوخهم علي بن زريبة[١]. لقد تم ذكر عائلة ابن زريبة في عام ١٨٩٩ أيضاً.

١٩ - بيانات ١٩٢٩م، ١٩٢٩م البوسنون. تم ذكر نحازي[٢] أبو سنون عام ١٩٣٠م.

٢٠ - خراصي.

٢١ - عائلة المشايخ حديثة العهد. هس، أسماء البدو ٨، تم ذكره في كتاب الجيب مدموجاً مع أسرة ابن زريبة (انظر ملاحظة ١٨).

٢٢ - غنامي، هس، من البدو ٩٠ حيث يأتي ذكر الغنانيم كفرع من المزاحمة ج٣، حسب ذلك يبدو ذوو عطية ليس مصطلحاً سياسياً بل مصطلح أنساب فقط.

٢٣ - المغيّري.

٢٤ - المهيدلي.

---

(١) هذا خطأ فابن زريبة ليس من شيوخ ذوي عطية وإنما شيخ الجذعان.

(٢) لعل صواب الاسم غازي.

٢٥ ـ القسّامي.

٢٦ ـ غبيوي.

٢٧ ـ جذع.

٢٨ ـ سيحاني.

٢٩ ـ الدماسي.

٣٠ ـ البرقاوي. يقسمهم فؤاد حمزة إلى ثلاثة فروع: عيال منصور تشمل (ثالثاً ـ سابعاً)، المقطة (ثانياً)، النفعة (أولاً) ثم يضيف لها فرعاً رابعاً[١]، انظر ملاحظة ٣٧.

٣١ ـ نفيعي، بيانات ١٩٢٩م تتضمن أيضاً الفرع المشار إليه في كتاب الجيب ولدى فؤاد حمزة وهو الفلتة[٢].

٣٢ ـ الزيادي.

٣٣ ـ أم القرى رقم ٢٥٢ تذكرهم ضمن الثوار.

٣٤ ـ [حليفي].

٣٥ ـ [حليس].

٣٦ ـ مقاطي. يبتعد فؤاد حمزة كاملاً عن هذا. الخنافرة = الخنافر عند سنوك.

٣٧ ـ [رويس]، قمزة، عند فؤاد عائلة من الروسان، كذلك في كتاب الجيب. يذكر بالإضافة إلى فرع الروسان هذا فرع آخر بالاسم نفسه.

---

(١) برقا في نجد قسمان اثنان: شملى وعيال منصور فقط، وتقسيم عتيبة عموماً في نجد هو اصطلاح، والتقسيم الأصلي هو الحجازي، لأن القبيلة في الأصل حجازية.

(٢) النفعة وغيرهم من قبائل عتيبة لم يقسمهم فؤاد حمزة أو أوبنهايم تقسيماً صحيحاً بل وقعوا في أخطاء وأسقطوا بعض الفروع.

٣٨ - ١٨٩٩م عزيّز بن جامع[1].

٣٩ - السويدي[؟].

٤٠ - [وذيناني][2].

٤١ - [منجومي][3].

٤٢ - عصيمي - العصمة سلّموا في عام ١٨١٣م عثمان المضايفي إلى الشريف الأكبر غالب[4]؛ عنوان ص٩٧ وما بعدها. وقارن المجلد ٢، ص٣٩١ وما بعدها مرجعنا محمد باشا العصيمي[5] ينتمي إلى العصمة.

٤٣ - عائلة مشايخ قديمة.

٤٤ - عجيلي.

٤٥ - شهيبي، عند فؤاد حمزة إلى فرع الروسان. انظر ملاحظة ٣٧.

٤٦ - [صبيحي][6].

٤٧ - دعجاني. شعارهم قبل الحرب: خيال الرحمن ابن مفلح يبتعد فؤاد حمزة عن ذلك بصورة كاملة. جاء ذكر الهدف في كتاب الجيب أيضاً. الخيطية هم = ذوو خيوط، المصدر نفسه.

٤٨ - عائلة مشايخ قديمة.

---

(١) في الأصل غزير، بالغين وهو خطأ والصواب ما أثبتناه.

(٢) في الأصل الويطالي؟ وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه.

(٣) في الأصل نجيمي، وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه.

(٤) تقدم ذكر أسر بعض رجال العصمة لعثمان المضايفي نتيجة خلاف وأسباب بيناها في تعليق على نصوص من ذكروا ذلك.

(٥) محمد باشا العصيمي ورد ذكره في كتاب الشيخ فهد المارك - رحمه الله - انظر من شيم العرب ٢٠٨/٤.

(٦) في الأصل سبهاني وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه.

٤٩ ـ [نخيش][١].

٥٠ ـ الشعيبي[؟].

٥١ ـ حسيني[؟].

٥٢ ـ الدهاسي.

٥٣ ـ المنصوري.

٥٤ ـ الشيباني (صيحة الحرب): نحاز الحريب أنا ابن مشيب. من فروع فؤاد حمزة جاء ذكر ذوي عبد الله في كتاب الجيب أيضاً. الخليفي = ذوو خليفة، المصدر نفسه.

٥٥ ـ هذال بن هذال. فيلبي ج٣، ص١١٠. والده هذال كان محارباً مشهوراً[٢].

٥٦ ـ الدغيلبي.

٥٧ ـ كتاب الجيب، محمد المهري.

٥٨ ـ مروحي.فؤاد حمزة، ج٣.

٥٩ ـ كريزي. فؤاد حمزة، ج ٢.

٦٠ ـ القثامي. حسب سنوك: قثمة.

٦١ ـ المفرجي = ذوو مفرج ـ كتاب الجيب ـ فؤاد حمزة، ج١.

---

(١) في الأصل نكيشي، والصواب ما أثبتناه.

(٢) يعني الشيخ الفارس هذال بن ضمن بن فهيد، المتوفى في ١٣٢١/١١/٢٦هـ، انظر النجم اللامع ص ١٢٩.

هجر عتيبة (١)

المنطقة	الأمير	شيخ القبيلة
١ ـ الداهنة (٢)	عمر بن ربيعان	نايف الحلاج ماجد البرّاق (٣) شقير الزحاف (٤)
٢ ـ ساجر	ذعار بن ربيعان	نايف بن تركي (٥)
٣ ـ الحيد	ناصر بن محيا	ضيف الله بن تركي
٤ ـ القرارة	متعب أبو سنون (٦)	
٥ ـ كبشان	سلطان أبو خشيم	قاعد أبو خشيم
٦ ـ المكلاه	ماجد أبو خشيم	
٧ ـ عسيلة	غازي التوم	ضيف الله التوم
٨ ـ شبيرمة	ناصر بن رازن	
٩ ـ أبو جلال	محماس [الشغار]	
١٠ ـ عرجا	قطيم الحبيل	طلق بن جازع
١١ ـ الصوح	سلطان الغربي	عبد الله الوتير
١٢ ـ عروى	جهجاه بن بجاد بن حميد (٧)	
١٣ ـ مصدة	خالد بن جامع	مترك بن جامع
١٤ ـ سنام	سلطان أبو العلا	هزاع بن مغيرق
١٥ ـ الحفيرة	مناحي الهيضل	صلال بن مناحي الهيضل
١٦ ـ اللبيب	عبدالمحسن بن بدر الهيضل	عمر أبو رقبة
١٧ ـ الروضة	ماجد بن ضاوي بن فهيد	فيحان بن فهيد
١٨ ـ الرويضة	جمل المهري	
١٩ ـ حميّان	غايب بن ناصر بن عقيّل (٨)	مناحي بن عقيّل

ملاحظات حول الجدول

١ ـ راجع أم القرى رقم ٢٠٨، ١٨/ ١٢/ ١٩٢٨م ورقم ٢٥٢، في ١٠/ ١٩٢٩م؛ الريحاني٤١٣، معلومات أحد أبناء أخي محمد البسام.

من الملاحظ أن هجرة الغطغط ممثلة في اجتماع الرياض الذي تحدثت عنه أم القرى في العدد رقم ٢٠٨ وهذا يعني أنها كانت منذئذ في صف المعارضة.

تم ترتيب المستوطنات في الجدول حسب الفرعين الروقة(١. ١١) وبرقا(١٢. ١٩) وضمن كل منهما حسب ترتيب المشايخ أو عائلات المشايخ.وغالباً ما توجد المستوطنات في منطقة الفرع المعني: الداهنة في الحمادة، ساجر في السّر، المكلاه على وادي المياه، الحيد، وكبشان، وشبيرمة وأبو جلال في الجزء الشرقي لسراة نجد بين أوضاخ والنير؛ عروى في الجنوب الشرقي. الدوادمي، والحفيّرة وحمّيان شرقي الدوادمي، الرويضة على طريق الرياض ـ مكة.

٢ ـ حول هذا جاء في أم القرى رقم ٢٥٢: نفي. لدى ابن بسام الداهنة مع غازي البراق ونفي مع عمر بن ربيعان.

٣ ـ تابعة إلى أ. أولاً. ٣.

٤ ـ ملاحظة رقم ٧. الجدول.

٥ ـ بالتأكيد أبناء تركي بن ربيعان الذي يذكر في كتاب الجيب كشيخ مشايخ الروقة.

٦ ـ ملاحظة رقم ١٩. الجدول.

٧ ـ أم القرى رقم ٢٠٨: حشر بن مقعد [بن] حميد.

٨ ـ أم القرى رقم ٢٠٨: بدر بن عقيّل[1]. تتبع عائلة المشايخ هذه إلى ذوي خيوط. انظر ملاحظة رقم ٤٧ ـ الجدول.

---

(١) هو بدر بن مدفع بن عقيّل.

(٢٤)

أعمدة الحكمة السبعة

تأليف

توماس إدوارد لورنس

لورنس العرب

الطبعة الرابعة

١٤٠٦هـ/ ١٩٨٠م

أعمدة الحكمة السبعة

قال لورنس [١] عن الشريف فيصل بن الحسين إبان الثورة العربية على الأتراك حيث عد شيوخ عتيبة من ضمن المشاركين فقال: **«كانت حلقتنا مزيجاً غريباً فهي تضم نفراً من الأشراف والوجهاء وشيوخ القبائل من جهينة وعتيبة وكنت أثير عمداً موضوعات الخلافات الحادة بينهم كي أتعرف إلى مشاربهم وعقائدهم دون إبطاء. وكان فيصل الذي يكثر من تدخين لفائف التبغ يسيطر عليالمحادثات حتى في ذروة تازمها مظهراً فناً رفيعاً في ضبط مشاعر الرجال»**.

---

(١) هو توماس إدوارد لورنس ولد في ويلز عام ١٨٨٨، وتلقى تعليمه في مدرسة أكسفورد العليا وفي كلية اليسوع ومجدولين، بأكسفورد. وأصبح فيما بعد طالباً باحثاً في كلية أوول سوز (كافة الأنفس)، بأكسفورد. ومن عام ١٩١٠ ـ ١٩١٤، أصبح عالماً مساعداً في متحف الكشف عن آثار الفرات البريطاني. وجنّد في الجيش البريطاني عند اندلاع الحرب العالمية الأولى. وألحق في عام ١٩١٧ رسمياً بأركان حرب قوة حملة الحجاز، تحت إمرة الجنرال وينجيت. وفي عام ١٩١٨ نقل إلى هيئة أركان قوات الجنرال اللنبي. وحضر مؤتمر السلام الذي عقد عام ١٩١٩. كعضو في الوفد البريطاني. وفي عامي ١٩٢١و١٩٢٢ أصبح مستشاراً في الشؤون العربية في قسم شؤون الشرق الأوسط بوزارة المستعمرات البريطانية. وفي عام ١٩٢٧ تعقد من اسم أسطورة «لورنس العرب» فغيّر كنيته إلى «شو» ثم انضم إلى سلاح الجو البريطاني كطيار. قتل في عام ١٩٣٥ بحادث دراجة نارية. له عدة مؤلفات إضافة لهذا الكتاب، منها «ثورة في الصحراء»، «قلاع الصليبين».

ويثني لورنس على إدراك رجال العشائر واطلاعهم الواسع فيقول: «لقد أدهشني رجال العشائر ذوو الألبسة المهلهلة باطلاعهم الواسع وإدراكهم العميق للمفاهيم القومية التي يتعذر حتى على الطبقات المثقفة هضمها وكي أسبر غور هؤلاء الحاضرين طرحت عليهم هذا السؤال: ترى بعد انتصار الثورة هل تحكم دمشق الحجاز؟ أو هل يحكم الحجاز دمشق؟

والجواب كان أن هذه المسألة لا تعنيهم كثيراً فالمهم أن يتخلص العرب من المتطفلين الذين يتحكمون بهم»[1].

وقال لورنس عن ثناء الشريف شاكر على قبيلة عتيبة وحبه لها ومشاركتهم في إحدى الوقائع: «وكان الشريف شاكر يحب عشيرة عتيبة حتى الوله.وقد أقسم على أن عشيرة عتيبة أحسن وأشجع عشيرة على ظهر الأرض. ولهذا عزمنا على اختيار معظم رفاقنا من عتيبة. سار في المقدمة رحو وهو ضابط جزائري في بعثة بيرموند العسكرية. وكان مرشدنا محمد القاضي نجل دخيل الله كبير قضاة عشيرة جهينة الذي أرشد الأترك إلى ينبع في كانون الأول (ديسمبر) الماضي وهو يبلغ الثامنة عشرة من عمره صلب البنية هادئ الطبع. وتولى الشريف فوزان الحارث المقاتل المشهور الذي أسر أشرف قيادة حرسنا المؤلف من عشرين رجلاً من عشيرة عتيبة وخمسة من المغامرين من عشيرة جهينة.

واتجهنا نحو هدفنا (أي محطة أبي النعم) في اليوم السادس والعشرين من آذار (مارس) بينما كان السير أرشبالد موري يشن هجومه على غزة. وعقب ثلاث ساعات من حر شديد لم أستطع احتماله ترجلنا عند شجرة سدر ضخمة نلتمس الراحة في ظلالها، وأشجار السدر جميعاً وارفة الظلال. وقد وجدنا في ظل تلك الشجرة نسيماً شرقياً رطباً وبعض الذباب.

كان وادي عيس وفير الأشجار والأعشاب يعبق بأريج الازهار

(١) أعمدة الحكمة السبعة، نشرتها دار الآفاق الجديدة، ط ٤ ـ ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠، ص ٥٣ ـ ٥٤.

البرية وتملأ أجواءه الفراشات الجميلة البيضاء. لهذا لم نستانف رحلتنا إلا في وقت متأخر من النهار لنقطع مسافة قصيرة بعد أن مررنا بزاوية في الوادي شاهدنا فيها عرصة متهدمة وبئراً، وقد علمت بأن في هذا المكان كانت تقوم قرية يستغل أهلوها المياه الجوفية لإرواء بساتينهم العديدة. أما الآن فإن هذا المكان بات خرباً مهجوراً.

ثم عدنا لنستأنف السير على درب ملتوية مدة ساعتين حيث ترجلنا بعدها عن مطايانا لنعسكر عقب حلول الظلام. وبينما كنت نائماً لسعت يدي عقرب لسعة أليمة تيبست من جرائها وتورمت. وفي الساعة الخامسة صباحاً امتطينا رواحلنا لنضرب في التلال الأخيرة ولنخرج إلى «الجرف» وهو بقعة من الأرض مكشوفة متموجة. فاستدرنا إلى اليمين لنسير في سهيل تحجبه سلسلة من التلال عن وادي حمد حيث يمر الخط الحديدي. وقد سرنا وراء هذه التلال إلى الجنوب حتى أمسينا مقابل محطة أبي النعم فترجلنا عن رواحلنا وأقمنا مخيمنا في مكان قريب من العدو، لكنه أمين. وكانت قمة التل تشرف على المحطة لذلك تسلقناها قبل غروب الشمس لنستطلع هدفنا ونراقب حركات أعدائنا. أما ارتفاع التلة فيتجاوز ستمئة قدم وقد قطعتها على مراحل كنت أرتاح بين محلة وأخرى، غير أن المناظر التي طالعتني من على قمتها كانت رائعة.

رأيت الخط الحديدي لا يبعد عنا أكثر من ثلاثة أميال. وشاهدت في المحطة مستودعين ضخمين شيدا من الحجارة الصوانية وبرج ماء مستديراً وبعض الأبنية الأخرى.

وقد وجدت أن المحطة محاطة بالخيام والخنادق وقدّرت عدد حرسها بثلاثمائة رجل ولكني لم أشهد مدفعاً جبلياً واحداً .وقد قيل لنا إن الأتراك يقومون في الليل بدوريات مسلحة فعالة لحراسة ضواحي المحطة والخط الحديدي.

نمنا مرتاحين في خيامنا. وفي الصباح أيقظنا البرد من نومنا لنشاهد فجراً صاخباً تعصف فيه الرياح وتهب نحونا من الجرف وهي تنشد أغانيها للأشجار الباسقة التي تحيط بمعسكرنا. وعندما تسلقنا

مركزنا لمراقبة التلة رأينا الشمس تقتحم السحب وتهزمها لتصبح عقب ساعة واحدة من الزمن شديدة الحرارة كاللهب...» حتى قوله بعد ان أسروا أحد رعاة القبائل: «بعد مضي ساعات على اعتقالنا للراعي لم يتحرك أمام ناظرينا سوى الشمس. تدثرنا بعباءتنا واضطجعنا في دفئها الرائع. وقد أعادت إليّ التلة لذتي الغريزية التي كنت فقدتها منذ يوم مرضي، إذ استطعت أن أسجل مناظر التلة النموذجية، فهذه قمتها الحجرية الصلبة وتلك جوانبها الصخرية العارية التي غمرتها عند القاعدة طبقة ترابية ناعمة. أما حجارتها فكانت تتألق صفراء لوّحتها الشمس معدنية في رنينها.

انحدرنا في الغسق من فوق التلة واصطحبنا الراعي وما تمكنا من جمعه من أغنامه، وكنا ننتظر وصول قواتنا الرئيسية هذه الليلة إلى معسكرنا، لذلك أخذت أجول وفوزان في السهل المستسلم للظلام حتى وجدنا جرفاً خفيفاً يصلح مركزاً لمدفعنا ويبعد عن المحطة مسافة ألفين من الياردات. عدنا متعبين من جولتنا لنجد النيران تشتعل بين الأشجار، فالشريف شاكر كان قد وصل منذ لحظة، ورجاله ورجالنا يقومون بشيّ لحم الماعز بسرور وارتياح، والراعي قد قيّد وراء خيمتي لأنه فقد صوابه حزناً عندما شاهد بعض ماعزه يذبح أمام عينيه. وقد رفض أن يتناول عشاءه معنا فأرغمناه على أكل رغيف من الخبز وحفنة من الأرز بعد تهديده بإنزال الجزاء الصارم به. وقد حاولنا أن نقنعه بأننا سنستولي في الصباح على المحطة وسنقتل أسياده، غير أن كلامنا هذا لم يدخل العزاء إلى قلبه. وأخيراً اضطررنا أن نربطه إلى شجرة خشية أن يفرّ ليلاً منا ويعود إلى الجنود الأتراك.

وأخبرني شاكر عقب العشاء أنه لم يحضر معه سوى ثلاثمائة رجل من الثمان أو التسعمائة المتفق عليهم .وعلى كل حال فالحرب كانت حربه. لذلك أدخلنا سريعاً بعض التعديلات على خططنا وقررنا ألا نحتل المحطة بل أن نضربها بالمدفعية بينما يقوم فريق منا بلغم الخط الحديدي في الشمال، آملين أن نسقط القطار المتوقف في شباكنا. لذلك

اخترنا فريقاً من الرجال الذين درّبهم جارلاند على أعمال النسف وكلفناهم بنسف قسم من الخط يقع إلى الشمال من الجسر في الفجر، وذلك كي يعطلوا ذاك الاتجاه، بينما قررت أن أصطحب معي مدفعاً رشاشاً وأن أضع لغماً إلى الجنوب من المحطة وهو الاتجاه الذي يحتمل أن يرسل فيه الأتراك النجدة في حالة الطوارئ. وقد قادنا محمد الخالد قبل منتصف الليل إلى جزء مهجور من الخط الحديدي فترجلت عن راحلتي وأخذت أتحسس لأول مرة خلال الحرب بأصابعي قضبانه المثيرة. وبعد ساعة من العمل المرهق زرعت اللغم وجعلت زناده ينطلق حالما تمر القاطرة عليه. ثم ركزنا مدفعنا الرشاش وراء دغل نامٍ في مجرى ماء يبعد مسافة أربعمائة ياردة عن الخط ويشرف على النقطة التي أملنا أن يخرج فيها القطار عن خطه، واختبأ طاقم المدفع وراء الدغل وسرت مع بعض رجالي لنقطع الخطوط التلغرافية. وبعد نصف ساعة وجدنا بقعة غير محروسة. ولكن لسوء الحظ لم يستطع الرجال الأربعة من جهينة تسلق العمود التلغرافي. لذلك اضطررت أن أحمل نفسي على تسلقه. وهذا كل ما تمكنت من عمله نتيجة لمرضي. وعندما قطعت الخط التلغرافي الثالث اهتز العمود النخر فارتخت قبضتي وانزلقت ستة عشر قدماً لأرمي بثقلي على أكتاف محمد الذي سارع يحميني من الارتطام فكادت عظامه تنكسر. أخذنا نستجمع أنفاسنا عدة دقائق ثم استطعنا عقبها أن نستعيد جمالنا ووصلنا المعسكر بينما كان الآخرون يستعدون للتقدم إلى مراكزهم المتفق عليها. لقد استغرقت عملية زرعنا للغم أربع ساعات أكثر من الوقت المحدد لها. وهذا التأخير وضعنا أمام معضلة كان حلها يتطلب إما أن أضحي براحتي أو أن أسمح للقوة الرئيسية بالزحف نحو أهدافها بدوني. وأخيراً بموافقة شاكر توجهت القوة إلى أهدافها، وسقطت تحت شجرة لأنام ساعة واحدة كنت لولاها سأنهار انهياراً كلياً. وكان النهار في تلك الساعة قد بدأ يزحف بضيائه، وهي ساعة يتململ فيها الهواء قلقاً فيؤثر في النبات والحيوان.

وسارع محمد الذي كان في شوق ملحاح لرؤية المعارك إلى إيقاظي بأذان مبحوح صبّه في آذاني خلته معركة، فجلست وأخذت أفرك عيني الحمراوين لأزيل الرمال العالقة بهما، ثم أخذنا نتنافس بشدة حول موضوعَي الصلاة والنوم. فأخذ يتوسل إليّ قائلاً: «إن المعارك لا تدور كل يوم» وأراني الرضوض والخدوش التي ألحقتها بجسده في الليلة الماضية عندما انزلقت عن العمود التلغرافي، فعطفت عليه. وامتطينا رواحلنا لنلحق بالقوة، ثم أطلقنا سراح الراعي بعد أن نصحناه بالبقاء حتى عودتنا، ووصلنا مراكز قوتنا في اللحظة التي بدأت فيها مدافعنا تفتح نيرانها. وقد كان ضربها مركزاً وممتازاً إذ هدمت سقف العمارة وأنزلت أضراراً بالغة بالبناية الثانية وأصابت غرفة المضخة ومزقت صهريج الماء وقد أصابت قنبلة محظوظة عربة من عربات القطار فأشعلت فيها نيراناً نهمة. وهذا ما جعل القاطرة تسارع في السير جنوباً فجلسنا نراقبها جائعين وهي تقترب من اللغم. وعندما وصلته ارتفعت سحابة من غبار ناعم أعقبها صوت انفجار، ثم توقفت القاطرة ساكنة. وقد لاحظنا أن مقدمتها فقط قد عطلت وخرج سائقوها ليصلحوها.

وانتظرنا طويلاً أن يفتح المدفع الرشاش النار عليهم، غير أن انتظارنا ذهب سدى. وقد علمنا فيما بعد بأن طاقم المدفع قد خشي رجاله الوحدة فحملوا مدفعهم وجاءوا به إلينا حالما بدأنا بإطلاق النار. وعقب مضي نصف ساعة من الزمن تمكن سائقا القاطرة من إصلاحها، فرأيناها تسير وهي تقعقع وتتهادى على الخط الحديدي.

بدأ رجال العشائر هجومهم عليالمحطة تحت ستار كثيف من نيران المدفعية وعلا صرير أسناننا غضباً على طاقم المدفع الرشاش. وتقدّم رجالنا تحت حماية النيران فأبادوا حامية المركز الأمامي. وانسحب الأحياء من الأتراك إلى المركز الرئيسي لينتظروا مع رفاقهم في الخنادق هجومنا العام. هذا الهجوم الذي كانت رغبتهم في صده لا تقل أبداً عن رغبتنا في شنّه. ولو أنه كان لنا بعض من رجال فيصل لمكننا تفوق مركزنا على مراكزهم من الاستيلاء على المحطة دون عناء، وعلى كل

حال فلقد خلفنا وراءنا العربات والمستودعات في المحطة طعماً للنيران. وكان حصاد معركتنا ثلاثين أسيراً تركياً وسبعين جندياً بين قتيل وجريح، أما خسائرنا فلم تتجاوز جريحاً واحداً كانت إصابته طفيفة. أضف إلى ذلك أننا عطلنا حركة السير في المحطة ثلاثة أيام أمضاها الأتراك بين ترميم وتصليح.

خلفنا وراءنا فريقين من قواتنا في ضواحي المحطة وأمرنا رجال هذين الفريقين بتدمير الخط الحديدي في اليوم التالي الذي يعقبه. بينما قفلنا نحن عائدين إلى معسكر الشريف عبد الله الذي وصلناه في اليوم الأول من شهر نيسان (أبريل)...»

وقال بعد ذلك لورنس عن دخول الشريف شاكر والشيخ سلطان العبود واقتراب المعركة: «ودخل الشريف شاكر، ذو المزاج المرح، المعسكر باستعراض ضخم أطلقت خلاله الآلاف من الأعيرة النارية ابتهاجاً بالانتصار الجزئي الذي حققه.

وقد تجاوب المعسكر معه فاستقبلنا رجاله بمهرجان فخم رائع. وفي المساء قمنا بجولة بين الأدغال الواقعة وراء المعسكر، وبينما كنت أسير طالعتني فجاة من خلال الأغصان الكثيفة ألسنة نيران وحشية تتألق عالياً وهي تأكل نهمة أغصان الأشجار، وترامى إلى سمعي من خلال الدخان واللهب دقات طبول وهدير جوقة عشائرية تنشد الأغاني البدوية، فتسللت بهدوء نحو مصدر الأصوات، فشاهدت عشيرة «عتيبة» يصفقون ويهزجون وهم يحدقون في الشريف شاكر وهو يرقص وسط حلقتهم على وقع أناشيدهم وتصفيقهم. وفي الصباح التالي قررنا أن نقوم بزيارة أخرى للخط الحديدي لنجري تجربة كاملة للغم «الآلي» الذي لم تنجح تجربته نجاحاً كاملاً في المرة السابقة. وقد قال لي دخيل الله الهرم بأنه يرغب في أن يرافقني في رحلتي هذه إذ إنه على ما يبدو لم يستطع أن يقاوم إغراء نهب قطار معطل وسلب ركابه.وقد اصطحبنا في غزوتنا هذه أربعين رجلاً من عشيرة جهينة الذين بدوا لي مفتولي السواعد والعضلات وأضخم أجساداً من رجال عشيرة عتيبة الأصلاء. وبالإضافة

إلى هؤلاء أصر سلطان العبود، أحد رؤساء عشيرة عتيبة[1] والصديق الحميم لكل من الشريفين عبد الله وشاكر على مرافقتي. وكان سلطان العبود رجلاً حلو الشمائل ورئيساً لفخذ فقير من أفخاذ عشيرة عتيبة.

كان آنذاك يناهز السادسة والعشرين وهو طويل القامة مفتول العضل فارس ماهر جريء يتعشق النكات العملية ذو رأس ضخم مربع.

اصطحبنا معنا طاقم المدفع الرشاش وكان عدده يبلغ ثلاثة عشر جندياً، وذلك كي نقصف القطار قصفاً مركزاً. أما الشريف شاكر فلقد أبت عليه مجاملاته الرصينة إلا أن يسير في وداعي مدة نصف ساعة بوصفي ضيفاً على الأمير عبد الله.التزمنا هذه المرة في سيرنا وادي عيس، وبقينا نسير فيه حتى التقى هذا الوادي بوادي حمد الذي ألفيناه مغطى بالأعشاب النضرة الخضراء بسبب فيضانه مرتين هذا الشتاء. ثم انحرفنا لنتجه نحو أرض رملية منبسطة حيث ترجلنا عن رواحلنا. وجاءنا الصباح بنهار دافئ مشمس فأخذنا نجدّ في السير في سهل وسيع فسيح تلتقي فيه الوديان الكبيرة الثلاثة طبجة، وعيس، وجزيل لتصبح وادياً واحداً يصب في وادي حمد. وكان المجرى الرئيسي للوادي مغطى بشجيرات تغوص جذورها في حوض رملي، غير أن هذا الدخل لم يتجاوز عرضه المائتين من الياردات. إذ امتدت وراءه لأميال وأميال سهول واسعة ذات تربة هشة تتخللها حويضات وديان ضحلة.

وعندما قاربت الظهيرة يممنا وجهنا شطر بقعة من الأرض بدت لنا كأنها حديقة في الخلاء فترجلنا عن رواحلنا وألقينا بأجسادنا المنهوكة على أعشابها اللدنة التي وجدت فيها رواحلنا الفرحة غذاء شهياً إذ ما كادت تمضي الساعة عليها وهي تقضم من الأعشاب حتى بركت ممتلئة البطون.

أخذ النهار يزداد حراً، وبدأت الشمس تدنو إلينا وهبت ريح متطفلة لتجلدنا بسياط لاهبة.

---

(١) هو الشيخ سلطان العبود شيخ القثمة من عيال منصور من برقا من عتيبة توفي حدود سنة ١٣٣٧هـ.

مرت الظهيرة وجاء الأصيل فإذا به أشد حرارة من سابقته فانحبس الهواء إلى درجة ذهلت معها فكنت أتلفت ورائي بين فينة وأخرى لأرى ما إذا كان هناك من حاجز يحجز الهواء عني.

اقتربنا من هدفنا مع الأصيل، وكان يفصله عنا حاجز من التلال يسير بمحاذاة سفوحها وادٍ الفيناه شديد البرد مجدباً مكشوفاً وعقب أن سرنا في هذا الوادي مسافة تتراوح ما بين ثلاثة وأربعة أميال توقفنا وترجلنا عن رواحلنا وأخذنا نتسلق تلة عالية قيل إنه باستطاعتنا أن نشاهد من على قمتها الخط الحديدي. وكان الهواء مزعجاً مخيفاً فلم نستطع حين تسلقنا أن نتمسك بالصخور الشديدة الانزلاق بسبب عباءاتنا وثيابنا المبتلة، لذلك اصطحبت تسعة من الرجال بعد أن تحررنا من معظم ثيابنا وتابعت وإياهم صعود التلة وتسلقها. غير أن مجهوداتنا ذهبت عبثاً فالهواء كان شديداً عاصفاً بحيث إنه لم يمكننا من المراقبة والاستطلاع. وهكذا رجعنا منحدرين مرضوضي الأجساد، وقد تكبدنا إصابة وحيدة في هذه الرحلة إذ إن سلطان العبود أصر على أن يرافقني في تسلق التلة. ولهذا اضطر خادمه الخاص إلى مرافقتنا بالرغم من كراهيته لتسلق التلال. وعندما كنا عائدين عثر الخادم وسقط في هوة يبلغ عمقها أربعين قدماً ودقت عنقه.

وعندما عدت وجدتني منهوك القوى فجلست على الأرض أرتجف برداً لمدة ساعة من الزمن دفن الرجال خلالها القتيل في بقعة قريبة من سفح التلة وبعد أن واروا الخادم التراب صادفوا في طريقهم إلينا رجلاً يمتطي جملاً فبادرهم بإطلاق النار عليهم فردوا عليه بالمثل، غير أن الظلام ابتلعه وغيبه عن أنظارهم. والحق أن هذه الحادثة أقلقتني وأزعجتني، إذ إن عنصر المفاجأة كان حليفنا الرئيسي. لذلك كنا نخاف أن يعود الرجل إلى الأتراك فينذرهم بوجودنا بالقرب منهم.

التحقت بنا الجمال المحملة بالمتفجرات، ثم امتطينا رواحلنا ثانية كي نقترب من الخط الحديدي، ولكننا لم نكد نتقدم بعض الأمتار حتى ترامى إلى أسماعنا نفير البوق التركي وهو يدعو الجنود إلى تناول

طعامهم. فارهف دخيل الله اذنيه وأدرك أننا أصبحنا بالقرب من مدرج هذه المحطة الصغيرة التي كنا نعتزم القيام بعملياتنا الحربية ضدها. لم نصل الخط الحديدي إلا بعد الساعة العاشرة من تلك الليلة. وعندما وصلنا كان من العبث بذل أي جهد لاختيار موقع لمدفعنا الرشاش، إذ إن الظلام لف جميع ما حولنا بجلباب أسود. وقد اخترت بصورة اعتباطية موضعاً في الخط يقع عند الكيلومتر (١١٢١) من دمشق لأزرع فيه اللغم. وكان اللغم ذا ميكانيكية معقدة له زناد مركّز يفجر بصورة متتابعة كبسولات تبعد الواحدة عن الأخرى مسافة ثلاثين ياردة، إذ كنا نامل أن نتمكن بهذه الطريقة من تفجير القاطرة فيما إذا كانت متجهة شمالاً أو جنوباً. وقد استغرقت عملية زرع اللغم مدة أربع ساعات كاملة وذلك لأن المطر أحال سطح الأرض وحلاً وبدت آثار أقدامنا على جانبي الخط كانها آثار أقدام الفيلة. وكان المستحيل علينا أن نخفي أو نزيل هذه الآثار، لهذا عمدنا إلى تحويلها بواسطة مضاعفتها مستعينين بجمالنا حتى إنها بدت عقب تحويلها ذاك تشير إلى أننا نعادل نصف جيش كامل. وبعد أن أنهينا هذه المهمة تراجعنا إلى مسافة كافية ثم تمددنا في الوحل منتظرين شروق الشمس وكانت ليلة شديدة البرودة ارتجفت من جرائها كل عضلة في أجسادنا...»[١].

---

(١) المصدر السابق، ص ١٤٢.

(٢٥)

بعثة إلى نجد

١٣٣٦ - ١٣٣٧هـ

(١٩١٧ - ١٩١٨م)

تأليف

سانت جون فيلبي

تقديم وترجمة وتعليق

د. عبد الله الصالح العثيمين

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ/١٩٩٧م

بعثة إلى نجد

١٣٣٦ - ١٣٣٧هـ (١٩١٧ - ١٩١٨م)

قال فيلبي[١] عن علاقة الملك عبدالعزيز بالملك حسين حول انضمام

(١) هو سانت جون فيلبي، ويُعد أشهر وأهم رحالة في القرن العشرين، ممن جعلوا جزيرة العرب مجال علمهم وعملهم. وممن اجتمعت في شخصياتهم أبعاد الرجل العالم، والباحث، والسياسي، والدبلوماسي، والصحافي، والمؤرخ، والجغرافي، والآثاري، والتاجر، والتي كل منها يحتاج بحثاً مستفيضاً لاستيعابه وتحديد أهميته. كما أنه كان وما يزال أكثر الرحالة الذين أثاروا الكثير من الجدل والنقاش حول شخصياتهم وأهدافهم وطموحاتهم الشخصية والعامة، في موطنه الأصلي بريطانيا، وفي الدول التي عمل بها أو في الدولة التي أحبها وخدمها طيلة جزء كبير من حياته وهي المملكة العربية السعودية. لقبه الملك عبدالعزيز باسم «عبد الله» بعد أن أعلن إسلامه عام ١٩٣٠م، ولد فيلبي عام ١٨٨٥م في بادولا في جزيرة سيلان (سيرلانكا)، حيث كان يقيم ويعمل والده في تجارة القهوة. في سنه السادسة انتقل مع والدته التي تخلت عن والده إلى لندن، حيث بدأت عملية تعليمه في مدارس النخبة الإنجليزية. أظهر فيلبي نبوغاً مبكراً، وتميز في تعليمه فحصل على منح دراسية مختلفة حتى أكمل دراسته الجامعية في جامعة كامبردج الشهيرة ١٩٠٧م. كما اهتم بدراسة اللغات، الفرنسية والألمانية والعربية والأوردية والفارسية. التحق في العمل الحكومي بعد تخرجه من الجامعة... عمل فيلبي خلال حياة الملك عبدالعزيز مستشاراً غير رسمي له لرفضه أن يكون مستشاراً رسمياً ليحتفظ باستقلاله، كما مارس التجارة، والاستشارات التجارية، ولعب دوراً في تقديم شركات التنقيب عن النفط في المملكة، غادر فيلبي المملكة عام ١٩٥٥م مجبراً بعد خلاف مع الملك=

فئات عتيبة إلى حركة الإخوان: «...لكن العلاقات بينهما توتَّرت في العام التالي لأسباب منها انضمام فئات من قبيلة عتيبة الموجودة على حدودهما إلى حركة الإخوان. على أن الذي أوقد شرارة النِّزاع بينهما إظهار كثير من سكان الخرمة وتربة، التابعين إدارياً حينذاك للحسين، حماستهم للمبادئ التي قام عليها الحكم السعودي؛ وهو أمر تعود جذوره إلى عهد الدولة السعودية الأولى. وفي طليعة أولئك المتحمِّسين أمير الخرمة ذاتها الشريف خالد بن لؤي، الذي أدَّت أسباب مختلفة إلى خروجه عن طاعة الحسين سنة ١٣٣٦هـ...»[١].

وقال فيلبي أيضاً: «...والمشكلة، في أبسط صورة لها، تكمن في أن ابن سعود يدَّعي استقلاله التام وسيادته على جميع نجد، وأن الشريف قد قدَّم دعاوى بسيادته على كل قبيلتي عتيبة وحرب والقسم الغربي من سبيع. ويجب على المرء أن يعلم بحقيقة أن عتيبة تحتل عالية نجد والسهوب الغربية من خط دلقان ونفود السِّر إلى داخل خطِّ جبال الحجاز... ومع عتيبة على طول وادي نعيم في الشرق... ولا حاجة إلى القول بأن ادِّعاء كهذا سيفنِّده ابن سعود بحزم. ذلك أنَّه يدَّعي السيادة على كل نجد وعلى الفئات الساكنة فيها من القبائل المذكورة سابقاً. وهو يرفض إمكانية حلٍّ بموجب خطوط قبلية، والتاريخ يؤيِّد ما يحتج به؛ إذ لم يذكر أبداً، حسبما أعرف، تضامن قبيلتي عتيبة وحرب في ولاء لحاكم واحد»[٢].

= سعود على ما كان يكتبه فيلبي عن المملكة في الغرب. تراجع الملك سعود عن قراره فعاد فيلبي إلى الرياض عام ١٩٦٥م متفرغاً للكتابة. وتوفي في بيروت وهو في سنته الخامسة والسبعين عام ١٩٦٠م. خلال وجوده في المملكة، قام فيلبي بعدة رحلات إلى مختلف مناطقها، ولعل أشهر رحلاته التي قطع فيها الربع الخالي وكتب عنها كتاباً باسم «الربع الخالي»، كما أنه كتب عدداً كبيراً من الكتب الأخرى التي تناولت تاريخ الجزيرة في التاريخ القديم والمعاصر، بالإضافة إلى ذلك، كان يكتب باستمرارعن شؤون الجزيرة العربية في الصحف والمجلات، انظر الرحالة الأوروبيون، مصدر سابق، ص٤٧١، وما بعدها (باختصار).

(١) بعثة إلى نجد، ص٤٢.

(٢) المصدر السابق، ص٢٠٤ ـ ٢٠٥.

وقال فيلبي عن القبائل التي يعتقد أنها من رعايا ابن سعود: «**ومن المهم أن يُذكر أن القبائل التي يعتقد انها من رعايا ابن سعود هي مطير، وعتيبة،**

وحرب، وبنو عبد الله، والعجمان، وآل مرَّة، والمناصير، وبنو هاجر، وسبيع، وقحطان، والدواسر.لكن هذا الدليل يجب ألاَّ يؤخذ على أنه دقيق.ذلك أن قبيلة مطير اكثرها في الأراضي الكويتية، وعتيبة وحرب أكثرهما تحت الشريف»[1].

وقال فيلبي عن زحف الشريف عبد الله بن الحسين سنة ١٩١٠م إلى نجد وفيها ما له صلة أيضاً بعتيبة: «**ولا يبدو أن النتائج الحقيقية للغزو كانت أكثر من إعادة الإصرار على سيادة الشريف على الأقسام النائية من عتيبة، القبيلة التي كانت في وقت ما تحت حكم ابن سعود، لكن أكثرها انسحب إلى الشريف. وقد فرض عبد الله، قبل انسحابه، على قرى القصيم ضريبة صغيرة من المال، لكن من المرجّح أنها لم تُدفع أبداً... وفي نوفمبر سنة ١٩١٥م ظهر الشريف عبد الله مرة ثانية في نجد لهدف غير واضح. وكان تفسيره لذلك أنه كان مرسلاً في مهمة إلى ابن سعود لغرض جمع الضرائب على القصيم وسدير. وباستثناء سيادةٍ مشكوك فيها على فئات رُحَّل من عتيبة، فإن الشريف لا يبدو، من وجهة نظر بدوية، أن له حقوقاً في أي من المنطقتين، لكون حدوده شرقاً تقع تقريباً بين خطَّي الطول ٤٤و٤٥درجة عند الشعراء والدوادمي وجبل ذُرَيِّع وجبل النير. ولم يذكر أن عبد الله تجاوز الشعراء بكثير. وقد جمع زكاة من عتيبة...**»[2].

---

(١) المصدر السابق، ص٢٣٨.

(٢) المصدر السابق، ص٢٤٢.

(٢٦)

العربية السعودية

تأليف

هاري سانت جون فيلبي

«عبد الله فيلبي»

تعريب

د.عاطف فالح يوسف

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م

العربية السعودية

قال فيلبي عن حملات قوات الدولة السعودية الأولى ومنها هذه الحملة التي كانت على قبيلة عتيبة سنة ١٢٠٨هـ: «...**إلا أنهم صعَّدوا أعمالهم العسكرية وأرسلوا تلك الحملة في كافة الاتجاهات، ومن بين تلك الأعمال العسكرية كانت حملة ضخمة تقدر قوتها بألف رجل و٦٠٠ جمل، إذ قادها عبد الله بن محمد بن معيقل ـ وهو من بلدة شقراء ـ ووصل بها إلى مشارف سهول ركبة على حدود الحجاز. وهناك اشتبك مع عتيبة بالقرب من البغث إلا أنهم أوقعوا بين صفوفه بعض الخسائر وصدوه عن مواقعهم**»[١].

وقال عن وقعة أخرى زمن الدولة السعودية الأولى سنة ١٢١٠هـ: «**...كان محمد بن معيقل يشن هجوماً ناجحاً على عتيبة في منطقة مران الواقعة في حرة كشب البركانية**[٢]. **وحدث بعد فترة قصيرة أن قدم**

---

(١) العربية السعودية، تأليف هاري سانت جون فيلبي، تعريب د.عاطف فالح يوسف، مراجعة وتدقيق وتعليق د.فهد بن عبد الله السماري، د.عمر العمري، عبد الله المنيف، عبدالرحمن الشقير، مكتبة العبيكان، ص١٦٣. وهذا الكتاب الذي طبعته مكتبة مدبولي باسم تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، تعريب عمر الديسراوي، وعنوان المجد، مصدر سابق، ص١٣٩.

(٢) قال ابن بشر عن هذه الوقعة: «وفيها سار محمد بن معيقل صاحب بلد شقرا بأهل الوشم وغيرهم وقصدوا عربان عتيبة وهم على مران الماء المعروف على طريق الحاج فأخذ عليهم إبل كثيرة». انظر عنوان المجد، مصدر سابق، ص١٤١.

سعود[1] إلى المنطقة نفسها لغزو تجمعات مطير وعتيبة. كان غالب يعد العدة مرة ثانية لشن غزوة على نطاق واسع ضد نجد... أرسل عبدالعزيز توجيهاته إلى محمد بن ربيعان زعيم عتيبة وإلى فيصل الدويش زعيم مطير وإلى قبائل السهول وسبيع والدواسر والعجمان وأمرهم أن يلتفوا حول هادي بن قرملة القائد الأعلى للقوات المدافعة في ذلك الوقت...»[2].

وقال فيلبي عن علاقة الشيخ حمود بن ربيعان بالإمام عبدالعزيز في الدولة السعودية الأولى سنة ١٢١٢هـ: **«وفي الطرف الآخر من شبه الجزيرة العربية أرسل حمود بن ربيعان زعيم قبيلة عتيبة رسولاً إلى عبدالعزيز يعرض عليه استسلام وخضوع القبيلة إلى الحكم السعودي[3]. والجدير بالذكر أن قبيلة عتيبة لم تكن حتى يومنا هذا تحت قيادة الحجاز[4]. على أي حال عرض الرسول على عبدالعزيز استعداد القبيلة لدفع تعويض عن المخالفات والانتهاكات التي اقترفوها في الماضي، وفعلاً تم ترتيب أمر هذا الولاء حسب الأصول، إلا أن انشقاق قبيلة عتيبة أثار حفيظة غالب ودفعه إلى التحرك، فما كان منه إلا أن قاد حملة بنفسه لمهاجمة هادي بن قرملة زعيم قبيلة قحطان، وبعد معركة في الصحراء، أصيبت فيها قوات هادي أثناء تبادل الهجمات بخسائر**

---

(١) هو الإمام سعود بن عبدالعزيز، الذي تولى الأمر بعد مقتل والده الإمام عبد العزيز سنة ١٢١٨هـ، هذه الوقعة عند ابن بشر مصدر سابق، ص١٤١.

(٢) العربية السعودية، مصدر سابق، ص١٦٦. وقد تقدم ذكر هذا الخبر من المصادر الأصلية بما يغني عن إعادته هنا.

(٣) أعتقد أن المقصود هنا ليس كل عتيبة الذين يقيمون في جنوب الطائف وشماله، وإنما المقصود بوادي عتيبة الذين يقطنون بعيداً عن الطائف؛ لأن المؤرخ ابن غنام ذكر هذا الخبر وذكر أنهم من بوادي مكة ولعل المعني في هذا من هم حول الحرة كالمحاني وغيرها. وقد ورد هذا الخبر وتعليقنا عليه في أوّل الكتاب.

(٤) كلام فيلبي هنا غير دقيق، فقبيلة عتيبة في عهد الدولة السعودية الأولى وحتى سنة ١٢١٦هـ كان جزء منها يتبع معسكر الدرعية والجزء الآخر يتبع الشريف غالب بن مساعد، وحتى زمن الدولة السعودية الثانية والثالثة، ولم تنضم قبيلة عتيبة كلها حتى ضم الملك عبدالعزيز الحجاز سنة ١٣٤٣هـ إلى مملكته.

كبيرة اضطرته للتراجع إلى منطقة رنية...»[1].

وقال فيلبي عن وفاة الشيخ حمود بن ربيعان سنة ١٢١٧هـ، واحتلال الأمير عثمان المضايفي للطائف: «وإذا رجعنا إلى المجرى الرئيس لأحداث الدولة السعودية التي تمت عام ١٨٠٢م وإلى الفترة التي شهدت موت زعيم عتيبة حمود بن ربيعان، إضافة إلى موت سليمان باشا المروع وقد خلفه علي كيخيا في الولاية على بغداد، نجد أنه حدث تَرَدٍّ في العلاقات بين الدرعية ومكة. ويعود سبب ذلك التردي إلى حادثة لا يمكن أن يلام بسببها أي من الشخصيات الرئيسة من كلا الجانبين، علماً بأن النتائج التي ترتبت على ذلك الحدث زعزعت الانفراج الهش في العلاقة بين الطرفين، والذي برز إلى حيز الوجود إثر هزيمة غالب في منطقة الخرمة؛ قام غالب ولأسباب مجهولة بعزل كبير وزرائه عثمان بن عبدالرحمن المضايفي الذي توجه إثر ذلك إلى الدرعية ليقدم خدماته وولائه للدولة السعودية. وبعد أن استقبله عبدالعزيز وكذلك سعود بالترحاب كحليف واعد، رجع عثمان إلى ديرته العبيلاء الواقعة عند سهول مرتفعات الطائف، وهناك سرح كافة بدو الحجاز التابعين للشريف غالب من الخدمة. وجمع حوله نواة جيش يمكن أن يساعده في أي عمليات عسكرية يمكن أن يقوم بها السعوديون ضد الشريف غالب سيده السابق.

وقام غالب بمبادرة الهجوم على العبيلاء، إذ قاد قوة ضخمة تشتمل على أعتى القوات النظامية، إلا أنه فشل في التأثير على المتمردين وتراجع إلى الطائف ليعيد تجميع قواته، وفي أعقاب ذلك تلقى عثمان استجابة رائعة لطلبه تامين تعزيزات تساعده على الهجوم على قوات الشريف، إذ قدم سالم بن شكبان لنجدته على رأس فرقة من بيشة، كما تقدم مسلط بن قطنان على رأس قوة من سبيع المستوطنين في مناطق رنية، أما حمد بن يحيى فقد جلب البقوم من تربة. وكان هادي بن قرملة

---

(١) المصدر السابق، ص١٧٣.

في المقدمة على رأس محاربين من قحطان ومن عتيبة. زحف عثمان بقواته نحو الطائف التي كان غالب قد عززها وحصنها للدفاع عنها، إلا أن منظر الأعداد الضخمة التي احتشدت ضده أملت عليه التراجع؛ لذلك سحب قواته النظامية إلى مناطق آمنة في مكة، تاركاً مدينة الطائف تحت رحمة أعدائه الذين احتلوها دون أية مقاومة عملية»[١].

وقال فيلبي عن غصاب العتيبي: «قرر سعود أن تكون قيادة تلك الحملة مناصفة بينه وبين غصاب زعيم قبيلة عتيبة، وتوجه الاثنان بالحملة باتجاه الظفير وبالقرب من حفر الباطن شاهد قادة الحملة مجموعة غزو تقدر بمئة وعشرة رجال ترد مياه فليج، فهاجمهم السعوديون وقتلوا منهم مئة وتمكن عشرة من الهرب»[٢].

وقال عن تمرد الشريف حمود أبو مسمار وتجهيز الإمام سعود بن عبدالعزيز قوات أمّر عليها غصاب سنة ١٢٢٤هـ: «أصبح من الواضح الآن أن حموداً قد بدأ تمرده ضد سعود، وعليه بدأ سعود في حشد قواته من كافة مناطق الجزيرة العربية حتى بلغ تعداد ما جمعه من القوات لقمع ذلك التمرد خمسين ألفاً. فوض سعود زعيم قبيلة عتيبة المدعو غصاباً ووضع برفقته فرقة قوية من الخيالة وخوله حق ممارسة سلطته في كافة المناطق التي شهدت ذلك التمرد، وطلب منه أن لا يتدخل في شؤون إدارة منطقة أبي نقطة الذي أبقى في يده زمام السلطة على الإقليم وقيادة القوة المتواجدة فيه... ودارت معركة تقاتل فيها الطرفان وأسفرت عن مقتل أبي نقطة وعدد كبير من رجاله. وتحركت الفرق السعودية الأخرى بكامل عدتها وعتادها وقيادتها لمقاتلة حمود، وتمكن الجيش من دحر قواته وأجبروها على الفرار... واستسلمت قلعة صبيا الضخمة دون قتال. لذا قام غصاب على الفور بوضع حامية فيها، كما أرسل قواته في كل اتجاه لإخضاعها وتحصينها...»[٣].

---

(١) المصدر السابق، ص١٨٠. ١٨١. وعنوان المجد، مصدر سابق، ص١٦٧ ـ ١٦٨.

(٢) العربية السعودية، مصدر سابق، ص١٩٨.

(٣) المصدر السابق، ص٢١١، ٢١٢. وعنوان المجد، مصدر سابق، ص١٩٣.

وقال فيلبي عن أسر عثمان المضايفي على يد رعاة من عتيبة إثر وقعة حدثت سنة ١٢٢٨هـ: «...، لكن تمكن عثمان من الهرب فقامت مجموعة من رعيان عتيبة بتقفي أثره وهاجمته في منطقة يقال لها صحراء الحزم وأسرته وسلمته إلى الشريف غالب الذي حظي في نهاية المطاف برأس وزيره السابق وأمر بإعدامه»(١).

وقال فيلبي عن غصاب: «...على أية حال تابع عبد الله المسير بقواته باتجاه الدرعية، وقبل الوصول إلى هناك ليستمع إلى قسم الولاء لحكمه وله شخصياً، أمر زعيم عتيبة غصاباً بترك الحملة والتوجه إلى تربة ليقود كافة التشكيلات العسكرية العاملة هناك، إذ أصبحت تربة الآن منطقة أساسية ورئيسة في الدفاع عن حكمه»(٢).

وقال فيلبي عن إبراهيم باشا ومن انضم إليه من العربان سنة ١٢٣١هـ: «وأقام إبراهيم في الحناكية مركزاً دفاعياً متقدماً ليبدأ في طي الجزيرة العربية متقدماً نحو جوهرتها الدرعية، وقد أسفرت الهجمات التي شنها على مواقع البدو عن إجبارهم على التحالف معه في مغامرته التي كان على وشك الخوض فيها، وكانت الجماعات الرئيسة (التي تمكن من حشدها لمساندة قواته) من قبائل حرب ومطير، علماً بأن بعض العناصر من عتيبة ومن عنزة (الدهامشة) انضمت إليه أيضاً»(٣).

كذلك قال عن غصاب في حصار الدرعية سنة ١٢٣٣هـ: «وهكذا بدأت القوة التركية تزداد يوماً بعد يوم وبدأت تتكرر حالات الفرار من صفوف المدافعين عن الدرعية إلى أن قام غصاب زعيم قبيلة عتيبة بالالتحاق بالقوات التركية، وقدم للباشا معلومات مهمة ونصائح تتعلق بطبيعة

---

(١) العربية السعودية، مصدر سابق، ص٢٣١، وقد تقدم التعليق على هذا النص، وعنوان المجد، مصدر سابق، ص٢١٠.

(٢) العربية السعودية، مصدر سابق، ص٢٣٨، وعنوان المجد، مصدر سابق، ص٢٢٩.

(٣) العربية السعودية، مصدر سابق، ص٢٤٥، وعنوان المجد، مصدر سابق، ص٢٣٦.

الأوامر والروتين الذي كانت تنتهجه القوات السعودية المدافعة. والجدير بالذكر هنا أن غصاباً كان يشغل منصب قائد قوات الخيالة الدفاعية، وكان يعتمد عليه بوصفه واحداً من أقوى أنصار أسرة آل سعود الحاكمة»[1].

وقال فيلبي عن وقعة طلال الأولى سنة ١٢٤٧هـ: «وفي شهر حزيران من عام ١٨٣١م قاد فيصل حملة قوية وتوجه بها إلى عالية نجد لغزو عتيبة، وألحق بها هزيمة كبيرة بالقرب من آبار طلال. وفي تلك الحالة من الفوضى عاد رجال القبائل ومعهم تعزيزات من تجمعات قبائل مطير التي كانت تقضي الصيف في المناطق المجاورة، فدارت الدائرة على المنتصرين، إلا أن فيصلاً وفرقة الحرس الخاصة به غطت انسحاب قواته وتراجعها باتجاه القويعية وهي تحمل معها غنائم أول معركة.وقد اشتملت تلك الغنائم على نحو ثلاثة آلاف جمل»[2].

وقال فيلبي عن غارة الإمام فيصل بن تركي على عتيبة: «وفي شتاء العام التالي ١٨٤٩م/١٨٥٠م[3] انشغل الإمام فيصل مجدداً بحملة أعدها للإغارة على تجمع لرجال قبائل عتيبة في منطقة جراب في الشمال، ووصلت أخبار الحملة التي كان يعدها الإمام فيصل إلى قبيلة عتيبة، فما كان منهم إلا أن تراجعوا إلى منطقة قبة وانضموا إلى قوة كبيرة من قبيلة مطير كانت متجمعة هناك، وعند اقتراب قوات الإمام فيصل منهم تقدم زعماء وقادة الدويش وقدموا لفيصل الهدايا وحصلوا على عفو عام منه عن كل الأعمال التي قاموا بها في الماضي»[4].

وقال فيلبي عن غارة لعبد الله الفيصل على الشيخ مرزوق الهيضل: «وفي هذه الأثناء - أي عند حوالي نهاية شهر تشرين الأول عام

---

(١) العربية السعودية، مصدر سابق، ص٢٦١، وعنوان المجد، مصدر سابق، ص٢٤٤ وما بعدها.

(٢) العربية السعودية، مصدر سابق، ص٢٩٥، وعنوان المجد، مصدر سابق، ص٣٣٢.

(٣) هذه التاريخ يوافق سنة ١٢٦٦هـ أي عام ١٨٤٩م، انظر عنوان المجد، مصدر سابق، ص٤٤٩.

(٤) العربية السعودية، مصدر سابق، ص٣٦٠.

١٨٥٠م[1] - انطلق عبد الله بن فيصل بقوة كبيرة من الرياض تعاظم تعدادها بسبب القوات التي التحقت بها أثناء المسير، وتوجه بها وجهة الحجاز في حملة قتالية شاملة. وفي الطريق استراح لفترة من الزمن في القويعية واستمر بعدها للبحث عن معسكرات زعيم قبيلة عتيبة مرزوق الهيضل وأثناء مروره بجوار آبار الشبكة وموارد مياه المصلوب في مرتفعات النير التف عبد الله بن فيصل على الحنابج واوشك أن ينال من طريدته عند آبار الثعل بمنطقة الحزم الراقي، إلا انهم سبقوه بمغادرتها قبل وصوله بقليل لعلمهم بتقدمه، وانضموا إلى قوات ابن ربيعان أحد مشاهير زعماء قبيلة عتيبة في منطقة نفي طالبين منه الحماية»[2].

وقال فيلبي عن وفاة الشيخ تركي بن حميد سنة ١٢٨٠هـ: «وفي الجزء الأخير من عام ١٨٦٣م مات الخديوي سعيد باشا في مصر وخلفه في تلك المنصب إسماعيل باشا وهو أيضاً أحد أحفاد محمد علي باشا الكبير... وحدث أيضاً في الفترة نفسها أن مات أحد كبار مشايخ قبيلة عتيبة المدعو تركي بن حميد»[3].

وقال فيلبي عن وقعة طلال الثانية سنة ١٢٩٠هـ: «انطلق سعود في دروب الغزو مرة أخرى عند أوائل شهر حزيران من عام ١٨٧٣م، واستهدف هذه المرة تجمعات قبيلة عتيبة في عالية نجد، فداهمهم في مخيماتهم عند آبار طلال وكانت الساعات الأولى من القتال لصالحه لكن سرعان ما أعاد رجال القبائل تجمعهم وعززوا أنفسهم ودارت رحى المعارك ضد سعود ومني بخسائر كبيرة في الرجال والمعدات. وبعد أن عوض الخسائر التي فقدها من مخزونه طيلة موسم الخريف، عاد سعود

(١) هذا التاريخ ربما يعادل سنة ١٢٦٧هـ وهذا غير صحيح؛ لأنه ناقل عن ابن بشر الذي ذكرها في حوادث سنة ١٢٦٦هـ انظر عنوان المجد، مصدر سابق، ص٤٥٠.

(٢) العربية السعودية، مصدر سابق، ص٣٦١.

(٣) المصدر السابق، ص٣٨٠. وتاريخ ابن عيسى، ١٧٨/٢، والنجم اللامع، ص ٧٨.

عند انقضاء العام إلى مناطق قبيلة عتيبة، علماً بأن السجلات التاريخية لم تذكر شيئاً عن طبيعة النشاطات التي قام بها هناك[(١)]»[(٢)].

وقال عن وقعة الدوادمي (الضال) بين الإمام عبدالرحمن الفيصل وعتيبة سنة ١٢٩٢هـ، أثناء حديثه عن الإمام عبدالرحمن فقال: **«ولذلك تحرك بقواته باتجاه الدوادمي وفي الطريق ولجه زعماء قبيلة عتيبة الذين كانوا يعملون على تثبيت أقدامهم في تلك المنطقة[(٣)]، ودارت معركة بينهم**

---

(١) ما ذكره فيلبي هنا نقلاً عن تاريخ ابن عيسى عقد الدرر، ولكن في تاريخ ابن عيسى المنشور ضمن الخزانة، والذي لم يكن متاحاً لفيلبي ورد فيه أن سعود الفيصل رأى عتيبة في قوة فانصرف عنهم، تاريخ ابن عيسى الخزانة النجدية، ٢/٢١٦؛ والنجم اللامع، ص٩٦-٩٧.

(٢) العربية السعودية، مصدر سابق، ص٣٩٦ ـ ٣٩٧. وتاريخ ابن عيسى، مصدر سابق، ٢/١٧٨.

(٣) هذا الرأي يمثل وجهة نظر فيلبي، ولكن أرى أن سبب غارة الإمام عبدالرحمن الفيصل على عتيبة وحدوث المعركة في شمال الدوادمي في مكان يعرف بشعيب الضال، هو ثأر لوقعة طلال التي حدثت سنة ١٢٩٠هـ حيث جرح أخوه سعود فيها وحاول سعود شن غارة عليهم سنة ١٢٩١هـ كما تقدم، وكان لدى قبيلة عتيبة علم بأن عبدالرحمن الفيصل سيغزوهم فاجتمع أكثر عتيبة تحسباً للهجوم، حيث اشترك من شيوخهم عقاب بن حميد، ومسلط بن ربيعان، ومحسن الهيضل، وهذال بن فهيد، وحسين بن جامع، وجفين بن عقيّل، ومحمد بن هندي قبل أن يترأس، ومما يروى أن الشيخ حزام بن حثلين لم يشترك ونصح ابن منيخر وقال له لا تذهب لقوم أسماؤهم مثل أسماء الترك عباس وهباس! وهذا يفيد أن الإمام عبدالرحمن كان يجهز لغزوهم وأنهم المقصودون في مسيره، وقد قتل في هذه الوقعة ثلاثة من شجعان الدوشان هم بندر راعي طوقى، وبشيت وشريان الدويش، كما قتل من شجعان آل سعود ثلاثة من آل فيصل، وآل فرحان، وآل تركي، وقد قال الشاعر سهاج بن ربيعان قصيدة يصف فيها بعض أحداث هذه الوقعة منها:

وجت الحريق عند جمع الهيضل ... آلاد مفلح عسكر السلطانِ
يروسهم محسن على مذعوره ... منشاه من صاهد ليا عارانِ
وجفين ضف الخيل لين اطاعت ... متيه العشوى بعد خونانِ

.. إلخ. =

منى عبدالرحمن فيها بالهزيمة والخسائر»[1].

وقال فيلبي عن غارة للأمير محمد بن رشيد ومعه حسن بن مهنا على عتيبة بجانب شقراء سنة ١٢٩٤هـ: «١٨٧٧م. وفي وقت لاحق من ذلك العام انضم حسن ابن المهنا إلى قوات محمد بن رشيد في الغارة التي شنوها ضد قبيلة عتيبة التي كانت تخيم في الجوار»[2].

وقال عن حصار المجمعة من قبل الإمام عبد الله الفيصل ومعه عتيبة سنة ١٢٩٩هـ: «وقد حشد عبد الله مقاتليه من عشائر العارض ومن عتيبة ليقودهم باتجاه المجمعة، فما كان من أهالي تلك المنطقة إلا أن ناشدوا ابن رشيد أن يقدم لهم العون الذي كان قد وعدهم به، وتجلت ردة فعل محمد بأن أرسل على الفور قوة كبيرة إلى بريدة، وهناك انضمت إلى تلك القوة جماعات مقاتلة بقيادة حسن المهنا، بمن معه من فرق القصيم. وبعد أن تأكد من تعزيز القوة تقدم بها حتى وصل إلى الزلفي. وكان مجرد خبر تقدم قوات محمد كافٍ لأن يجعل عبد الله يهرول عائداً إلى الرياض بعد الحصار غير المجدي الذي دام أربعين يوماً»[3].

وقال فيلبي عن وقعة عروى: «في تلك الأثناء قام أبناء سعود بالتصدي لتحديات تنامي سيطرة ابن رشيد على مناطق نجد فقام محمد أكبر أبناء سعود بتنظيم قوة شكَّل رجال قبائل عتيبة الجزء الأكبر من مقاتليها. وكانت هذه القوة معسكرة بالقرب من آبار عروى في منطقة العرض وهناك هاجمتها قوة مشتركة من رجال حسن المهنا، فانهزمت قوات محمد بن سعود[4] وتراجع إلى الخرج»[5].

= انظر: تاريخ ابن عيسى مصدر سابق، ٢/ ٢٣٢، وعقد الدرر، ص ٩٤. ضمن الخزانة، والنجم اللامع، ص٩٨-٩٩.

(١) العربية السعودية، مصدر سابق، ص ٣٩٩.

(٢) المصدر السابق، ص٤٠١. وعقد الدرر، مصدر سابق، ص١٠٤.

(٣) العربية السعودية، مصدر سابق، ص٤٠٤. عقد الدرر، مصدر سابق. ص ١٠٥.

(٤) لا أعرف ماذا يقصد فيلبي بهذه الوقعة التي ذكرها في حوادث سنة ١٣٠٠هـ، لأنه ذكر وقعة عروى فيما بعد كما سيأتي.

(٥) العربية السعودية، مصدر سابق، ص٤٠٥.

وقال فيلبي عن وقعة عروى سنة ١٣٠٠هـ: «**ومرة ثانية هطلت أمطار غزيرة وكان ابن رشيد في تلك الأثناء يغير على قبيلة عتيبة التي وجدها مجتمعة بكامل قوتها في منطقة عروى وهي مسرح الأحداث التي وقعت في عام ١٨٨٧م[1]. ودارت اشتباك بينهم، ويبدو أن البدو الذين كانوا تحت قيادة رجل يدعى محمد بن هندي تمكنوا في البداية من تحقيق النصر، إلا أن وصول مجموعة قوية من القصيم بقيادة حسن المهنا مكنت ابن رشيد من إلحاق الهزيمة برجال القبائل والاستيلاء على ماشيتهم ومعدات معسكراتهم**»[2].

وقال فيلبي عن غارة أخرى: «**شهد خريف العام التالي ١٨٨٧م أيضاً أمطار[اً] غزيرة سالت على إثرها الأودية، وخلال هذا الموسم وجه ابن رشيد غزواته باتجاه العجمان ورافقه في تلك الغزوات مرة ثانية أمير بريدة، وقصة أحداث العام التالي كانت مشابهة لأحداث هذا العام، وكانت**

---

(١) هذا التاريخ يوافق نهاية سنة ١٣٠٤هـ أو بداية سنة ١٣٠٥هـ، والواضح في نصه أنه يقصد وقعة عروى سنة ١٣٠٠هـ فلعله اعتمد على بعض المصادر المخطوطة مثل مخطوطة عنوان السعد والمجد، لعبدالرحمن الناصر، ورقة ٣٣، ٣٤، والذي ذكر أن تاريخ عروى سنة ١٣٠٣هـ، وإذا كان كذلك فإنه وقع أيضاً في خطأ.

(٢) ما ذكره فيلبي هو نقلٌ عن تاريخ ابن عيسى عقد الدرر، ولكن أخبرني بعض رواة عتيبة شخصياً بأن المعركة انتصر فيها العتبان أول المعركة، وبعد وصول مدد حسن بن مهنا بمن معه من أهل القصيم تعادلت الكفة، وهو ما يوافق قول شاعر عتيبة:

لولا حسن نوخ بذربين الأيمان　　　راحت عليكم يا بو ماجد كسيره

حيث إن ابن رشيد أرسل لمحمد بن هندي بن حميد وذهب إليه ومعه فرسان من قومه، فقال له ابن رشيد: أعيدوا الخيل التي قلعتموها ونحن سوف نعيد لكم الإبل. عندها قام ابن هندي بإرجاع الخيل وقام ابن رشيد بإعادة الإبل، لكن ابن هندي قال لابن رشيد: الخيل رجعت يابن رشيد لكن أين فرسانها؟! فغضب ابن رشيد وتغيّر حاله، عندها خرج ابن هندي ومن معه.

كما أن للعفار قصيدة يوضح فيها أن نقائصهم لم تكن ذات أهمية، وأنهم قلعوا خيلاً من جيش ابن رشيد حيث يقول:

حنا نقايصنا هروس وشنّ　　　ولا عندنا في باقي القش لو مال

خذنا عوضها كل قبّ تعنّ　　　وعداتنا نخلي ظهر كل مشوال

قبيلة عتيبة مرة ثانية ضحية تلك الغزوات»[1].

وقال فيلبي عن غزوات شنها ابن رشيد على بعض القبائل منها عتيبة: **«وعلى أي حال أمضى ابن رشيد الأشهر المتبقية من موسم عام ١٩٠٢م/ ١٩٠٣م[2] في حملات غزو شنها في اتجاهات متعددة. وقد شجعته الانتصارات التي حققها ضد قبيلة عتيبة بالقرب من الأرطاوية وضد قبيلتي سبيع والسهول في صحراء الدهناء»[3].**

وقال فيلبي عن انضمام جزء من عتيبة إلى قوات ابن رشيد: **«استسلمت بريدة في أوائل شهر حزيران يونيو من عام ١٩٠٤م، وبعد مضي بضعة أسابيع على هذا الحدث بدأ ابن رشيد يتحفز، إذ كان الأتراك قد مدوه وبشكل تام بالمال والسلاح والمعدات، وأصبح بمقدوره أن يحشد ضمن قواته أعداداً كبيرة من بدو قبيلة حرب وقبيلة عتيبة[4] إضافة إلى رجال قبيلته من شمر»[5].**

وقال فيلبي عن استدعاء الملك عبدالعزيز لقبائل عتيبة في إحدى مواجهاته مع سلطان الرشيد: **«وهناك استدعى قبائل عتيبة وقحطان وسبيع والسهول وطلب منهم الاستعداد بكامل قواتهم، ثم سار باتجاه عنيزة وأغار على مواقع قوات سلطان المتقدمة، وأرسل بقوة لتسيطر على قبيلة مطير في الطرفية، ومن هناك تحرك شخصياً على رأس قوة ليلحق بقوات فيصل هزيمة نكراء ويحتل معسكرهم»[6].**

وقال فيلبي عن تحرك الشريف حسين ومروره بمناطق عتيبة: **«وفي نهاية عام ١٩١١م أو بداية العام التالي تحرك الشريف الحسين على رأس**

---

(١) العربية السعودية، مصدر سابق، ص٤٠٩.

(٢) هذا التاريخ يوافق: ١٣٢٠هـ أو ١٣٢١هـ.

(٣) المصدر السابق، ص٤٢٩.

(٤) أعتقد أن من انضم إلى ابن رشيد من عتيبة عدد قليل نظراً لوجود العداوة بين ابن رشيد وعتيبة.

(٥) المصدر السابق، ص٤٣٥.

(٦) المصدر السابق، ص٤٤٦.

قوة ضخمة مروراً بمناطق قبيلة عتيبة ووصل إلى القويعية وذلك في اللحظة نفسها التي كان سعد بن عبدالرحمن الأخ المقرب لابن سعود قد وصل إليها لحشد المحاربين في صف ابن سعود. وتمكن الشريف الحسين من أسر سعد وأخذه كرهينة وطلب من ابن سعود أن يدفع فدية لإطلاق سراحه، وتجلت تلك الفدية في قبول ابن سعود بسيادة السلطة العثمانية إضافة إلى دفع جزية اسمية عن إقليم القصيم. قام بمطاردة قوات الشريف الحسين التي تراجعت باتجاه الغرب حاملة معها ما سلبته من غنائم ثمينة. والمعروف عن الشريف الحسين أنه كان يتجنب الأماكن التي يمكن أن تستعر فيها المشكلات على نار هادئة. ولم يكن أمام ابن سعود الكثير من الخيارات، فكان مستعداً لفعل أي شيء لإنقاذ أخيه من براثن العدو. وبعد أن فشل عدة مرات في التفاوض مع الأتراك عبر قنوات أخرى، وجد نفسه مضطراً للتوقيع على الوثيقة التي عرضها عليه الشريف الحسين. وحمل الشريف الحسين تلك الوثيقة وهو في غاية السعادة وتم إطلاق سراح سعد[1] والتحق بقوات أخيه»[2].

وقال عن هجرتي الغطغط والأرطاوية: «**وفي منطقة ضرما نهجت هجرة الغطغط منهج الأرطاوية وشكلت عناصر قبيلة عتيبة فيها نواة تعاظمت مع مرور الزمن لتصبح ثاني منطقة من حيث الحماسة والأهمية بعد الأرطاوية**»[3].

وقال فيلبي عن بعض هجر عتيبة: «**كانت جماعة برقا من قبيلة**

---

(١) ذكر المؤرخ محمد العبيّد في مخطوطته النجم اللامع: أن الشيخ محمد بن هندي ابن حميد لعب دوراً بارزاً في إطلاق سراح سعد أخي الملك عبدالعزيز، حيث يذكر أن الملك أرسل رسالة إلى ابن هندي وقد قرأها سعيدان على ابن هندي تتضمن الوعيد والتهديد إن لم يطلق سراح الأمير سعد. انظر النجم اللامع ص١٦٥-١٦٧، وتاريخ الكويت السياسي، ٣/ ٣٧.

(٢) العربية السعودية، مصدر سابق، ٤٥٥ ـ ٤٥٦.

(٣) المصدر السابق، ص٤٦٣. قلت: هجرة الغطغط لا تقل أهمية عن الأرطاوية إن لم تفقها من حيث العدد والشهرة، وكما يقول محمد جلال كشك: نواة جيش الإخوان هم أهل الغطغط، انظر السعوديون والحل الإسلامي ص ٦٥٨.

عتيبة هي الجماعة المسؤولة عن الغطغط والروضة وعروى وسنام، في حين عملت جماعة الروقة على إنشاء تجمعات في الداهنة والصوح وعرجا وساجر وعسيلة وكبشان ونفي»[1].

وقال فيلبي عن هجرتي الغطغط والأرطاوية وزعيميها: «وقد تزعم هذه الحركة من جماعة الإخوان كل من فيصل الدويش من قبيلة مطير، وسلطان بن بجاد من قبيلة عتيبة. وكان فيصل رئيس هجرة الأرطاوية، وكان سلطان رئيس هجرة الغطغط»[2].

(١) العربية السعودية، مصدر سابق، ص٤٦٤. وقد ذكر مراجعو كتاب فيلبي: أن توزيع فيلبي للهجر منقول عن ابن ناصر، وهو حصر غير دقيق. وفيه تداخل بين الهجر وبين القبائل التي استقرت فيها. قلت ومن ذلك النبوان التي عدها فيلبي لجماعة شمر وهي من هجر عتيبة.

(٢) العربية السعودية، مصدر سابق، ص٥٤٠.

(٢٧)

قلب الجزيرة العربية
سجل الرحلات والاستكشافات
الجزء الأول

تأليف

هاري سانت جون فيلبي

تعريب

د.صلاح علي محجوب

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م

قلب الجزيرة العربية سجل
الرحلات والاستكشافات - الجزء الأول -

قال فيلبي: «هناك كثير من عتيبة والدواسر وآخرين ممن يذهبون إلى البحرين في موسم اصطياد اللآلىء، بينما يتخذ بعضهم حياة البحار وسيلة فقط لجمع ما يكفي من مال لشراء الإبل وللزواج»[1].

وقال فيلبي: «ولم أستطع أن أوضّح لابن سعود أن ما يدُفع للشريف كان اعترافاً بخدمات عظيمة يقدِّمها أو يُتوقع أن يقدمها في شأن الحرب ضد القوات التركية. وفي لحظات الصراحة كان ابن سعود يعترف بأنه كان يتوقع أن يُعامل على قدم المساواة مع غريمه في المجالين السياسي والمالي، كما أنه كان يطالب بألاّ ينتهك الأخير حقوقه في السيادة، إذ إنّه برهن على رغبته في فعل ذلك بادعائه السيادة على قبائل عتيبة وحرب التي تعيش داخل حدود نجد»[2].

وقال فيلبي وهو يذكر جرمان العتيبي: «منذ أن بدأت رحلاتي من الساحل وحتى هذه اللحظة لم يكن ضرورياً اتخاذ احتياطات للسلامة بمحاولة إخفاء وجودنا أو بحماية مخيمنا، ولكن تغير الحال الآن، لقد

---

(١) أعتقد أن ذهاب العتبان خاصة إلى البحرين من أجل الغوص وطلب المعيشة جاء في وقت متأخر أي بعد تأسيس المملكة أو قبيل ذلك بسنوات قليلة.

(٢) قلب الجزيرة العربية، ١/ ١٧٨.

تنحينا عن الطريق لتجنب عابري الصدفة، وأقمنا مخيمنا في وادٍ عميق لإخفاء نيراننا، وكان من بيننا أربعة رجال من قبيلة عتيبة وهم الآن مسؤولون عن سلامتنا، وكانوا بين الحين والآخر يخرجون ليرتقوا الروابي الرملية المحيطة بنا ويعلنوا للملأ: «انظروا يا رجال عتيبة، هذا أنا جرمان رجل من برقا، وهاأنذا أقول لكم نحن رجال ابن سعود في طريقنا للشريف، لذا لا يتحرشن أحد بنا، ومن يسمع قولي فليأت إلينا ليشاركنا عشاءنا، أو ليشرب القهوة معنا، مرحباً بكم. ولكن لا تتحرشوا بنا، فإن حصل فلا تدّعوا لاحقاً أنكم لم تدروا من نكون وما هي صفتنا لاقت هذه الدعوة وغيرها آذاناً صمّاء، ولم يعكر صفونا أحد طوال الليل»[١].

وقال فيلبي عن علاقة عتيبة ببعض القبائل: «تبدأ سلسلة الحمراء الجبلية متجهة نحو الجنوب من الخط الذي يربط الشعراء بالدوادمي، هذان المكانان يقعان على بعد ثلاثين ميلاً، عليالتوالي، وإلى الشمال الغربي والشمال الشرقي من الرويضة، وتمتد جنوباً إلى جبل صحابة المرتفع في الطرف الجنوبي لسلسلة تلال عروى - عريويات - طحيّ[٢]. تقع قرية الرويضة على ارتفاع ٣٢٠٠ قدم فوق سطح البحر، وتعلو قمم السلسلة الجبلية الرئيسة ذلك الارتفاع بحوالي ٥٠٠ قدم أخرى، ولكن كتلة صبحا المنعزلة لا يمكن أن يقل ارتفاعها عن٥٠٠٠ قدم فوق سطح البحر، بل لعلها أعلى من هذا، وهي وفقاً لتقدير العامة، أعلى الجبال في مرتفعات نجد. تمتد سلسلة جبال الحمراء من الشرق للغرب لمسافة تقارب عشرين ميلاً تجري بطول الطريق الذي سلكناه من منخفض جربوعة إلى القصورية، وقد تقل هذه المسافة قليلاً بقياس خط مباشر بين القريتين.

---

(١) المصدر السابق، ١/ ٢١٥.

(٢) طحيٌّ: ماءٌ قديم.عدّ عذب، وفير الماءِ، يقع في حمرة العرض جنوبياً غربياً من بلدة رويضة العرض، على بعد ثلاثة عشر كيلاً. وتطل عليه من الشمال هضاب حمر، لها رؤوس بارزة تدعى هضاب طحي. وقد تأسّست فيه هجرة حديثة لقبيلة العصمة من عتيبة، وفيها زراعة ونخل، وطحيٌّ معروف بهذا الاسم قديماً وفي هذا العهد. انظر عالية نجد، مصدر سابق، ٢/ ٨٧٤.

كانت كل هذه «الديرة» ملكاً لقبيلة مطير العظيمة فيما مضى من زمان مع بعض الوجود لعناصر من سبيع والسهول، وكانت تعيش كلها في سلام، ولكن ضغوط قحطان من الجنوب الغربي وعتيبة من الغرب أدت إلى إجلاء هذه المجموعة، وفي الوقت الحالي فإن الأطراف الجنوبية لسلاسل الحمراء والعرض ـ بما في ذلك صبحا وجبال الحصاة ـ تقع تحت سيطرة قحطان الذين ينافسون عتيبة من أجل المراعي التي تقع جنوب طريق الحجاج مباشرة، بينما تسيطر قبيلة عتيبة بلا نزاع على سلاسل الحمراء إلى الشمال من ذلك الخط وعلى كل العرض حتى الفرع تقريباً»[1].

وقال فيلبي: «رغم أن الموقع يبدو في ظاهر الأمر مكاناً ملائماً للاستيطان الدائم، إن وجد العرب أن يستوطنوا في مثل هذا الموقع المعزول عن كل حضارة. لقد سبق أن خطرت الفكرة لابن سعود في سياق مشروعه لتوطين «الإخوان» ولكنها لم تجد حتى الآن سوى القليل من الاستجابة في أواسط البدو، ولن تستطيع سوى قبيلة عتيبة من وضع يدها على موقع كهذا. لقد قام ابن سعود في حوالي ١٩١٢م ـ وهو الذي لم يتوغل حتى الآن[2] إلى الغرب من الصخة[3] ـ باتخاذ هذه الآبار قاعدة قام منها بهجوم مشهود على عتيبة ليعود بعدها متوجاً بأكاليل النصر ومحمّلاً بالغنائم. ورغماً عن هذا فإن قبضته على هذه القبيلة ـ التي ينازعه الشريف عليها ـ كانت على الدوام غير مستقرة، ورغم أن حركة الإخوان قد تلقت مؤخراً اهتماماً كبيراً من قادة القبيلة، إلا أن مزايا وجود حماية ذات ولاء لا تخالجه الريبة في موقع كهذا يمهد السبيل للسيطرة على القبيلة»[4].

---

(١) قلب الجزيرة العربية، مصدر سابق، ١/ ٢٣٨.

(٢) ولكنه في مايو (أيار) ١٩١٩م تخطى هذا الموقع ثانية في طريقه إلى الخرمة وتربة اللتين تقعان خلف الصخة بكثير، لقيادة العمليات الحربية التي أدت إلى نصره الحاسم على القوات الشريفية التي كان على رأسها عبد الله، ابن الملك (المراجعون).

(٣) الصخة: ماء قديم يقع جنوب بلدة الخاصرة غير بعيد منها. انظر عالية نجد، ٢/ ٨٣٨..

(٤) قلب الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩.

وقال عن هجوم محتمل عليهم في عرق سبيع: **«لقد كان الخيار الذي يفرضه العقل هو أن نُسرع في طريقنا بأقصى سرعة ممكنة، أيدت أنا هذا الاقتراح بقوة، ولكن إبراهيم الذي كان قد استحوذ على تفكيره أنه لم يفطر بعد، كان له رأي آخر: «دعونا نترك وراءنا وسمنا ونتوقف للإفطار في أول موقع ملائم، يا جرمان انزل واترك وسمنا[1] على الطريق» هكذا أمر إبراهيم، واستجاب العتيبي للأمر مخططاً على الرمال وسوم ابن سعود، والشريف وقسم برقا من قبيلة عتيبة، وسبيع. كانت هذه هي طريقة الصحراء البسيطة في التفاهم، البديل الذي يتّخذه البدوي للكتابة، وهي كافية للإعلان عن ممتلكات من القطعان وغيرها، وعن هوية مجموعات مسافرة، وكانت كافية على الأقل لتحذِّر المغيرين المتجهين صوب هذه المجموعات. وسألتهم: «ولكن هل يكفي هذا؟ ما الذي يمنع أي قافلة مسافرة، سواء كانت في حراسة الرفاق أم لا، من ادعاء هوية مختلفة لئلا يتعقبهم أحد، أو أن تقوم بعض عصابات السلب نفسها بالخداع لتسوق الآخرين نحو كمين؟» كانت الإجابة بسيطة وحاسمة: «لا يفعل أحد مثل هذا الفعل قط» سيتداعى كل النسيج الذي يشدُّ المجتمع القبلي إن انتهكت قوانين الصحراء»**[2].

وقال فيلبي عن رفقاء رحلته ومنهم من ينتمي إلى عتيبة: **«كان طامي وحيلان، وهما من عتيبة، وأبو نوره وهو من حرب، متقدمين قليلاً أمام زميع وأنا وقليل من الآخرين، بينما كان إبراهيم ومعظم المجموعة بما في ذلك قافلة المتاع يسيرون خلفنا بمسافة ما، كانوا في أسفل منحدر رملي طويل ارتقيناه بصعوبة ومعاناة»**[3].

وقال فيلبي: **«وفي هذه الاثناء لم يكن هناك ما نستطيع فعله سوى أن نرفع أيدينا قبالة فوهات بنادق تنذر بشؤمٍ وأن نتفاوض مع خصمنا، ثم ساد هرج ومرج وصياح لم أسمع مثله إلا نادراً. خرج ثلاثة أو أربعة من**

---

(١) هذه هي العلاقات القبلية للبدو، بدائية وبسيطة وتمكن الأمي من التمييز بين ممتلكات إحدى القبائل أو الأقسام عن غيرها. (المؤلف).

(٢) المصدر السابق، ١/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧.

(٣) المصدر السابق، ١/ ٢٥٧.

معارضينا من مخابئهم بين الشجيرات، ثيابهم رثة ورؤوسهم حاسرة، بينما أزاح الآخرون بنادقهم المصوبة نحونا، وفي المفاوضات التي تلت ذلك كان كلٌ منهم يصيح بأعلى صوته، والجميع يصيحون معاً، ولم أفهم كلمة مما قيل. كان رفاقنا الحراس من عتيبة متأخرين خلفنا، لكنهم تقدموا الآن نحو واجهة عراك الكلمات .«سلام عليكم»، «وعليكم السلام» لقد انطلقت كلمات السلام وزال التوتر. قال لي سعد: «تعال معي» وتبعته مستجيباً، بينما تجمع الأصدقاء والأعداء على قمة سلسلة التلال للتوادد. قال لي إبراهيم: «دعنا نخيم هنا للمبيت»، فوافقت بعد قليل من همهمة، إذ لم يكن هناك كبير أمل في أن نصل إلى الحافة البعيدة للنفود، وكانت الرياح الشمالية قد بدأت تهب مُنَوِّمَة الرمال في هذا الاتجاه وذاك حتى صرنا لا نرى ما حولنا إلا قليلاً»[١].

وقال فيلبي: «أخبرنا رجال القافلة الأخرى أن الإقليم الذي يقع أمامنا في حالة اهتياج، وأن الطريق الذي يقود إلى مكة من الخرمة لم تكن قبيلة البقوم لتسمح باستخدام سبيع له بأمر من الشريف. وكان الأمير المحلي من بني ثور وهو قسم من قبيلة سبيع [مستعداً] لمقاومة انتهاكات من يسعى للسيادة عليهم، ويُتوقع أن يستعر القتال في أي وقت. كانت هذه أنباء مفيدة لنا وكافأناهم على معلوماتهم بأن حذَّرناهم من مغيري عتيبة وقحطان الذين سمعنا عنهم كثيراً دون أن نرى إلا قليلاً منهم في الإقليم الذي كان عليهم اجتيازه بعد ذلك. تركناهم صباح اليوم التالي وهم قاعدون قرب نارهم في ساعة باردة من الفجر وواصلنا سيرنا المتقطع فوق الرمال»[٢].

وقال عن جرمان العتيبي: «أثناء عبورنا لهذا الشعيب بدأت حمرا تعرج مما أصابني بالذعر، وبدأت تضرب خفها بالأرض لتخلص نفسها من شوكة ألية. استطاع جرمان الذي كان بجواري من انتزاعها دون عناء مستخدماً أدوات بدائية يحملها لهذه الغاية كل راكب»[٣].

---

(١) المصدر السابق، ١/ ٢٥٨.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٢٥٩.

(٣) المصدر السابق، ١/ ٢٧٩.

وقال فيلبي عن جبل كرا وقبائل الجبال: «وقد كان تخطيطي أن أرتقي لقمّة جبل كرا، حيث وعدني العريف علي بأن يُريني الحدائق وحقول الحبوب التي تتشبث بوهن بجوانبه شديدة الانحدار. ولكن تخطيطي لم يضع في الاعتبار ما قد يأمر به الملك، ولم يتحقق مشروعي. قبائل الجبال هي قريش وثقيف وقسم الثبتة من قبيلة عتيبة، ولكن الأشراف يقطنون معظم الوادي؛ الأشراف هم السلالة المنحدرة عن النبي ﷺ»[1].

وقال فيلبي عن إحدى القضايا التي شهدها وحضرها أحد شيوخ عتيبة: «في صباح يوم ٢٨ ديسمبر (كانون الأول)، وبعد أن اكتملت الاستعدادات للسفر، أمرت إبراهيم للخروج بالإبل إلى باب الساحل انتظاراً لقدومي، وقادني مضيفي لأودّع الأمير الذي وجدناه في قاعة المحكمة في السوق جالساً في شرفة نافذة مُطِلَّة على السوق في غرفة في الطابق الأعلى ممتلئة بجمهور من البدائيين المنتظرين في صبر وضوضاء كما هو حال العرب، كلٌ ينتظر فيما يبدو، دوره في المثول أمام كرسي العدالة في شرفة وكان حسين بن جودي يساعد حمود في نظر القضايا، جالساً إلى يمينه فوق مقعد النافذة، بينما وقف إلى يساره أحد الأعيان، شيخٌ ـ فيما أعتقد ـ من عتيبة يسمى قُلَيِّل[2]، وكان الشيخ يقوم بدورين، كشاهد خبير وكمستشار للادعاء أو الدفاع في القضية المعروضة أمام الأمير، مررتُ عبر الحشود بصعوبة وجلست بناءً على دعوةٍ من الأمير في الشرفة، بينه وبين حسين وأنا أتوسل إليه أن يستمر في الاستماع للقضية حتى يفرغ منها دون أن يعيرني انتباهاً، واستجاب لالتماسي وتمتعت بفرصة متابعة مجريات قضية يُنظر فيها وفقاً للقانون البدوي...»[3].

---

(١) المصدر السابق، ١/ ٣٠٠.

(٢) لعله قليّل بن عايد شيخ اللصة من الثبتة أهل الحجاز، وهو معاصر لهذا التاريخ.

(٣) المصدر السابق، ١/ ٣٠٩ ـ ٣١٠، وذكر فيلبي أن القضية قضية قتل وانتهت بقبول الدية.

وقال فيلبي عن الثبتة أهل الحجاز: «**وتوقفنا ساعة لتناول وجبة منتصف النهار الممتعة التي تكوّنت من الخبز وعسل النحل والجبن والرمان. ففرغت من تناول الطعام واستدفأت بأشعة الشمس مستلقياً على الحشائش وأنا أدخّن غليوني في أمان في صحبة مصيّص الدليل والرفيق وشيخ قبيلة الثبتة[1] التي تمتلك كل هذه المنطقة من التلال السفحية.**

كان الشيخ أسمر اللون، ولا يقل عمره عن ستين عاماً، وكان محافظاً على قوامه، أشيب الشعر، كما كان طيباً ويتمتع بروح دعابة خشنة. الثبتة - فيما - ادّعى - هي الفرع الأم لكل عتيبة[2] الذين هم سادة الإقليم الجبلي حتى يومنا هذا، وهي التي أنجبتهم في أزمان قديمة، لذا فإن لهم السيادة على عشائر الروقة وبرقا الكبيرة التي ترعى سهول غرب نجد. كان الشيخ يحمل غليوناً أجعد من طين، وأعجبه تبغي فأثنى عليه، وبقي معي ليدخن بينما ذهب رفاقي بعد أن حفروا الأرض الرملية - وفقاً لنصيحته - بعمق حوالي ست بوصات ليحصلوا على الماء، فتوضأوا واصطفوا للصلاة. نظر إليهم حينما بدأ الإمام في قراءة سورة الفاتحة ووجههم ببساطة بأن يستديروا لليسار قليلاً لا تشملوا أي لا تتجهوا صوب الشمال بهذا القدر، وحوّل الإمام وجهته دون أن يقطع صلاته، بينما حذا المصطفون خلفه حذوه. ووفقاً للبوصلة التي كنت أحملها كان الاتجاه درجتين إلى الجنوب من الغرب. كنا حينها على بعد حوالي اثني عشر ميلاً شمال شرقي الطائف. بعد هذا الموقع كانت مراقبة رفاقي في أوقات الصلاة مصدراً للمتابعة بالنسبة لي، إذ إنهم عندما اقتربنا من البيت الحرام فقدوا كل إحساس بالاتجاهات. تتبعنا الآن

---

(١) الثبتة أهل الحجاز وهم من برقا من بني سعد من عتيبة.

(٢) هذا الادعاء غير صحيح، لأن عتيبة في الحجاز هم بنو سعد الذين ينقسمون إلى قسمين أحدهم الثبتة والقسم الثاني يقال له: البطين، وفروع عتيبة على الغالب تعود إلى هذين القسمين، ومن هنا تبطل هذه الرواية وهذا الادعاء. أما قوله إنهم هم سادة الإقليم الجبلي فهذه المعلومة أيضاً غير دقيقة، والأصح أن سيادة الإقليم الجبلي لكلا الفرعين البطنين والثبتة.

المنحدر السريع لشعيب الراقد، وعرضه ثلاثون إلى خمسين ياردة، بين منحدرات صخرية شاقهة ترتفع لمئتي قدم أو أكثر. وبعد هبوط استمر لمسافة ميلين، بلغنا مهد سيل الغربان، ومررنا بقطيع من خراف عتيبة السوداء في دائرة متسعة من أشجار السنط، ثم تنحينا جانباً لنرتقي ممراً شديد الانحدار تغطيه الحجارة الجلمودية المدوَّرة، ويُسمى ممر ريع الزلالة. وفيما أعتقد فإن الصخرة العجيبة التي رآها داوتي[1] تقع على رأس سيل الغربان والتي شاء الحظ العاثر ألا أراها، إذ إن مسيس كان عجلاً للوصول إلى غايتنا قبل حلول الظلام فلم يخبرني بوجودها، إلا بعد حين، حيث صارت العودة إليها غير ممكنة. يُقال إن شعيب الراقد يصب في السيل الكبير».

وقال فيلبي: «كانت تقع قبالتنا على الجانب الأيسر لمهد السيول قرية السيل، مجموعة متواضعة من أكواخ حجرية يسكنها رعاة من الثبتة، وعن يسارنا كانت تقع الجبال العالية التي ينحدر منها السيل الكبير صوب الشرق حتى يصل إلى سلسلة تلال منخفضة تبعد عدة أميال عن يميننا والتي يمر عليها طريق حجاج نجد حتى عشيرة التي تبعد عشرين ميلاً. كانت حصيلة مسيرة اليوم هي عشرون ميلاً، هبطنا خلالها ١٥٠٠ قدم، إذ إن السيل تقع على ارتفاع ٣٨٥٠ قدماً فوق سطح البحر».

وقال فيلبي: «وهذا المجرى في حقيقة الأمر هو مجرى السيل نفسه رغم أنهم يطلقون عليه محلياً في هذه النقطة اسم وادي بعش. وفي هذا الموقع تخطينا حدود الثبتة لندخل إلى حدود هذيل، وهم بكل المقاييس قبيلة رعوية، وذات علاقة بعيدة مع قبيلة حرب»[2].

وقال فيلبي: «كانت الإبل والخراف تنتشر في المراعي حولنا، وكانت الإبل المنتشرة سوداء اللون مما يدل على وجود بدو عتيبة أو حرب الذين يحتكرون فيما يبدو القطعان ذات اللون القاتم، ولا ندري ما السر في أن الخراف السوداء هي الغالبة في قطعان كل البدو هنا، على النقيض

---

(١) كتاب داوتي: C.M.D، الجزء الثاني ص ٥٢٨ (المؤلف).

(٢) قلب الجزيرة العربية، مصدر سابق، ١/ ٣٢١.

من تلك التي تمتلكها قبائل رعاة الضأن في منطقة الفرات، إذ إنها بيضاء كلها تقريباً. ما لبثنا أن اكتشفنا مُخيم جيراننا، الذين وضح أنهم كانوا من عناصر «الإخوان» من قسم آل رُبيعان من قبيلة عتيبة، والذين يقيمون الآن مع مطير في الأرطاوية»[(١)].

وقال فيلبي: «بعد أن غادرنا الآبار، كنا نعبر بين الفينة والأخرى مجموعات صغيرة من الخيام التي تخصّ في معظمها إخوان عتيبة من فرع القُرينية. كانت مشاهد جميلة تنبىء عن الأمان الذي يعيشه الرعاة. كانت قطعان الخراف السوداء موزعة في كل مكان أو جاثمة محتشدة حول الخيام. وبإزاء إحداها وقفنا لنشرب (اللبن) الشهي وهو مخيض لبن الشياه، بينما كنّا نراقب في هذه الأثناء امرأة تخض اللبن في صميل مصنوع من جلد الأغنام مررنا بمخيمات صغيرة لعتيبة وجماعات آخرين من الإخوان، وتمتعنا في بعضها بالضيافة في شكل لبن؛ كما اكتشفنا عشاً لحباري وبداخله أربع بيضات وهو عدد غير معتاد، وفقاً لإفادة ضيدان الذي قال إنّ ذلك الطائر لا تبيض أنثاه أكثر من ثلاث بيضات».

وقال فيلبي: «إضافة لهجر الإخوان التي نظمها ابن سعود بهذه الطريقة فإنه وضع في طبقة الإخوان نفسها من ناحية عملية كل قبيلة سبيع وقبيلة الدواسر، والجزء النجدي من قبيلة قحطان، وجزءاً كبيراً من قبائل عتيبة وحرب ومطير، بخلاف الذين تم استيعابهم [من] الإخوان ويحتفظون في ذات الوقت، بتنظيمهم القبلي بدرجة كبيرة»[(٢)].

وقال فيلبي: «كان ابن سعود خلال هذه المناقشات يعود مرّة إثر أخرى لإبداء قلقه لنوايا الشريف وتوجُهاته. وكان وجود بعض شيوخ عتيبة في معسكره يذكره بالشريف وبتطوعه في التدخّل في مسألة الغطغط في ديسمبر (كانون الأول) الماضي. بدأ الأمر بأن قامت جماعة من عتيبة تحت إمرة رجلٍ يدعى ابن حُمَيد بمهاجمة جماعة من الإخوان

---

(١) المصدر السابق، ١/ ٤٤٩.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٤٧٣.

أثناء أدائهم للصلاة بالقرب من الغطغط ورد الإخوان بقتل ابن حميد الذي وصل أقرباؤه إلى جدة أثناء وجودي بها ليضعوا شكواهم بين يدي الشريف. كان الشريف عاجزاً هو الآخر عن أن يفعل شيئاً فقام بتصعيد الأمر بأن رفع تقريراً عن الحادث للسلطات البريطانية. لكن لم يَعُد هذا بشيء للمتضررين الذين تصدّوا للأمر بأنفسهم فأغاروا على الإخوان وأخذوا بعض الإبل، وردّ الإخوان بهجوم عنيف على المعتدين بالقرب من نفي على الحدود الغربية للقصيم وقتلوا منهم عدداً لا يقلّ عن ثلاثة وثلاثين دون أن يتكبدوا هم أنفسهم سوى خسائر قليلة. عند بلوغ الأمر هذا الحد بدا لعتيبة أن يلتمسوا من ابن سعود تسوية الأمر، ونتيجة للصلح الذي تمّ فإنّ ممثلين للجانبين ينشغلون الآن في تسوية المستحقات المالية تحت رعاية ابن سعود على الأساس المعتاد لديات القتلى. وتمخّضت الاتفاقيات عن تحديد مبلغ ٤٠٠ دولار دية لكلٍّ قتيل، وبينما كان ضحايا أهالي الغطغط أكثر، إذا [إذ] كان الفرق بين ضحاياهم وضحايا عتيبة٢٧ قتيلاً، أعلن أنّ عتيبة تستحق مبلغ ١٠,٨٠٠ دولار كتسوية شاملة ونهائية للمسألة. وكانت المحادثات حول دفع المبلغ تقسيطاً تجري دون عقبات. وآن لابن سعود أن يحصد قريباً جائزة تحقيق العدالة دون تحيز. بيد أنّه كان في هذا الوقت منزعجاً قليلاً لاستلامه خطاباً من الشريف الذي بعث أيضاً بنسخٍ منه ـ من باب العلم ـ لشيوخ عتيبة الذين قاموا حال استلامها بإرسالها لابن سعود، وكان الخطاب يشتمل على نقد عنيف لتصرف الإخوان ولسياسة ابن سعود»[(١)].

وقال فيلبي: «وأمثالهم فإنَّهم لن يُعجزهم أن يضعوا خطاً فرضياً للجميع. وقبائل عتيبة وحرب وقبائل أخرى يقيمون بصفه دائمة على جانبي ذلك الخط الافتراضي ويمكنهم أن يصبحوا رعايا للحاكم الذي تتبع له أراضيهم. وكما أن عدداً من أهل نجد قد خرجوا عن حدود سيادتي بتوطنهم بصفة مستديمة في العراق»[(٢)].

(١) المصدر السابق، ١/ ٤٨٥ ـ ٤٨٦.
(٢) المصدر السابق، ١/٤٨٧.

(٢٨)

قلب الجزيرة العربية

سجل الرحلات والاستكشافات

الجزء الثاني

تأليف

هاري سانت جون فيلبي

تعريب

د.صلاح علي محجوب

قلب الجزيرة العربية سجل الرحلات والاستكشافات - الجزء الثاني

قال فيلبي: «**هؤلاء البدو من عشائر قبائل سبيع والسهول، كانوا في زمنٍ مضى ذوي انتشار في الصحراء الممتدة بوسط الجزيرة العربية، ولكن منذ عهد بعيد اتجهوا شرقاً أمام الزحف القادم من الغرب لقبائل قحطان وعتيبة. وفقد السهول قبضتهم على مساراتهم الرعوية القديمة حول منطقة الحمراء الجبلية، حيث تمثلهم الآن ـ كما أخبرتُ من قبل ـ بقايا من القبيلة، يقيمون في الرويضة وفي عدد من القرى**»[1].

وقال فيلبي عن بعض رفقائه ومنهم ناصر العتيبي: «**هناك أيضاً ناصر، وهو عتيبي، وعُبيْد، وهو قحطاني وقد انضمّا إلينا «كرفاق» تحسباً لالتقائنا بمجموعات من القبيلتين اللتين ينتميان إليهما. كانت للأول صلة بشكسبير**[2]**، إذ كان ابناً لطَلَق الذي رافقه ـ مع طامي ـ من الرياض لبرْيدة عام ١٩١٤م، وتمكّن من إنقاذه عند حدوث مواجهة حادة مع مجموعة مغيرة من عتيبة**»[3].

---

(١) قلب الجزيرة العربية، ٢/ ٢٧.

(٢) شكسبير: رحالة بريطاني، زار الملك عبدالعزيز وقتل مشاركاً في إحدى المعارك وهي معركة جراب سنة ١٣٣٣هـ، انظر بلاد العرب القاصية، تأليف بيتر برينث، مصدر سابق، ص٣١٥، وتاريخ ملوك آل سعود، ص ٩١.

(٣) قلب الجزيرة العربية، مصدر سابق، ٢/ ٣٢.

وقال فيلبي: «واعتذرنا عن قبول اقتراحه الأخير، ولكنّا قبلنا بسرور دعوته للعشاء، فذهبنا إليه بعد مغيب الشمس في اليوم الأوّل لإقامتنا. وكنت قد قضيت ساعةً أو اثنتين قبل أن نستجيب لدعوته متجولاً - في رفقة مترك وناصر وطويرش - في المنطقة وفي المنبسطات الرملية بين المجمعة والوادي»[1].

وقال فيلبي: «وتقدّمت بخطًى حثيثة نحو المرتفعات الوعرة الواقعة خلف القرية، ولم أتوقّف حتى بلغتُ قِمّتها شعرت الآن بالتحسن وجلست ومعي جابر ومترك وناصر وعبيد الذين جدّوا على أثري لاهثين ليلحقوا بي[2]».

وقال فيلبي: «كان الفائز الأول هو عبيد القحطاني، وجاء ثانياً مع فارق كبير عُبَيد، وهو تابع «عبد»، وثالثهما ناصر العتيبي، وتساقط الآخرون بفعل الإرهاق الذي لم يتعودوا على مثله، ولكنهم كانوا جميعاً مبتهجين في مرح عندما تجمّعنا على القمة لنتناول إفطاراً خفيفاً. أقلقنا بالجلبة التي أحدثناها زوجاً من الغزلان ذات اللون البني الغامق، بيد أنهما لم يمكّنا مترك - المتحفّز دوماً لصيد الغزلان - من نفسيهما، فاختفيا في طيّات التلال تتبعهما طلقة نارية انطلقت بعد فوات الأوان»[3].

وقال فيلبي: «وتُشاركهم هذه السيطرة قحطان وعتيبة وحرب ومطير وشمّر وعنزة، ملوك الصحراء الذين ينبىء عن نفوذهم، بلادهم غير المحدودة التي تقع خارج إطارها القبلي المتعارف عليه، والتي استمرت عبر القرون لتشكّل جزيرة العرب اليوم»[4].

وقال فيلبي: «سمعت في الأحمر بعد أيّام أنّ رجال الخرمة قد بعثوا في طلب العون من قحطان وإخوان عتيبة الموجودين في الرين وفي الغطغط، وأنّه قد حدثت استجابة سريعة. وقد دونت في مذكراتي حينها

---

(١) المصدر السابق، ٢/ ٢٣٢.

(٢) المصدر السابق، ٢/ ٢٥٢.

(٣) المصدر السابق، ٢/ ٢٥٣.

(٤) المصدر السابق، ٢/ ٢٨٦.

انه سينشا وضع حساس إن صَحَت هذه الشائعات، وقد تتطور قريباً إلى حرب بينية بين ابن سعود وملك الحجاز. في حقيقة الامر كان الاشتباك الأول قد وقع بالفعل في يونيو (حزيران)، وتلقّت قوات الشريف التابيبية الهزيمة ممن سمّاهم المتمردين»[1].

وقال فيلبي: «حمل إلينا البدو الذين زارونا خلال اليوم انباء عن رحيل تركي[2] نحو القصيم مع قوة من الخرج وضرما قوامها ٥٠٠ رجل ليكونوا نواةً للقوة التي كان عليها أن تغير على شمّر. واخبرونا ايضاً عن قتال وقع في الخُرمة حينما اقتتلت قوّة تابعة «للشريف» مع محاربين من قبيلة سبيع يساندهم عناصر من عتيبة استجابوا لنداء العون الموجّه لتجمعات «الإخوان» في الرين والغطغط. جاءت الأخبار في البداية أن قائد قوة الحجاز كان ابن الشريف، ولكن وضح فيما بعد أنّ ذلك لم يكن صحيحاً. خلافاً لهذا، يبدو انه لم تقع أحداث مهمة في الفترة الطويلة التي احتجبنا فيها عن مواقع الأحداث»[3].

---

(١) المصدر السابق، ٢/ ٢٩٦.

(٢) الأمير تركي بن عبدالعزيز المعروف بتركي الأول والذي مات عام ١٣٣٧هـ بسبب الحمى (المراجعون).

(٣) المصدر السابق، ٢/ ٣٩٥.

(٢٩)

عرب الصحراء

تأليف

ديكسون

قسم الترجمة في دار الفكر

الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦ م

عرب الصحراء

قال ديكسون[1] عن تقسيمات الخيمة عند القبائل ومنها عتيبة:
«ملاحظة: قسم الرجال في الخيمة، أو الربعة يكون دائماً في النهاية

(١) هو الكولونيل هارولد ديكسون عسكري بريطاني عريق، ضابط ورحالة من المعتمدين السياسيين الإنكليز في الكويت، أو بالأحرى هو سابع المعتمدين البريطانيين في هذه الدولة الفتية، في الفترة ما بين ٢٣أيار ١٩٢٩م إلى شباط عام ١٩٣٦م. ويعد ديسكون أشهر من عرفتهم شبه الجزيرة العربية شاهداً على الأحداث والتواريخ، وواصفاً للجغرافيا والبيئة والتراث. ولد ديكسون في بيروت عام ١٨٨١م في عائلة امتهن أفرادها الطب والجندية والدبلوماسية؛ ولهذا أعجب ديكسون الابن بأمجاد العائلة وتاريخ أجداده وارتباطهم بديار العرب، فسار على خطاهم مغنياً عمره ما بين الهند وجنوب العراق والكويت. درس في جامعة أكسفورد، فأنهى دراسته عام ١٨٩٩م، ثم انضم إلى الكليات العسكرية، ونال منها عدة رتب حيث خدم بعدها في الجيش البريطاني في أيرلندة عام ١٩٠٣م... انتهى المطاف به وبعقيلته «أم سعود» بعد أن تقاعد أن عين في منصب الممثل المحلي الرئيسي لشركة نفط الكويت الحديثة العهد حيث سكن هو وعقيلته في مقر المعتمدية البريطانية القديمة. توفي ديكسون عام ١٩٥٩م ودفن في مدينة الأحمدي بعد أن نشر كتابين أحدهما بعنوان: «عرب الصحراء» والآخر «الكويت وجاراتها»، أما السيدة فيوليت ديكسون «أم سعود» فقد عاشت في الكويت لمدة ثلاثين عاماً بعد وفاة زوجها وانتهت حياتها أثناء الغزو العراقي للكويت حيث نقلت إلى إنكلترا عام ١٩٩١م ووافتها المنية هناك. أسعد الفارس، رحالة الغرب في ديار العرب، الناشر أحمد عبد الله الفليج، صقر الخليج للنشر والإعلان - الكويت، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص١٩٥، وما بعدها.

الشرقية للخيمة بغض النظر عن الاتجاه الذي نصبت فيه الخيمة. وهي القاعدة العامة في شرق وشمال شرقي الجزيرة العربية. كما أن القاعدة المتبعة هي أن تنصب الخيمة ومحورها الطويل باتجاه الرياح الشمالية الغربية (رياح الشمال) في عمق نجد، ولا سيما لدى قبيلة عُتيبة يكون المحور الطويل للخيمة مواجهاً للرياح الشمالية الغربية وهي القاعدة لديهم. وتفتح الخيمة من إحدى نهاياتها فقط، وهنا يكون قسم الربع أو الرجال في الجهة الجنوبية»(١).

وقال ديكسون في ذكر بعض القبائل الأصلية: «**...وكثير من هؤلاء ينحدرون من أصل شريف كعجمان ومطير وعتيبة وحرب، إذ يذهبون إلى المدينة ويعودون منها إلى قبائلهم الأصلية، كما يتزاوجون مع أبناء عمومتهم الصحراويين(٢)**».

وكذلك قال فيما يلي أسماء أشهر القبائل الشريفة في الجزيرة العربية: «**السهول، زعب، عدوان، عنزة، شمر، حرب، مطير، العجمان، الظفير، بنو خالد، بنو هاجر، قحطان، عتيبة، الدواسر، المناصير، بنو ياس، سبيع، القواسم، الحويطات، وبنو تميم، (وهم لا يوجدون اليوم كقبيلة كاملة)**»(٣).

وقال عن رفيق السفر أو الخوي: «**تعتبر قوانين الرفقة والرفيق عموماً صارمة بالمقارنة مع قوانين الضيافة، إذ إن الأولى تتعلق بشرف القبيلة كلها، بينما الثانية تتعلق بشرف البدوي الشخصي. يقصد بالرفيق في الصحراء ذلك الرجل الذي يقودك بأمان في أراضي قومه وفي ديرته حتى لو تصادف أنهم (أهل الديرة) أعداء قومك.وهو يقوم بذلك مقابل أجر بسيط. فإذا رغب رجل بالسفر من الكويت إلى الحجاز مثلاً، كان عليه أن**

---

(١) المصدر السابق، ص٦٦.

(٢) المصدر السابق، ص٩٥.

(٣) صحيح أن بني تميم أسر متحضرة في نجد وغيرها من البلاد العربية، إلا إن مجموع أسرها يمثل قبيلة، وقد نبغ منها العديد من العلماء والأمراء والمشاهير، ولا يزال لقبيلة بني تميم بادية في العراق.

يصطحب رفاقاً من مطير، وحرب، وعتيبة، وقحطان، وربما من البقوم، او أية قبيلة محلية أخرى[1]».

وقال عن أخلاق العرب من القبائل: «وعلى العكس منهم الحضل[؟] (العمارات) ودوشان (مطير)، وحميد (عتيبة)، فهم محافظون ويقيمون في أقصى الشرق والجنوب كل من في الصحراء يتفقون على أن شيوخ قبائل منطقة نجد يتمتعون بسلوكية غاية في الأخلاق بالنسبة لإخوانهم»...وقال: «الوقت نفسه. هذا كله طبعاً دعاية حسنة لحاكم العربية السعودية ولمذهب الوهابية، ويعزز سياسة جلالة الملك عبدالعزيز في إبعاد الغرباء ما أمكن عن بلاده وعلى الأخص عن مركز الجزيرة العربية»[2].

وقال عن وقعة السبلة سنة ١٣٤٧هـ: «بعد معركة السبلة (٢٩آذار١٩٢٩) واجه جلالة الملك ابن سعود ثورة الإخوان المكثفة بإمرة سلطان بن حُميد (عتيبة) وفيصل الدويش (مطير). فاتُفق على عقد مؤتمر لجأ فيه الملك إلى القتال، نجم عن نلك القبض على حميد والدويش بعد أن جرح الأخير»[3].

وقال ديكسون عن الشيخ مقعد الدهينة: «الدهينة من قبيلة عتيبة، ويتمتع بسمعة حسنة بين البدو، وقيل عنه إنه مغير حاذق، ومشهود له بالشجاعة بين من عرفه، وكان أحد أنصار فيصل الدويش قبل وبعد ثورة الإخوان، وقد شارك مع ابن مشهور في معارك الرضى والنقير، في الحساء [الأحساء]، عندما انضمت قبيلة العجمان وقبيلة مطير واشتركتا معاً في مهاجمة قبيلة العوازم، في عقر دارها. وبعد فشل ثورة الإخوان فر الدهينة للعراق، وهناك أعطي راتباً ليعيش فيه من قبل الملك فيصل، واستقر به المقام في بغداد[عام] ١٩٣٥. وقد التقيت به مرة واحدة فقط»[4].

---

(١) المصدر السابق، ص ١١٢.
(٢) المصدر السابق، ص ١٧٩.
(٣) المصدر السابق، ص ٢٤٤.
(٤) المصدر السابق، ص ٣٤٤.

وقال عن الإبل ومواصفاتها عند القبائل ومنها عتيبة: «وتحاول عادة كل قبيلة أن تحصل على أحسن أنواع الإبل بالتزاوج، أو بتربية الأنواع الأفضل، وإن لكل قبيلة من الأنواع ما تفضلها عن غيرها وتعتقد أنها أحسن من غيرها. فالجمال المفضلة لدى الضفير والتي يملكونها هي من التي تمتاز بلونها الأبيض. أما رولة عنزة فتمتاز إبلهم باللون الأبيض أيضاً. أما الإبل التي تربى لدى عتيبة الكبرى فتمتاز بلونها الأسود الداكن[1]. وتفضل قبائل مطير والعوازم والعجمان تلك التي تمتاز بلونها المائل للحمرة، ويفضل الدوشان (مطير) الأنواع السوداء الداكنة. أما المرة وقحطان مثلهم مثل عتيبة فيفضلون الألوان القاتمة، هذا ويقال أيضاً إن الألوان البيضاء تمتاز بها الإبل التي تعيش في الشمال وكذلك جميع الألوان غير الداكنة. أما في الجنوب فتميل ألوانها إلى السواد وتكون عموماً قاتمة»[2].

وقال عن نايف بن حميد: «وقد ذكر لي الشيخ نايف بن حميد من قبيلة عتيبة أنه عندما هرب من سجن ابن سعود في الرياض عام (١٩٢٥م) اجتاز المسافة، من الرياض وحتى الناصرية في العراق، بمدة ثمانية أيام، وكان يركب أحسن الجمال من التي تربيها قبيلته، وتبلغ تلك المسافة التي قطعها (٨٠٠) ميل»[3].

وقال عن وسوم إبل عتيبة حيث ذكر منها[4]»:

١ ـ ابن حميد شيخ مجموعة برقا في مقدمة الكتف.

٢ ـ ابن ربيعان شيخ مجموعة الروقة «على الجانب الأيسر من الرقبة باقي أفراد العائلة على الجانب الأيمن من الرقبة».

---

(١) الإبل السوداء تسمى مجاهيم أو المجاهيم، والتي لونها أبيض تسمى المغاتير.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٨٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٨٥.

(٤) المصدر السابق، ص ٣٩٦.

٣ ـ ابن كامل شيخ مجموعة المقطة[١]، على الخد الأيسر.

٤ ـ ابن حجنة شيخ مجموعة عوفة[٢] على الخد الأيسر.

٥ ـ ابن جامع شيخ مجموعة الروسان «الحلقة على الخد الأيمن»[٣].

وقال عن المنتفق وشيوخهم من السعدون حيث ذكر خبراً له علاقة بقبيلة عتيبة وهو: «ويمتازون عموماً بميزات عامة مشتركة، تحت زعامة آل السعدون الذين يدعون أنهم ينحدرون من الرسول العربيﷺ، ومن هنا فهم ينتسبون إلى شريف مكة الذي هاجر من الحجاز إلى مناطق ما بين النهرين في البدايات الأولى من القرن السادس عشر، وطبقاً للاعتقاد المحلي يقال إن مناطق الحدود العراقية الجنوبية الحالية، كانت تقطنها في العصر العباسي مجموعتان كبيرتان من القبائل، وهاتان المجموعتان كانتا تأتيان تحت اسم قبيلة بني مالك التي كانت تقطن مناطق الشامية الحالية، تحت زعامة ابن عُصَيبة. أما القبيلة أو المجموعة الثانية، فهي الأجود، إلى الشمال من غرف، بقيادة الوثل. أما الجد الأول للسعدون الذي دنا من مناطق تلك المجموعات القبلية فيقال إنه شبيب، ويقال إن ابنه مانع تزوج من إحدى فتيات بني مالك، وكان بنو مالك حكام تلك المجموعات في ذلك الوقت، ولهذا ارتبطت تلك القبيلة بالدم مع الأجود، وأخذت الأيام تميل لصالحهم بعد ذلك بفترة وجيزة. فقد انهزم بنو مالك، بعد أن تعرضوا إلى خسائر كبيرة في الأرواح، واضطر من بقي منهم حياً للهرب إلى نجد بعد معركة فاشلة خاضوها وقد قتل فيها مانع نفسه، وكان لمانع هذا ولد سماه شبيب، كان طفلاً في ذلك الوقت، رحل مع

---

(١) ابن كامل: هو الفارس بادي بن كامل، وهو من أشهر فرسان عتيبة، وهو من فرع روسان المقطة، وليس شيخاً للمقطة، وأخوال هذا الفارس هم الدراعين من ذوي مفرج من النفعة من عتيبة.

(٢) لعل المقصود بعوفة النفعة لاشتراك الحرفين النون والعين بين عوفة والنفعة، كما أن ابن حجنة هو من النفعة.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٩٦.

الراحلين، وكان شبيب هذا اكبر أولاد شيخهم. ولم يهدأ لهم بال في منفاهم الاختياري هذا بل أخذوا يستعدون لأخذ الثار، فعززوا أنفسهم بكل ما أمكن كما أقاموا بعض التحالفات مع بعض أفخاذ قبيلة عتيبة، التي كانت تتصف في ذلك الوقت بأنها أقوى القبائل التي كانت تقطن وسط شبه الجزيرة العربية، وشعروا بعد ذلك بقوتهم، وأنهم أصبحوا قادرين على الأخذ بثأرهم»[1].

وقال عن الرجال الذين التقى بهم من القبائل وذكر من عتيبة: **«نايف ابن حميد الحميد[2]»**.

كما ذكر ديكسون عزوة الروقة من عتيبة وهي: «...[3] **أنا ابن روق»**[4].

وتحدث ديكسون عن قضية الثأر وذكر قصة كان أحد العتبان طرفاً فيها حيث قال: **«إنني أعرف حالة مماثلة، إذ كان مرة رجل رشيدي يدعى عيد العويد، وشاءت الصدف أن قتل خمسة رجال أثناء غارات شارك فيها الإخوان في قتالهم، والخمسة هم قبائل مختلفة، فكانوا من عتيبة، ومن الضفير، ومطير، ومن حرب، وآخر (من) العجمان، وقد عرف فيما بعد أنه قاتلهم، وبدأ أهل القتلى يبحثون عن محاولة الأخذ بالثار، ولهذا كان يخيم على الدوام مع آخرين ممن يستطيعون الدفاع عنه عند الضرورة»**[5].

---

(١) المصدر السابق، ص ٥٠٥. هذا الخبر ذكره بعض مؤرخي العراق في العصر الحديث منهم: د.حميد حمد السعدون في إمارة المنتفق ١٥٤٦ ـ ١٩١٨م، دار وائل للنشر، ط١، ١٩٩٩م، ص٣٢ ـ ٩٢ وما بعدها؛ ود. عبد الجليل الطاهر في العشائر العراقية، جامعة بغداد على نشره، ١٩٧٢م، ١/ ٦١.

(٢) كتابة الاسم بهذه الطريقة غير صحيح والصواب أن يقول: نايف بن محمد بن حميد أو الحميد، وأن لا يكرر اسم حميد؛ لأن الحمدة هم أبناء حمد بن حميد.

(٣) في الأصل: أهل العطية أنا ابن روق، المعروف أن عزوة الروقة هي: أنا ولد روق أو آلاد روق، ولكن لفروع الروقة وأفخاذها عزاوي خاصة، ولكن العزوة المتقدمة تشمل الروقة كافة.

(٤) عرب الصحراء، مصدر سابق، ص ٥٤٥.

(٥) المصدر السابق، ص ٤٨٦.

المصادر

أولاً: المصادر غير المعربة:

١ - **البدو في شمال وأواسط شبه الجزيرة العربية والعراق، (المجلد الثالث)**، تأليف ماكس فراهير فون أوبنهايم، أوتو هاراسوفيتش فيزبادين ألمانيا، ١٩٥٢م.

٢ - **الحجاز قبل الحرب العالمية الأولى**، تأليف ديفيد جورج هوجازث، المكتب العربي في القاهرة، ط٢، ١٩١٧م.

٣ - **الرحلات في شبه الجزيرة العربية**، تأليف تشارلز داوتي، Douty (Charles): Saudia, A. Case Study in Development London 1978.

٤ - **شمال نجد: رحلة من القدس إلى عنيزة في القصيم**، تأليف كارلو غوارماني، ترجمه من الإيطالية إلى الإنجليزية السيدة: كابيل كيور، تقديم وتعليق دوجلاس كاروثار، الناشر مطبعة أروجونوت، لندن، ١٩٣٨م.

٥ - **قصص وقصائد وعادات وتقاليد البدو**، تأليف ج.ج. هيس، ١٩٣٨.

٦ - **كتيب حول شبه الجزيرة العربية (هاندبوك)، (المجلد الثاني)، قسم الاستخبارات، مايو ١٩١٧م.**

ثانياً المصادر المعرّبة:

١ ـ **أعمدة الحكمة السبعة**، تأليف توماس إدوارد لورنس، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٤، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٠م.

٢ ـ **اكتشاف جزيرة العرب**، تأليف جاكلين بيرين، ترجمة قدري قلعجي، تقديم حمد الجاسر، منشورات الفاخرية ـ الرياض، ودار الكاتب العربي - بيروت، [د.ت].

٣ ـ **آل سعود دراسة في تاريخ الدولة السعودية**، تأليف ألويس موسيل، ترجمة وتعليق د. سعيد بن فايز إبراهيم السعيد، الدار العربية للموسوعات - بيروت - ط١ ـ ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٤ ـ **الأوضاع السياسية في وسط الجزيرة العربية عند نهاية القرن التاسع (حائل، القصيم، الرياض)**، تأليف إدوار نولده، تقديم وتعريب د. عوض البادي، دار بلاد العرب للنشر..

٥ ـ **البدو والوهابية**، تأليف جون لويس بوركهارت، ترجمة محمد الأسيوطي، دار سويدان، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٩٥م

٦ ـ **بعثة إلى نجد**، تأليف سانت جون فيلبي، تقديم وترجمة د.عبد الله الصالح العثيمين، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٧ ـ **بلاد العرب القاصية**، تأليف بيتر برينث، ترجمة خالد أسعد عيسى، وأحمد غسان سبانو، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٨ ـ **دليل الخليج، القسم الجغرافي**، تأليف ج.ج.لوريمر، ترجمة المكتب الثقافي لحاكم قطر، دار العروبة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان.

٩ ـ **رحلات في شبه جزيرة العرب**، تأليف جون لويس بوركهارت، ترجمة د. عبدالعزيز بن صالح الهلابي، ود.عبدالرحمن عبد الله

الشيخ، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م

١٠ ـ رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، تأليف رتشاردف، ترجمة وتعليق د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م.

١١ ـ رحلة داخل الجزيرة العربية، تأليف يوليوس أويتنج ترجمة وتعليق د. سعيد السعيد، صدر بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م

١٢ ـ رحلة عبر الجزيرة العربية من القطيف في الخليج العربي إلى ينبع على البحر الأحمر، تأليف فورستر سادلير، ترجمة أنس الرفاعي، نشر وتحقيق سعود بن غانم الجمران العجمي، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٣م.

١٣ ـ رحلة في الجزيرة العربية الوسطى الحماد، شمر، القصيم الحجاز، تأليف شارل هوبر، ترجمة إليار سعادة.

١٤ ـ رحلة في بلاد العرب الحجاز، تأليف موريس تاميزييه، ترجمة وتعليق د.محمد بن عبد الله آل زلفة، دار بلاد العرب للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م

١٥ ـ رحلة في بلاد العرب، تأليف شارل ديليه ترجمة وتعليق د. محمد خير البقاعي، دار الفيصل الثقافية ١٤٢٢ هـ/٢٠٠١ م.

١٦ ـ صفحات من تاريخ مكة المكرمة (الجزء الأول)، تأليف ك. سنوك هورخرونيه، ترجمة د. علي عودة الشيوخ، تعليق د. محمد محمود السرياني، ود.معراج نوّاب مرزا، صدر بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م

١٧ ـ صفحات من تاريخ مكة المكرمة (الجزء الثاني)، تأليف ك.سنوك هورخرونيه، ترجمة وتعليق محمد بن محمود السرياني، ومعراج

بن نواب مرزا، مراجعة د.محمد إبراهيم أحمد علي، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

١٨ - **عرب الصحراء**، تأليف ديكسون، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

١٩ - **العربية السعودية**، تأليف هاري سانت جون فيلبي، ترجمة د.عاطف فالح يوسف، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٢٠ - **قلب الجزيرة العربية، (جزاين) تأليف هاري سانت جون فيلبي، تعريب د.صلاح علي محجوب، الناشر مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.**

٢١ - **مصر في القرن التاسع عشر**، تأليف إدوار جوان، ترجمة محمد مسعود، ط١، القاهرة، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م.

٢٢ - **مغامرات لچمن في العراق والجزيرة العربية**، تأليف جرالد أفلين، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي، دار واسط للدراسات والنشر والتوزيع، بغداد، ط١، ١٩٩٠م.

٢٣ - **وسط الجزيرة العربية وشرقها**، تأليف وليم جيفور بالجريف، ترجمة صبري محمد حسن، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠١م.

٢٤ - **تاريخ الدولة السعودية الأولى، ونجد وحملات محمد علي على الجزيرة العربية من كتاب تاريخ مصر في عهد محمد علي**، تأليف فيلكس مانجان، ترجمة وتقديم وتعليق د.محمد خير البقاعي دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

ثالثاً: المصادر المستخدمة في حواشي البحث:

١ ـ **إمارة المنتفق ١٥٤٦ ـ ١٩١٨م**، تأليف د.حميد حمد السعدون، دار وائل للنشر، ط١، ١٩٩٩م.

٢ ـ **العشائر العراقية**، تأليف د.عبدالجليل الطاهر نشر جامعة بغداد، ١٩٧٢م.

٣ ـ **اسماء جبال تهامة**، تأليف عرام بن الأصبغ السلمي، تحقيق وتعليق: د.محمد صالح شناوي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٤ ـ **تاريخ البلاد العربية السعودية**، تأليف د. منير العجلاني ط٢ ـ ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٥ ـ **تاريخ الكويت السياسي**، تأليف حسين خلف الشيخ خزعل، [د.ت].

٦ ـ **تاريخ المملكة العربية السعودية**، تأليف عبد الله الصالح العثيمين، ط٢، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٧ ـ **تاريخ بعض الحوادث في نجد**، تأليف إبراهيم بن صالح بن عيسى، منشورات دار اليمامة، ط ١، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

٨ ـ **تاريخ ملوك آل سعود**، تأليف سعود بن هذلول، ط٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٩ ـ **تاريخ نجد**، تأليف الإمام حسين بن غنام، تحقيق د.ناصر الدين الأسد، دار الشروق، ط٤، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

١٠ ـ **تذكرة أولي النهى والعرفان**، تأليف إبراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن، منشورات مؤسسة النور للطباعة والنشر، ط ١.

١١ - **التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية**، تأليف اللواء محمد مختار باشا، دراسة وتحقيق د.محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١٢ - **الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية منطقة حائل** (١٨٤٥ - ١٩٢١م)، ترجمة د.عوض البادي، دار برزان للنشر، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٣ - **الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية**، ترجمة د.عوض البادي، الدار العربية للموسوعات، ط٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

١٤ - **رحالة الغرب في ديار العرب**، تأليف أسعد الفارس، الناشر صقر الخليج للنشر والإعلان - الكويت، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

١٥ - **السعوديون والحل الإسلامي**، تأليف محمد جلال كشك، ط٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

١٦ - **صفة جزيرة العرب**، تأليف لسان اليمن الحسن بن أحمد الهمداني، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، منشورات دار اليمامة، الرياض، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

١٧ - **عالية نجد**، تأليف سعد بن عبد الله بن جنيدل، منشورات دار اليمامة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١٨ - **عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر**، تأليف إبراهيم بن صالح بن عيسى، طبع بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

١٩ - **عنوان المجد في تاريخ نجد**، تأليف عثمان بن بشر، تقديم عبد الله المنيف، مكتبة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٢٠ـ **قبائل الطائف وأشراف الحجاز**، تأليف الشريف محمد بن منصور، دار الحارثي للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٠١هـ

٢١ـ **اللطائف في تاريخ الطائف**، تأليف أحمد بن محمد الحضراوي، مكتبة مكة المكرمة، رقم: ١٩ تاريخ (مخطوط).

٢٢ـ **منكراتي**، تأليف عبد الله بن الحسين، الأهلية للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٩٩٨م.

٢٣ـ **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تأليف ابن فضل الله العمري، دراسة وتحقيق دوروتياكراڤولسكي، المركز الإسلامي للبحوث، ط ١، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٥م.

٢٤ـ **معجم قبائل الحجاز**، تأليف عاتق بن غيث البلادي، دار مكة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٥ـ **من شيم الملك عبدالعزيز**، [٣ أجزاء]، تأليف فهد المارك، ط١، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٢٦ـ **النجم اللامع**، تأليف محمد العلي العبيّد (مخطوط).

٢٧ـ **نزهة الألباب في تاريخ مصر وشعراء العصر ومراسلات الأحباب**، تأليف محمد حسني أفندي العامري، مطبعة الهلال بالفجالة، ١٣١٤هـ

٢٨ـ **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تأليف القلقشندي تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني ط ٢، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م.

٢٩ـ **من شيم العرب**، تأليف فهد المارك، منشورات مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق ط٤، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٣٠ـ **المعجم الأثري لمنطقة مكة المكرمة**، تأليف د. ناصر بن علي الحارثي، ط١ - ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٣١ - **نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر**، تأليف أحمد بن محمد الحضراوي (المخطوط).

٣٢ - **جزيرة العرب في القرن العشرين**، تأليف حافظ وهبة، ط٣ - ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م.

٣٣ - **خزانة التواريخ النجدية**، تأليف عبدالله بن عبدالرحمن البسام، ط١، الرياض، دار العاصمة، ١٤١٩هـ.

٣٤ - **مطالع السعود**، تأليف مقبل الذكير (مخطوط).

٣٥ - **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، بلاد القصيم**، تأليف محمد بن ناصر العبودي، منشورات دار اليمامة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٣٦ - **صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار**، تأليف محمد بن عبدالله بن بليهد، ط٣ - ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

الفهرس

هذا الكتاب...

قبيلة عتيبة قبيلة عربية تنتشر فروعها في وسط الجزيرة العربية وغربها، وتضرب بجذورها إلى مئات السنين، عايشها كثير من الرحالة الغربيين الذين جابوا أنحاء الجزيرة العربية منذ قرنين من الزمان ونيف، وكتبوا عنها الكثير الكثير، سواء بانطباعية أو بموضوعية، وتحتمل آراؤهم الدقة وعدمها في بعض الأحيان.

والكتاب يرصد كثيراً من هذه النصوص التي تناولت (عتيبة)، سواء المعّرب منها، أو ما قام بتعريبه معدها.

ضمت النصوص كثيراً من المعلومات حول نمط المعيشة والعادات الاجتماعية وبعض الأحداث التاريخية، والتي تعطي صوراً واضحة لتلك الفترة.

تكمن أهمية الكتاب، إضافة إلى جمع النصوص في كتاب واحد، في التعليقات التي أوردها المؤلف، والتي صحح منْ خلالها كثيراً من المفاهيم والتصورات الخاطئة.

ومؤسستنا إذ تقدم هذا الكتاب تأمل أن ينتفع به كثير من القراء والباحثين المهتمين بتراث العرب القديم والحديث.

الناشر